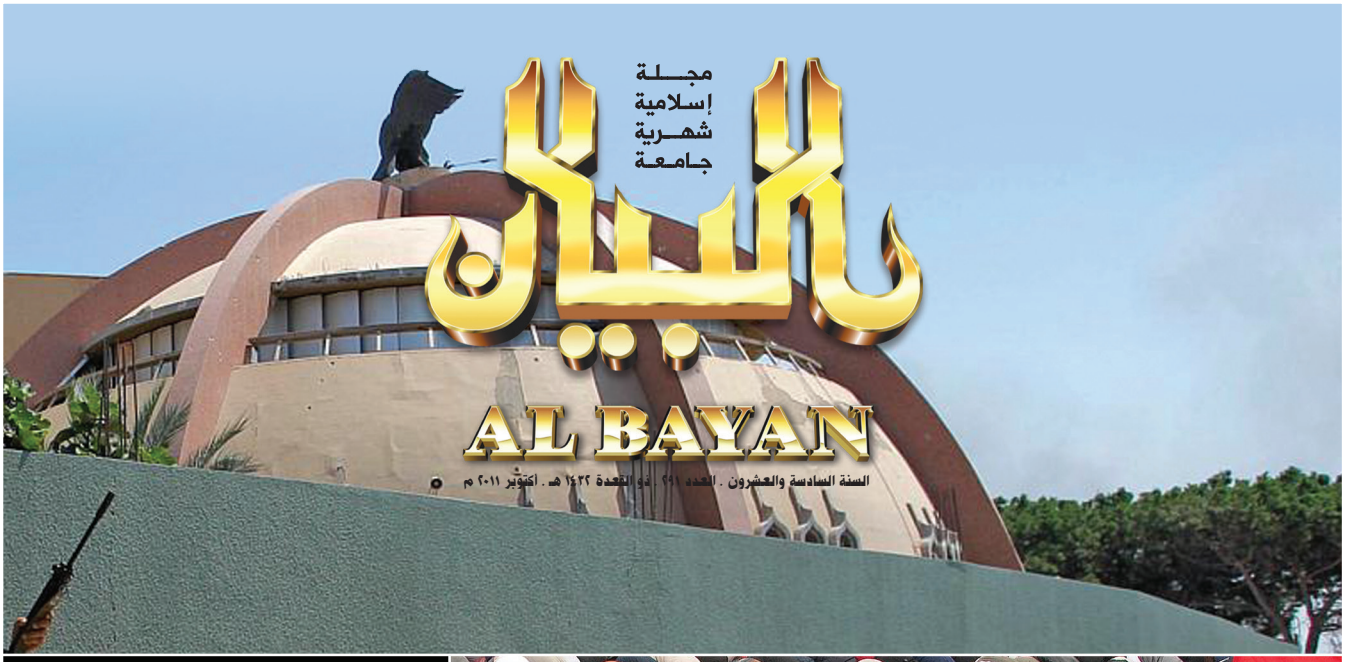

مجلة
إسلامية
شهرية
جامعة

البيان

AL BAYAN

السنة السادسة والعشرون . العدد ٢٩١ . ذو القعدة ١٤٣٢ هـ . أكتوبر ٢٠١١ م

دولة بلا جذور
ولا مستقبل!

التقنية
بوابة الإصلاح

أمريكا
تدعو للحشمة

من القلب
إلى الإسلاميين في تونس

مستقبل ليبيا

مستشفى أبها الخاص
Abha Private Hospital

http://www

الآن...
موقعنا الإلكتروني
في ثوبه الجديد

www.aph.med.sa

- ☑ الحجز
- ☑ الأطباء
- ☑ التخصصات الطبية
- ☑ الاتصال ....

كلها الآن على موقعنا الإلكتروني

مجلة
البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
د. أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
محمد سالم لرضي

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي
آي بان: SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

الاشتراكات

السعودية ودول الخليج	١٢٠	ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا	٤٧	يورو
أوروبا	٥٥	يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥	يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥	يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠	يورو

خدمة العملاء

السعودية
ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
الهاتف المجاني: ٩٢٠٠٠٤٥٤٨
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk
العلاقات العامة
pr@albayan.co.uk

الموزعون

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ – ٤٥٥٧٨١١ – ٤٥٥٧٨١٢ – فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥
تونس: الشركة التونسية للصحافة، ت ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٠٠٤

الافتتاحية

٤ **التقنية بوابة الإصلاح**
التحرير

الشريعة والعقيدة

٦ **دفع الصائل في الشريعة الإسلامية...أحكامه وشروطه**
د. عبد القادر أحنوت

الغرب: قراءة عقدية

١٠ **الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثودكسية شِقاق أم وفاق؟**
فيصل بن علي الكاملي

قضايا دعوية

١٢ **من القلب إلى الإسلاميين في تونس**
أحمد بن عبد الرحمن الصويان

قضايا تربوية

١٨ **مكايد الشيطان... وطرق الوقاية منها**
خالد بن محمد الأنصاري

٢٠ **اقتران الأموال والأولاد في القرآن... حِكَمٌ وأسرار**
د. توفيق علي زبادي

عاجل إلى الإسلاميين

٢٥ **احذروا خطاب: (مرحباً بكم... تباً لكم)**
أحمد فهمي

نص شعري

٢٦ **أحدٌ... أحدْ**
عبد الغني التميمي

حوار

حوار مع الدكتور عبد الستار قاسم
٤٢ أجرى الحوار: أحمد أبو دقة

المسلمون والعالم

٣٢ مستقبل ليبيا الأحرار بين الطموحات والواجب
الدكتور جمال أحمد بادي

٣٨ ليبيا الإقليمية..من الشخصنة إلى المأسسة
مصطفى شفيق علاَّم

٤٢ إسلاميو الثورة الليبية... الواقع والمآلات
أحمد عمرو

٤٦ ملامح النظام السياسي الجديد في ليبيا
زياد عقل موسى

٥٠ الدور العربي في ليبيا... «محلل» للتدخل الأجنبي!
تحليل: محمد جمال عرفة

٥٤ القبائل الليبية ودورها في تقرير مصير البلاد... «بين الحقيقة التاريخية والرؤية المستقبلية»
أنور محمود زناتي

٥٦ ليبيا: فرنسا والغرب ومعركتهم اليائسة لتنصيب حكومة موالية
عامر عبد المنعم

٥٨ مرصد الأحداث
جلال سعد الشايب

عين على العدو

٦٤ آفاق وأبعاد تدهور العلاقات الصهيونية التركية
د. عدنان أبو عامر

في دائرة الضوء

٦٦ أمريكا تدعو للحشمة
أ. د. عبد الله بن هادي القحطاني

متابعات

٧٢ إيجابيات وسلبيات تعدد الأحزاب الإسلامية
مجدي داود

فكرية

٧٦ الطفولة العقلية... قراءة في الأزمة الفكرية
السنوسي محمد السنوسي

اقتصاد

٨٠ تفعيل دور الزكاة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية
محمد صالح هود فضل الله

قراءة

٩٠ خصائص الأمة الإسلامية عند المجدد محمد رشيد رضا
د. محمود سعد

الورقة الأخيرة

٩٤ الطائفية مخطط صهيوني صليبي
د. أمين الدميري

[كلمة صغيرة]

دولة بلا جذور ولا مستقبل!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد تباينت آراء المحللين السياسيين في داخل مصر وخارجها في تقويم التظاهرات التي جرت أمام سفارة العدو الصهيوني في القاهرة، واختلفت التوجُّهات في تفسير ما جرى ودوافعه والجهة التي تقف خلفه، وبغضِّ النظر عن كل ما قيل، فإن ما حدث يحمل دلالات في غاية الأهمية، من أبرزها:

أولاً: أكدتْ هذه الأحداث القطعية الواضحة بين السياسات الحكومية العربية وتطلعات الشعوب؛ فالحكومات تتحدث عن الصلح وسلام الشجعان والشرق الأوسط الجديد والكبير، بينما الشارع العربي كله لا يزال يرفض الصلح مع الصهاينة، ويرفض مشاريع التطبيع والتواصل الثقافي، باستثناء قلة قليلة شاذة من السياسيين والإعلاميين والمثقفين المهرولين نحو تل أبيب، دون حياء أو اعتبار للرأي العام.

ثانياً: دولة العدو الصهيوني كانت مولوداً نشازاً، ولا زالت - على الرغم من مرور حوالي ستة عقود على تأسيسها - مرفوضة من البيئة المحيطة فيها، ولم تستطع اتفاقية (كامب ديفيد) أن تزيل الحواجز العقدية والتاريخية المستقرة في الوجدان العربي، ولم تسفر موجات التطبيع المتعاقبة في عالمنا العربي إلا عن رفض أولئك المطبعين، ونبذهم واتهامهم بالخيانة.

ثالثاً: تزامنت هذه الأحداث مع توتر العلاقات الصهيونية مع تركيا، وهذا يؤكد عقلية الاستعلاء والاستكبار والتعنت التي صبغت جميع السياسات الصهيونية؛ ومن ثَمَّ فإن مشاريع الخنوع والاستسلام التي يقدمها بعض العرب لن تجدي نفعاً مع سلسلة الأطماع اليهودية، وصدق المولى - جل وعلا -: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

رابعاً: الشعوب العربية تملك طاقات هائلة قادرة - بإذن الله تعالى - على تحرير المسجد الأقصى من الاحتلال الصهيوني؛ فهل ستسفر الثورات العربية عن حكومات تعبِّر عن تطلعات شعوبها، أم سيبقى هذا الشرخ هو سمة الواقع العربي؟

التقنية بوابة الإصلاح

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه، وبعد:

يروي الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «بلِّغوا عنِّي ولو آية» الحديث[1]، ولا شك أنَّ هذا القدرَ اليسيرَ من البلاغ يستطيعه كثير من النَّاس؛ فمَنْ حفظ استطاع البلاغ، ومَنْ علم سهُل عليه أمر التَّبليغ، ومَنْ يملك وسيلة اتصال فلا حجَّة له في ترك الإبلاغ.

وفي ماضي الأيام كنَّا نشعر بالضَّيق من إقصائية إعلامنا، وخنقه الأصوات المخالفة لزبانيته وروَّاد ناديه، وكان الإسلاميون لا يجدون سبيلاً لعرض أفكارهم، أو الرَّد على مخالفيهم، أو توضيح آرائهم إلا في المساجد التي يتعاظم حصارها في بعض البلدان. ومَنْ استطاع منهم الوصول إلى وسيلة إعلامية للقيام بعبادة البلاغ لا يضمن تمكينه من إكمال رسالته، أو يخشى من تشويهها من باب الإثارة أو لتحقيق مآرب خاصَّة.

واليوم لا زالت الإقصائية و (الشِّللية) الإعلامية حاضرة في مشهدنا الإعلامي التَّقليدي، بَيْد أنَّ الله امتَّن على عباده بالقدرة على تجاوز هذه الوسائل التي فقدت كثيراً من المصداقية، وبدأت تهرم وهي في طريقها للعزلة أو الموت القريب، وإن غداً لناظره قريب؛ فلا قيمة عند العقلاء لوسيلة إعلامية تبتعد عن المهنية والمواثيق المتعارَف عليها، ولا قيمة عند الفضلاء لوسيلة تفتقد العمق الشَّعبي لأنَّها تخالف مبادئ المجتمع، ولا تتورع عن مهاجمة مقدَّساته والتَّشنيع على رجالاته.

وقد فتحت شبكة الإنترنت ومنتجاتها أبواباً من التَّواصل والاتِّصال لم تكُ متوافرة من قبل، وها نحن اليوم نعيش عصر الإعلام الجديد، وزمن الإعلام المتحرك، وقد استطاعت الشُّعوب العربية الاستفادة من هذه الفرص؛ فأزاح أهلنا في تونس ومصر نظامين عاتيين وطاغوتين ظالمين، والطَّريق مستمر حتى يفرِّج الله عن أهلنا في ليبيا وشامنا ويمننا.

ولذا اهتبل المصلحون هذا الفتح المعلوماتي والإعلامي لتبليغ دين الله، والذَّب عن الفضيلة وحماية الدِّين والمجتمع من نزغات شياطين الإنس، والأمثلة تعزُّ على الحصر؛ فمنها المواقع المفيدة المباركة للفتوى وتقريب العلوم ونشر دين الله، والارتقاء بوعي العامَّة وذائقتهم الأدبية، وقد استفاد من هذه المواقع فئام من المسلمين حُرمَت ديارهم من بركة العلم، واقتصرت وسائل إعلامهم على مشايخ يعبِّرون عن رأي السُّلطة ولا يوقِّعون عن ربِّ العالمين، فجاءت هذه المواقع لتكون زاداً للمسلم الذي يرنو لاتباع رسالة الإسلام كي يعيش الإسلام اليوم كما عاشه الأسلاف على هدي الكتاب والسنَّة وفَهْم سلف الأمة لهما.

وأيضا التَّطبيقات الجذَّابة على الهواتف الذَّكية التي تنتشر بين أهم فئات المجتمع وهم الشَّباب من الجنسين؛ فبواسطة هذه التَّطبيقات تصل رسالة الخير للشَّاب في مجلسه، وللفتاة في خدرها، فأصبح العلم المبثوث في الدَّواوين والأسفار قريب المأخذ، وفي متناول جيل غضٍّ يحتفظ بشيء من فطرته السَّوية وإن رانت عليها آثام الانفتاح وجرائر التَّساهل وتمييع الأحكام، وكم من مفهوم شرعي ترسَّخ في وجدان الشُّبان والفتيات من خلال الرَّسائل الجماعية والمقاطع النَّقية المتبادلة.

(١) رقم الحديث (٣٤٦١)، نقلاً عن موقع الدرر السنية.

وفي فضاء الشَّبكة مواقع علمية سنية، تيَّسر الوصول إلى درر الكتب مع سلاسة في البحث والجَمْع، وفي الفيسبوك وتويتر وغوغل بلس صفحات كثيرة لمشايخ ودعاة، ومفكرين وكتَّاب، وأعمال خيرية وأنشطة دعوية، تجاوز عدد متابعيها والمعجبين بها مئات الآلاف بينما كان إعلامنا يضع علامات استفهام وتعجُّب على أصحابها! وفي قنوات اليوتيوب والمشاهد النَّقية بلغ عدد زيارات قنوات بعض مشاهير القرَّاء أكثر من أربعين مليون زيارة، وفي بعض الصَّباحات الجميلة يفاجؤنا الشَّباب النَّضر على قنوات توثيق الحقيقة بمقاطع مرئية تدمغ الباطل وأهله، وتنصر الحقَّ وأصحابه، ويا باغيَ الإصلاح أقبل فثمَّ فجاجٌ واسعة رحبة.

ونتيجةً طبيعيةً لهذا الانفتاح انجذبت الجماهير المتعطِّشة للحقيقة، والمشتاقة لسماع أصوات ممثِّليها وموضع ثقتها، إلى مواقع المشايخ والمصلحين على الشَّبكة العالمية؛ نهلاً من معين علمهم الصَّافي، وإفادة من خبراتهم وتجاربهم الصَّادقة، واستنارة بآرائهم وتعليقاتهم المكتوبة والمسموعة والمرئية، بعد أن كانت حروفهم وأصواتهم وصورهم من المحرَّمات على الإعلام المختطف في كثير من ديار المسلمين. هذا غير الانصراف الكبير من قِبَل غالبية المجتمع عن الصُّحف الورقية باتجاه الصَّحافة الإلكترونية ومواقع التَّواصل الاجتماعي للبحث عن الأخبار الحيادية والصُّورة الكاملة للأحداث. والحمد لله أن دخل الصَّالحون في هذا العالم الافتراضي المؤثر بقوة في عالمنا الحقيقي، وكان لهم فيه صولات مشهودة وجولات موفقة.

وقد صارت شبكات الإنترنت والاتِّصال بابَ خير ودعوة، واكتساب أجر لجمهرة من المسلمين الذين يحبون نشر الخير، ونصرة دينهم ولغتهم وتاريخهم من خلال الإفادة من المجموعات البريدية، والإجابة على أسئلة مواقع محرِّكات البحث، أو كتابة المعلومات الصَّحيحة في الويكيبيديا، ونشر الكتب الإلكترونية، وإبراز المقالات والتَّحقيقات والتَّقارير، وإدارة حملات بناء المفيد وهدم الضَّار، وغير ذلك ممَّا كان حكراً على إعلام رسمي أو شبه رسمي، وإنَّها لنعمة ربَّانية جديرة بشكرها فعلاً وقولاً، والتعبُّد لله بالعمل من خلالها، ويا باغيَ التَّغيير الإيجابي الآمن أقبل فثمَّ الجهد والنَّتيجة السَّارة.

وكم ترك الأول للآخر، وكم في الانترنت ووسائل الاتِّصال من سبل وطرق للإحسان والإصلاح والاحتساب، فالمدَّونات الشَّخصية، والمنتديات الزَّاقية، والمجموعات البريدية، والصُّحف الإليكترونية، والمواقع الشَّخصية أو الدَّعوية أو الاجتماعية فضلاً عن مواقع الأسرة والمرأة والطِّفل، وقنوات الرَّسائل النَّصية المجانية أو مدفوعة الثَّمن، وبرامج أجهزة الهاتف المتنقل، كلُّها منافذ خير، وطرق عبور إلى عمق المجتمع، وخارطة طريق تنتظر مَنْ يرسمها باحتراف ليقود الأمة إلى ما ينفعها في شأن دينها وأمر دنياها.

وعبر الانترنت يمكن للأخيار تبني مشاريع قد يصعب عليهم طرحها عبر وسائل محتكرة، مثل إغاثة أيِّ شعب مسلم منكوب، وفضح جرائم المفسدين والطُّغاة ضدَّ المدنيين. ومن المشاريع تكاتف الجهود لتعرية التَّغريب وأدواته ورموزه ووسائله، ومن المشاريع إيجاد قنوات تواصل متنوعة لعلماء الأمة مع شبابها، ومنها كذلك نشر الأحكام الشَّرعية في النَّوازل والمستجدات، وإنشاء محرِّكات بحث ومواقع تواصل تراعي البيئة الإسلامية وثقافة المسلمين، وتعميم الدَّعوة إلى الله بجميع اللغات، والأفكار أكثر من أن يشار إليها، وفي عقول المبدعين من شباب المسلمين وبناتهم أفكار ومشروعات غير مسبوقة تنتظر المبادر والدَّاعم والمسدِّد، والأجر على الله.

ومع هذا الانفتاح الكبير يجدر بفضلاء الأمة متابعة تطورات التَّقنية وتغيراتها المتلاحقة لما في ذلك من أثر بالغ على استشراف المستقبل واستثمار هذه الفتوحات، كما ينبغي العناية بترسيخ وتعميق مفاهيم التَّعاون على البِّر والتَّقوى لدى جيل التَّقنية انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [**المائدة**: ٢]، فالتَّعاون على البِّر والتَّقوى من مقتضيات الولاية للمؤمنين كما في قوله -جلَّ شأنه-: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [**التوبة**: ٧١].

والتَّكامل من خصائص العمل النَّاجح، فلا داعي لتكرار الجهود، خاصة أن السَّاحة روض أنف لمن شاء أن يعمل ويبدع، والميادين متاحة، والأفكار ملقاة تنتظر مَنْ يلتقطها ويحسن عرضها، ونضَّر الله وجه السَّامع الذي يبلِّغ؛ فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع كما في الحديث الشَّريف، والأجر يدرك بإذن الله مَنْ بدأ الأعمال الفاضلة الجديدة وإن رحل عن دنيا النَّاس مصداقاً لحديث النَّبي الأكرم عليه الصَّلاة والسَّلام: «مَنْ سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة، فله أجرها، وأجر مَنْ عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» الحديث[1].

(١) رواه مسلم، رقم الحديث ١٠١٧، نقلاً عن موقع الدرر السنية.

دفع الصائل
في الشريعة الإسلامية...
أحكامه وشروطه

د. عبد القادر أحنوت(*)

الصائل هو المعتدي على نفس الغير أو عرضه أو ماله، فيجوز للمعتدى عليه أو المصول عليه ضرورة ردُّ هذا الاعتداء حتى ولو أدى ذلك إلى قتل الصائل. ويسميه الفقهاء بالدفاع الشرعي الخاص[1]، وهو: (واجب الإنسان في حماية نفسه أو نفس غيره، وحقه في حماية ماله أو مال غيره من كل اعتداء حالٍّ غير مشروع بالقوة اللازمة لدفع هذا الاعتداء)[2].

والأصل في دفع الصائل قوله - تعالى -: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ووجه الدلالة أن الاعتداء على الناس في أنفسهم وأموالهم حرام أصلاً؛ فإذا اعتدى أحد من الناس على آخر، جاز للآخر أن يدفع عن نفسه الاعتداء بما يندفع به؛ حتى لو أدى ذلك إلى قتله ولم يندفع بما دون ذلك[3].

ومن السنة حديث عمران بن حصين أن رجلاً عضَّ يد رجل، فنزع يده من فمه فوقعت ثنيتاه، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقال: «يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحلُ! لا دية له»[4].

قال ابن حجر: (فيه دفع الصائل؛ وأنه إذا لم يمكن الخلاص منه إلا بجناية على نفسه أو على بعض أعضائه ففعل به ذلك كان هدراً)[5].

وعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد»[6]. قال الشوكاني: (فيه دليل على أنه تجوز مقاتلة من أراد أخذ مال إنسان من غير فرق بين القليل والكثير إذا كان الأخذ بغير حق، وهو مذهب الجمهور)[7].

ومسألة دفع الصائل وجواز قتله إذا لم يندفع شره إلا بالقتل: محل إجماع بين الفقهاء[8].

وكما يشمل الدفاع الشرعي الدفاعَ عن النفس، يشمل كذلك الدفاعَ عن الغير، لقوله - تعالى -: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، وقوله ﷺ: «من أُذِل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله - عز وجل - على رؤوس الخلائق يوم القيامة»[9].

وسئل الإمام الغزالي: إذا صال إنسان على آخر فعجز المصال عليه عن دفعه؛ فهل يجب على من يقدر على دفعه أن يدفعه حتى إن قتله دفعاً لا يجب الضمان؟ فأجاب: يجب ذلك بطريق النهي عن المنكر، ولا ضمان عليه[10].

ولأنه لولا التعاون لذهبت أموال الناس وأنفسهم، ولأن قطاع الطرق إذا انفردوا بأخذ مال إنسان ولم يُعِنه غيره فإنهم يأخذون أموال الكل واحداً واحداً، وكذلك دفع الضرر واجب، وفي حصول الاعتداء على الغير يتحقق الضرر.

(*) عضو هيئة التدريس بالكلية المتعددة التخصصات بالناظور المغرب.

(١) تمييزاً له عن الدفاع الشرعي العام، وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل أشكاله وأنماطه.

(٢) التشريع الجنائي الإسلامي، للشيخ عبد القادر عودة: ١/ ٤٧٣.

(٣) أحكام القرآن، للجصاص: ١/ ٣٢٥.

(٤) رواه البخاري، كتاب الديات، باب: من عض رجلاً فوقعت ثناياه. ومسلم، كتاب القسامة، باب: الصائل على نفس الإنسان.

(٥) فتح الباري: ١٢/ ٣١٣.

(٦) رواه أبو داود، كتاب السنة باب قتال اللصوص. والترمذي، الديات باب: ما جاء في من قُتِل دون ماله فهو شهيد.

(٧) نيل الأوطار: ٤/ ٢٥١.

(٨) انظر مجموع الفتاوى، لابن تيمية: ٢٨/ ١٧٧.

(٩) رواه أحمد في مسنده، عن سهل بن حنيف، (انظر: نيل الأوطار: ٥/ ٣٢٧).

(١٠) انظر فتاوى الغزالي، تحقيق علي مصطفى الطَّسّة، ط ١ / ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار اليمامة، ص: ٢٤٩.

حكم دفع الصائل:

قد يكون الدفـــاع عن النفس أو العِـــرض أو المال؛ ولذلك يختلف حكم دفع الصائل باختلاف المدافَع عنه.

فأمـــا الدفاع عن النفـــس، فقد اختلف فيـــه الفقهاء بين الوجوب والجواز، فقال الحنفية بوجوب الدفاع[1].

وفي المذهـــب المالكي قولان أصحُّهما وجـــوب الدفاع عن النفس[2].

وقال الشـــافعية: إذا كان الصائل مسلماً فيجوز الاستسلام ولا يجـــب الدفاع، أما إذا لم يكن مســـلماً أو كان بهيمة فدفعه واجب محتوم[3].

وفي المذهب الحنبلي كذلك قولان: الوجوب والجواز[4].

واستدل القائلون بعدم الوجوب بما يلي:

• قوله ﷺ: «كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل»[5].

• قصـــة ابْني آدم فلم يدافع المقتول عن نفســـه وإنما قال: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨][6].

ويبـــدو - والله أعلم - أن الدفاع عن النفس واجب، إلا إذا كان فـــي الدفع بالقتل فتنة عامة أو موتُ خلق كثير؛ أما إذا لم يكن الأمر كذلك فيجب الدفع.

والنهـــي عن القتل في الحديث الســـابق محمول على زمن الفتنة حيث يُشكِل الأمر[7].

وقيـــل: إن النهـــي إنما هو في آخر الزمـــان حيث يحصل التحقق أن المقاتَلة إنما هي في طلب الملك[8].

وقول أحد ابنَي آدم: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾، يعني لا أبسط يدي إليك لغرض قتلك؛ وإنما أبسط يدي إليك لغرض الدفع[9].

وذكـــر ابن عاشـــور أن الدفاع بما يفضي إلـــى القتل كان محرماً، وأن هذه شـــريعة منسوخة، لأن الشرائع تبيح للمعتدى عليه أن يدافع عن نفسه ولو بقتل المعتدي، لكنه لا يتجاوز الحد الذي يحصل به الدفاع[10].

والدفـــاع عن العرض واجب كذلك باتفـــاق الفقهاء[11] فلا تحل إباحته بحال؛ لأنه لا يقل أهمية عن غيره من الضروريات؛ بل إن عادة العقلاء بذلُ نفوســـهم وأموالهم دون أعراضهم، وما فدي بالضروري فهو بالضرورة أَوْلى؛ ولهذا قال قائلهم:

يَـهُـونُ عَلَيْنَا أَنْ تُـصَـابَ جُسُومُنَا
وَتَسْـلَـمَ أَعْـرَاضٌ لَنَا وَعُـقُـولُ[12]

ووجوب الدفاع عن العرض قائم على كل مســـلم يشـــاهد الاعتـــداء ويمكنـــه ردُّه، ولا يقتصر على المعتـــدى على عرضه فقط[13].

أما الدفاع عن المال فغير واجب عند المالكية والحنابلة[14]، وقال بعض المالكية بالوجوب[15]، وفرَّق الشافعية بين أنواع المال، فقالـــوا لا يجب الدفاع عن مـــال لا روح فيه لأنه يجوز إباحته للغيـــر، وأما ما فيه روح فيجب الدفع عنه إذا قصد إتلافه، ما لم يخشَ على نفسه أو عرضه[16].

شروط دفع الصائل:

يشترط لدفع الصائل ما يلي:

١ - أن يكون ثمة اعتداء: بمعنى أن يحصل الفعل بغير حق، فإذا كان بحق كقتل مستحقِّ القصاص، أو أخذ المال من المدين الممتنع، فهذا لا يعتبَر اعتداءً وإنما هو استعمال لحق.

٢ - أن يكـــون الاعتداء حالّاً: فإذا كان مهدداً بشـــيء في المســـتقبل فلا يجوز الدفاع؛ لأنه لا دفاع قبل الاعتداء ولا دفاع بعد الانصراف منـــه، ولا يُفهَم من هذا أن ينتظر المعتدى عليه حتـــى يصيبَـــه الصائل بالفعل، بل من حقه أن يســـرع إلى رد الاعتداء المتوقـــع إذا علم أو غلب على ظنه أنه لا يخطئه، وقد عبر الفقهاء عن هذا بوضوح فاعتبروا أن مجرد إشهار السلاح من الصائل كاف لقتله، ما دام السلاح الذي شهره يستعمل في القتل عادة[17].

---

(١) أحكام القرآن، للجصاص: ٢/ ٤٠١. تبيين الحقائق، للزيلعي: ٦/ ١١٠.
(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، لابن عرفة الدسوقي: ٤/ ٣٥٧.
(٣) مغني المحتاج، للخطيب الشربيني: ٤/ ١٩٥.
(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: ٢٨/ ١٧٧.
(٥) قال الصنعاني: (الحديث أخرجه أحمد والطبراني وابن قانع من غير طريق المجهول؛ إلا أن فيه علي بن زيد بن جدعان، وفيه مقال).سبل السلام شرح بلوغ المرام، ط/ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، تحقيق الشيخ محمد الدالي بَلطه، المكتبة العصرية: ٤/ ٦٩. ولفظه عند أحمد: «ستكون فتنة بعدي وأحداث واختلاف؛ فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول فافعل» المسند، حديث خالد بن عرفطة رضي الله عنه، رقم: ٢٢٥٥٢.
(٦) ترتيب فروق القرافي وتلخيصها والاستدراك عليها، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري، ط١/ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق الميلودي بن جمعة والحبيب بن طاهر، مؤسسة المعارف بيروت، ص ٤٠٦.
(٧) نيل الأوطار: ٤/ ٢٥٤.
(٨) سبل السلام شرح بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني: ٤/ ٧٠.
(٩) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٦/ ١٢٠.
(١٠) التحرير والتنوير: ٦/ ١٧١.
(١١) انظر: رد المحتار لابن عابدين: ٥/ ٣٩٧. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: ٤/ ٣٥٧. مجموع الفتاوى: ٢٨/ ١٧٧.
(١٢) إرشاد الفحول، للشوكاني، ص ٣٦٦.
(١٣) الفقه الإسلامي وأدلته، للزحيلي: ٦/ ٤٨٤٥.
(١٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٨/ ١٧٧. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: ٤/ ٣٥٧.
(١٥) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: ٤/ ٣٥٧.
(١٦) مغني المحتاج: ٤/ ١٩٥.
(١٧) انظر: المبسوط، للسرخسي: ٢٤/ ٥٠. الأم، للشافعي: ٧/ ٧٩.

٣ – أن يقـــدِّم المعتدى عليه بيِّنةً تثبت وقوع الاعتداء عليه: لأن مجرد الادِّعاء لا يعفيه من المسؤولية، وإلا استبيحت أموال الناس وأبدانهم بدعوى الاعتداء، فإذا لم تقم له بينة إلا مقالته ودعواه فهو ضامن؛ لأنه لا يؤخذ بدعواه على غيره[١].

٤ – أن يرد الاعتـداء بالقـــوة اللازمة لـردِّه: وذلك بتقديم الأخف فالأخف والأيســـر فالأيســـر؛ فلا يعدل إلى القتل مع إمكان الدفع بدونه. يقول النـــووي: (فيجب على المصول عليه رعاية التدريج والدفع بالأهون فالأهون)[٢].

فإذا أمكن دفع الصائل بالأمر بالمغادرة فليس للمصول عليه أن يجرحـــه أو يقتله، وإذا انصـــرف بالضرب فليس له جَرْحُه، وكذلـــك إذا جرحه جرحاً عطَّله، لـــم يكن له أن يثني عليه لأنه كُفي شـــره، فإن فعل ذلك كان ظالماً ومعتدياً وتحمَّل مســـؤولية فعله بالقصاص منه، لأنه تجاوز حد الدفاع الشرعي[٣].

ويـــدل على مراعاة مبدأ التدرج في المدافعة والممانعة أمره ﷺ بأن ينشد الله قبل المقاتلة، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأله: (أرأيت إن عدا على مالي؟ قال: «انشد الله». قال: فإن أبوا عليَّ؟ قال: «انشـــد الله»، قال: فإن أبوا عليَّ؟ قال: «قاتل، فـــإن قُتلت ففي الجنة، وإن قَتلت ففي النار». قال الشـــوكاني: (فيه من الفقه أن يدفع بالأسهل فالأسهل)[٤].

قلـــت: لأن الضرورة تقـــدَّر بقدرها، فـــإذا زالت الضرورة بالأخف فلا يُلجَأ إلى الأشد، ومهما أمكن التخليص بدون ذلك فعُـــدِل عنه إلى الأثقل لم يُهـــدَر، لأنه لا ضرورة في الأثقل مع إمكان تحصيل المقصود بالأسهل حتى ولو كان كلاماً.

وقد ذهـــب بعض الفقهاء إلى القـــول بوجوب الهرب على المصول عليه؛ لأن الهرب هو الوســـيلة المناســـبة لدفع الاعتداء بأيســـر ما يمكـــن[٥]. غير أن الهرب لا يقوم مقـــام الدفاع في جميـــع الحالات، فإذا كان الدفاع عـــن المال أو الحريم، فقد لا يستطيع المدافع الهرب بهما، بخلاف ما إذا كان الاعتداء واقعاً على النفس، فهنا قد ينجو بنفســـه بالهرب؛ ولهذا فلا يلزم به دائماً[٦].

ولعل هذا ما جعل المالكية يقيدون القول بوجوب الهرب بما إذا لم تلحقه مشقة أو ضرر، فإذا لحقه ذلك جاز له الدفع[٧].

(١) شرح الزرقاني على الموطأ: ٤/٤٨.
(٢) روضة الطالبين: ١٠/١٨٧.
(٣) انظر: الأم للشافعي: ٧/٧٩. والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، للخطيب الشربيني ط١/١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت: ٢/٤٨١.
(٤) نيل الأوطار: ٤/٢٥٠.
(٥) المغني، ابن قدامة: ٩/١٥٣.
(٦) التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة: ١/٤٨٢.
(٧) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: ٤/٣٥٧.

هل في دفاع المصول عليه ضمان؟

ذهـــب جمهـــور الفقهاء مـــن المالكية والشـــافعية والحنابلة، إلى أن من أريد ماله أو نفسه أو حريمه ولم يمكنه الدفع إلا بالقتل فله ذلك، وليس عليه قود ولا دية ولا كفارة؛ سواء كان الصائل آدمياً مكلفاً أو غير مكلف أو كان بهيمة.

يقول القرافي: (فكل صائل إنســـاناً كان أو غيره، فمن خشي منه فدفع عن نفسه فهو هدر، حتى الصبي والمجنون إذا صالا والبهيمة)[٨].

ويقـــول المرداوي: (فإن لم يحصـــل – أي: الدفع – إلا بالقتل فله ذلك ولا شـــيء عليه، وهو المذهب وعليه الأصحاب)[٩].

وبمثل هذا القول أخذ الظاهرية كذلك[١٠].

وفي (الإقنـــاع) للخطيب الشـــربيني: (من قصده صائل بأذى في نفســـه أو ماله أو حريمه فقتل الصائلَ فلا ضمان عليه)[١١].

وقد نقل الإمام الصنعاني الإجماع على أن من شهر على آخر ســـلاحاً ليقتله فدفع عن نفسه فقتل الشاهر أنه لا شيء عليه[١٢].

وخالف الحنفية الجمهور فقالـــوا بوجوب ضمان البهيمـــة والآدمي غير المكلَّف كالصبـــي والمجنون[١٣]. واستدلوا بما يلي:

١ – أنه قتل شـــخصاً معصوماً بالنســـبة للصبي والمجنـــون، وأتلف مالاً معصوماً حقاً للمالك بالنســـبة للدابة؛ وذلك لا يسقط الضمان[١٤].

٢ – قياس المصول عليه على المضطر بجامع الإباحة؛ فكمـــا أن إباحـــة طعام الغيـــر عند الضـــرورة لا تنافي الضمان، كذلك يضمن الحيوان مع جواز قتله[١٥].

٣ – أن الآدمـــي المكلف له قصد واختيار فلذلك لم يضمن، والبهيمة لا اختيار لها[١٦].

(٨) الذخيرة، تحقيق محمد بوخبزة، ط١/١٩٩٤م، دار الغرب الإسلامي بيروت: ١٢/٢٦٢.
(٩) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: ١٠/٣٠٣.
(١٠) المحلى بالآثار، لابن حزم: ١١/١٥٦.
(١١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: ٢/٤٨٠.
(١٢) سبل السلام: ٣/٤٦٦.
(١٣) رد المحتار، لابن عابدين: ٥/٣٨٧.
(١٤) الهداية، للمرغيناني: ٤/٤٤٨.
(١٥) المغني: ٩/١٥١.
(١٦) ترتيب فروق القرافي، للبقوري، ص: ٤٠٧.

ونُسِب لأبي يوسف من الحنفية القول بالضمان في الدابة فقط دون الصبي والمجنون، لأن عصمتهما لحقِّهما وعصمة الدابة لحقِّ مالكها، فكان فعلهما مسقطاً للعصمة دون فعل الدابة[1].

ويترجح - والله أعلم - قول الجمهور القائلين بعدم الضمان لأي صائل؛ سواء كان آدمياً أو غيره، ويتأيد هذا بعموم الأدلة التي تبيح مقاتلة الصائل، فلم ينص شيء منها على وجوب الضمان.

أما أدلة الحنفية فيجاب عنها بما يلي:

أما دليلهم الأول: فيجاب عنه بأن ما أتلفه المصول عليه من مال وأنفس، مهدرةٌ وليست معصومة، وإنما زالت عصمتها بالصيال، فلا ضمان في إتلافها.

وأما دليلهم الثاني: فأجاب عنه ابن قدامة - رحمه الله - بأن المصول عليه يفارق المضطر إلى الطعام، لأن الطعام لم يلجئه إلى إتلافه، ولم يصدر منه ما يزيل عصمته؛ ولهذا لو قَتَل المحرم صيداً لصياله لم يضمنه، ولو قتله لاضطراره إليه ضمنه، ولو قتل المكلف لصياله لم يضمنه، ولو قتله ليأكله في المخمصة ضمنه، وغير المكلف في هذا كالمكلف[2].

وأجاب أبو عبد الله البقوري عن استدلالهم الثالث بأن البهيمة لها اختيار اعتبره الشرع، وذلك ظاهر في باب الصيد[3].

وتتعلق بمسألة الضمان قضية أخرى؛ وهي أن الذي يفقأ عين المطلع في داره هل يلزمه الضمان أم لا؟

قال الحنفية والمالكية يسأل جنائياً صاحب الدار في هذه الحالة، فيجب عليه القصاص لأن مجرد النظر بالعين لا يبيح الجناية على الناظر كما لو نظر من الباب المفتوح[4].

وهذا القول مرجوح ترده جملة من الأدلة، منها حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «لو أن رجلاً اطلع عليك بغير إذنك فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح»[5].

قال الصنعاني: (دلَّ الحديث على تحريم الاطلاع على الغير بغير إذنه، وعلى أن من اطلع قاصداً للنظر إلى محل غيره مما لا يجوز الدخول إليه إلا بإذن مالكه، فإنه يجوز للمطَّلَع عليه دفعه بما ذكر، وإن فقأ عينه فإنه لا ضمان عليه، وفي لفظ لأحمد والنسائي وصححه ابن حبان: «فلا دية له ولا قصاص»[6].

ومنها حديث أنس أن رجلاً اطلع في بعض حجر النبي ﷺ فقام إليه النبي ﷺ بمشقص[7] أو بمشاقص، فكأني انظر إليه يَخْتِل الرجل ليطعنه[8].

وغاية ما عوَّل عليه المخالفون قولهم: إن المعاصي لا تُدفَع بمثلها. قال الشوكاني رداً عليه: (وهذا من الغرائب التي يتعجب المنصف من الإقدام على التمسك بمثلها في مقابلة تلك الأحاديث الصحيحة، فإن كلَّ عالم يعلم أن ما أذن فيه الشارع ليس بمعصية؛ فكيف يجعل فقء عين المطلع من باب مقابلة المعاصي بمثلها؟)[9].

وأجاب المخالفون بأن الأحاديث وردت على سبيل التغليظ والإرهاب[10].

وردَّ عليهم بأن ظاهر ما بلغنا عن النبي ﷺ محمول على التشريع، إلا لقرينة تدل على إرادة المبالغة. ثم إن النبي ﷺ نص على إباحة رمي الناظر؛ فكيف يُحمَل فعله على أنه أراد الزجر لا فقء العين؟[11].

وهل تجوز البداءة بإنذار الناظر قبل رميه عند من يقول بعدم القصاص والدية أم لا؟

ذكر ابن دقيق العيد في مسألة الإنذار وجهين للشافعية:

أحدهما: لا يجوز رميه قياساً على البداءة في الدفع بالأهون فالأهون.

والثاني: يجوز لأن النبي ﷺ كان يَخْتِل الناظر ليطعنه؛ أي يراوده ويطلبه من حيث لا يشعر[12].

والوجه الثاني هو الأصح في المذهب كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في (الفتح)[13].

وذكر تاج الدين السبكي أن هذه المسألة مستثناة من قاعدة الدفع بالأسهل فالأسهل[14].

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

---

(١) انظر: الهداية للمرغيناني: ٤/٤٤٨. ونظرية الضرورة الشرعية، للزحيلي، ص١٣٨.
(٢) المغني: ٩/١٥١.
(٣) ترتيب الفروق، ص ٤٠٧.
(٤) انظر: رد المحتار، لابن عابدين: ٥/٣٩٠. والقوانين الفقهية، لابن جزي، ص ٣٦٩.
(٥) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب: من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان. ومسلم، كتاب الآداب، باب: تحريم النظر في بيت الغير.
(٦) سبل السلام: ٣/٤٦٧.
(٧) المشقص: سهم فيه نصل عريض. القاموس المحيط، للفيروز آبادي: ١/٨٤٥.
(٨) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب: من اطلع في بيت قوم ففقئوا عينه فلا دية له.
(٩) نيل الأوطار: ٥/١٨٤.
(١٠) فتح الباري: ١٢/٣٤٣.
(١١) نيل الأوطار: ٥/١٨٤.
(١٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ط١/١٤٢٣هـ، تحقيق حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، ص ٨٧٠.
(١٣) انظر: ١٢/ ٣٤٤. ثم قارن بـ «الأم»، للشافعي: ٧/٨٢.
(١٤) الأشباه والنظائر: ١/٤٧.

الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية

شِقاق أم وفاق؟

فيصل بن علي الكاملي(*)
popedia@windowslive.com

إن الدبلوماسية المعاصرة التي تتعاطاها الكنيسة الرومية الكاثوليكية لم تكن دائماً خيارها الأول للتعامل مع الخصوم عبر التاريخ؛ فصراع الروم والمسلمين في حقبة الحروب الصليبية لا يخفى، بل لا يزال كبراء الكنيسة الكاثوليكية يصرحون بعدائهم لهذا الدين وأهله بين الفينة والأخرى. كما أن اضطهاد الكنيسة لطائفة البروتستانت التي تخالفها في بعض عقائدها قديم قدم الحركة «الإصلاحية» البروتستانتية على يد «مارتن لوثر» عام ١٥١٧م. لكن علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالكنيسة الأرثوذكسية يكتنفها شيء من الغموض الذي سأحاول كشف بعض جوانبه بعون الله.

لا شك أن الكنيستين الشرقية والغربية كانتا خصمين لدودين منذ اختلافهما في القرن الخامس الميلادي حول قضايا «لاهوتية» عُقدَت لها المجامع وأُلِّفت فيها الرسائل من الطرفين ولَعنت كلتا الأمتين أختها. وفي مستهل القرن الحادي عشر الميلادي تفاقم الحال بعد أن رفض بطريرك القسطنطينية الأرثوذكسي «ميخائيل كيرولاريوس» Michael Cerularius الخضوع للسلطة البابوية وأُغلقت كنائس الروم اللاتين في المشرق وظل نفوذ الأرثوذكسية في اليونان وبلغاريا ويوغسلافيا ورومانيا وفلسطين والإسكندرية وروسيا.

في أثناء الحرب الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م هاجم الروم الصليبيون ودمروا القسطنطينية عاصمة الأرثوذكسية حينئذٍ. واستمر الصراع بين الكنيستين إلى يومنا هذا؛ أي ما يقارب ألف سنة. كان هدف الكنيسة الكاثوليكية من هذه المواجهة تدمير أو إخضاع الكنيسة الأرثوذكسية، أو دمجها طوعاً أو كرهاً في الكنيسة الكاثوليكية.

بين عامي ١٤٥٣م (فتح القسطنطينية وسقوط الإمبراطورية البيزنطية) إلى سقوط الإمبراطورية القيصرية الروسية عام ١٩١٧م كانت علاقة الفاتيكان بالكنيسة الأرثوذكسية تمر بمرحلة ركود دبلوماسي من أهم أسبابه انتقال مركز الأرثوذكسية من الشرق إلى الغرب (روسيا المقدسة) حيث ضربت بأطنابها. فكما كانت روما اللاتينية هي «روما الأولى» أصبحت القسطنطينية «روما الثانية». فلما سقطت الدولة البيزنطية على أيدي المسلمين صارت روسيا المعقل الأقوى للكنيسة الأرثوذكسية وموسكو هي «روما الثالثة».

وجدت الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا أرضاً خصبة لاستعادة قوتها وهيبتها، لكنها أخطأت ثانية عندما ارتبطت بالإمبراطورية القيصرية كما ارتبطت مِن قَبلُ بالإمبراطورية البيزنطية، فكان ضعفها متلازماً مع سقوط روسيا القيصرية عام ١٩١٧م. حينها استؤنفت مكائد الدبلوماسية الكاثوليكية حيثما وجدت الأرثوذكسية في البلقان وروسيا وأوروبا الشرقية بل وفي الشرق الأوسط. ولم تتورع الفاتيكان عن سلوك السبل الأخلاقية وغير الأخلاقية في محاولة للقضاء على هذا الخصم العنيد. ولعل ما حصل خلال الحرب العالمية الأولى يبرهن على ذلك.

ففي أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى وقَّع رئيس وزراء بريطانيا «لويد جورج» مع «بازل زاهاروف» ورئيس وزراء اليونان «فينيزيلوس» اتفاقية تنص على منح اليونان عاصمة الأرثوذكسية

القديمة – القسطنطينية. أثارت هذه الاتفاقية زوبعة من الاحتجاجات التي لم تصدر من الدول الغربية بل من الفاتيكان خصم الكنيسة الأرثوذكسية. وأصبحت بريطانيا حقيقةً بالسخط البابوي لما تغافلت عن طلب البابوية بعدم الإقدام على مثل تلك الاتفاقية. فما كان من الفاتيكان إلا أن شرعت تُقلِّب عملاءها الماسون فوجدت في «كمال أتاتورك» خير معين. لقد سُرِّي عن الفاتيكان بانتصار أتاتورك في «إزمير» فتبددت بذلك أحلام اليونان في امتلاك العاصمة الأرثوذكسية القديمة.

أدرك «أتاتورك» أن التحالف مع الفاتيكان سيكون ذا نفع للطرفين فعقد تحالفاً غير معلن منح صلاحيات خاصة للكنيسة الكاثوليكية في تركيا. لكن أعظم ما جنته الكنيسة من هذا التحالف هو الحيلولة دون عودة الكنيسة الأرثوذكسية إلى القسطنطينية. لقد وصفت صحيفة «أوسيرفاتوري رومانو» Osservatore Romano التابعةُ للكنيسة الكاثوليكية انتصار أتاتورك في إزمير بقولها «نصرٌ للبابا عظيمٌ»[1].

ليس ذلك فحسب، بل قرر أتاتورك تحويل مسجد أيا صوفيا الذي كان يصدح بالأذان – بعد أن كان قبلها كنيسة أرثوذكسية – إلى متحف رومي بيزنطي بعد أن استشار الفاتيكان تحسباً لأي ممانعة. لكن الفاتيكان التي تُرعد وتُزبد عادةً إذا ما هُددت مؤسسة كاثوليكية بالعلمنة كانت هذه المرة أصمَتَ من فئران الكنائس، بل شجعت عميلها الماسوني سراً على تدنيس المقدسات غير الكاثوليكية.

وإذا كانت الحرب العالمية الأولى قد حققت للفاتيكان نصراً على الكنيسة الأرثوذكسية فإنها كذلك فتحت لها أفاقاً في التعامل الدبلوماسي الذي سعت من خلاله دائبة لإسقاط الدولتين العثمانية الإسلامية والقيصرية الروسية الأرثوذكسية، وكان ذلك فعلاً.

كان من أسباب اضطراب الكنيسة الأرثوذكسية مقارنةً بالرومية الكاثوليكية ارتباطُها – كما أسلفتُ – بالإمبراطوريات وهو ما عنَى سقوطَها بسقوط دولتها. فلما قامت الثورة البلشفية نُسفت هذه الكنيسة كما نسفت دولتها القيصرية، وتبع ذلك تأميمُ ثروتها الهائلة وتهميش الدور السياسي لقساوستها، وأصبح الفصل بين الدين والدولة حقيقة قائمة.

فهل حزنت الفاتيكان على سقوط كنيسة نصرانية على أيدي الملاحدة؟ كلا! بل عم الفرح والبهجة أروقة كنيسة القديس بطرس في روما؛ فالبلاشفة وإن كانوا ملحدين إلا أنهم خدموا الكنيسة الرومية بالقضاء على خصمها اللدود (الكنيسة الأرثوذكسية)، فلا ريب أن منهج الفاتيكان مكيافيلي صِرْف تبرر فيه الغايةُ الوسيلة. لقد أنجز البلاشفة ما لم تنجزه الكنيسة الكاثوليكية لأكثر من ألف عام ومهدوا لسياسة الهيمنة الغربية على كنائس الشرق التي تمثلت في تحويل كثير من أتباع الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية بالإضافة إلى «الدمج الروحي» لبلغاريا ورومانيا والصرب وأوكرانيا الأرثوذكسية وغيرها داخل الكنيسة الرومية[2]. بل لما نهضت المقاومة الأرثوذكسية لم تبدِ الفاتيكان أي تعاطف معها بل كانت ترجوا أن تَضرب روسيا الملحدة ضربتها القاضية فتنتهي الأرثوذكسية إلى الأبد. وهذا ما صرح به «مونتي» صديق البابا بندكت الخامس عشر قائلاً:

إن قداسته [يعني البابا] يرى أن هذه الجرائم وهذه الدماء ستكون ذات فضلٍ يوماً ما، إن أمكن – بعد انصراف موجة الإلحاد هذه – أن يبشَّر بالكاثوليكية في روسيا. إن بقاء الأرثوذكسية لن يدوم طويلاً، ونهايتها كدين رسمي يتيح فُرَصاً لم تكن لتوجد في ظل حكم القياصرةِ حراسِ الكنيسة [الأرثوذكسية][3].

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية قامت الكنيسة الكاثوليكية باستنفار الكاثوليك في الشرقين (الأدنى والأوسط) فنشأ الحراك الكلداني الكاثوليكي في العراق، والماروني في لبنان، والكاثوليكي القبطي في مصر، وغيرها، ولا تزال هذه الطوائف تشكل ثقلاً كاثوليكاً في أوساط نصارى الشرق الذين كانوا ذات يوم تابعين للكنيسة الأرثوذكسية. ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية بدبلوماسيتها الفريدة تُضيِّق على الكنيسة الأرثوذكسية بينما تستعمل ورقة «اضطهاد» النصارى لتبرير تدخلها في شؤون النصارى من الطوائف الأخرى كما هو الحال في مصر. ولن يَقَر لروما قرار حتى تُجْهِز على كل خصومها. لكن هذا إن حدث مع خصومها من النصارى الأورثوذكس فلن يكون مع أهل الإسلام بعد وعد الله بالنصر.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ. فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللَّهِ! لاَ نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَداً وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَداً».

(1) Avro Manhattan. Vatican Imperialism in the 20th Century (Zondervan, 1965), p. 241.

(٢) مرجع سابق.

(3) Count Sforza. Contemporary Italy (F. Mulker, 1940).

من القلب
إلى الإسلاميين في تونس

أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

سقط النظام التونسي بفضل الله – تعالى – ثم بصلابة الشعب التونسي، وبسقوطه تهاوت كثير من قلاع الظلم والبغي والاستبداد، وبدأ الناس يتنفسون الصعداء ويذوقون طعم الحرية والكرامة.

هرب الرئيس المخلوع غير مأسوف عليه، لكن بقيت أحزاب وتيارات وأعلام يسارية وجدت في عصره مناخاً خصيباً لاجترار الفكر اليساري وتسويقه في الساحة التونسية، وها هي ذي تستفز الشعب التونسي المسلم بدعواتها الإلحادية، وبخطابها المتمرد على ثوابت الشريعة وأصول الإسلام.

والآن تشهد تونس مخاضاً كبيراً يسعى لتشكيل الهوية الجديدة لها؛ فالشعب الذي حُرِم من دينه وعقيدته وقرآنه خلال العقود الخمسة الماضية يتطلع بكل شوق إلى العودة إلى منابعه الأصيلة وحياضه الكريمة، ولكن التيارات اليسارية تشده بتشنج وتوتر ليولي وجهه شطر فرنسا؛ بحجة الحرية تارة، وبحجة الحداثة تارة أخرى، ونحوها من الحجج المتهافتة، وتحاول جاهدة تحريضه على الإسلاميين، واستعداءه عليهم.

إنَّ صراع الهوية الذي تتسارع حدته مع مرور الأيام يتطلب من العلماء والدعاة وأهل الغيرة والإسلام أن يقوموا قومة رجل واحد لاستنقاذ البلد من طغيان اليسار، وتغول الاتجاهات العَلمانية الإقصائية؛ وذلك لن يتأتى إلا بتحصين المجتمع التونسي من لوثاتهم العقدية وغلوائهم الفكرية.

ومع خطورة هذه المعركة فإنني أشفق على إخواني الدعاة والمصلحين في تونس من خلافاتهم الداخلية التي أراها تُضعِف قوتهم، وتشتت جمعهم، وتوهن بنيانهم، وربنا – سبحانه وتعالى – حذرنا من ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ومن منطلق الشراكة في المسؤولية، والمحبة التي تجمع بيننا، وواجب النصيحة الذي أُمرنا به شرعاً، أذكِّر إخواني الفضلاء ببعض الوصايا التي أرجو أن ينفعنا الله - تعالى - بها جميعاً، والذكرى تنفع المؤمنين:

أولاً: قوَّتكم في اجتماعكم:

مما لا تخطئه عين الزائر إلى تونس ذلك الشرخ الغائر بين الإسلاميين - وخصوصاً بين النهضويين والسلفيين - الذي يمتد أثره في معظم الطبقات الدعوية، ويؤثر فيها تأثيراً بالغاً. ولا شك أنَّ هناك اختلافات منهجية وفكرية حقيقية لا يمكن تجاوزها، أو التهوين من أمرها، لكننا أمام خيارين:

أحدهما: أن نشتغل بأنفسنا، ونتدافع في المساجد والمحاضن الدعوية، ونتفاضح في وسائل الإعلام، ومحصلة هذا الخيار: تشتيت الجهود وإضعاف الدعوة. ولا شك أن الاتجاهات العلمانية والأحزاب الليبرالية هي المستفيد الرئيسي من ذلك التدافع، وستسعى لتوظيفه في ترسيخ جذور العلمانية، وما أجمل قول مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله -: (أضيع الأمم أمة يختلف أبناؤها؛ فكيف بمن يختلفون كيف يختلفون؟)[1].

والثاني: أن ندير خلافاتنا بمنهجية علمية منصفة وواعية بخطورة المرحلة وأولوياتها الشرعية، وهذا - في ما أحسب - مقتضى الشرع والعقل. ومن أبرز معالم هذه المنهجية:

١ - إحياء فقه النصيحة، والتواصي بالحق، واتساع الصدر للنقد العلمي البناء، وهذا سبيل أهل الإيمان. قال الله - تعالى -: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

٢ - في مثل هذه النوازل التاريخية ينبغي أن تتسع صدورنا لبعضنا، ونحيي فقه التطاوع والتعاون؛ امتثالاً لقول النبي ﷺ لما بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن: «تطاوعا ولا تختلفا»[2]. والتطاوع يعني الحرص على التوافق والملاينة في الرأي، والبعد عن النزاع والشقاق، وهذا من أخلاق أهل الإيمان، كما قال النبي ﷺ: «المؤمنون هيِّنون لينون، مثل الجمل الأنف: إن قِيِّد انقاد، وإن سيق انساق، وإن أنخته على صخرة استناخ»[3]. وليس المقصود أن يكون الإنسان إمعة مقلداً ضعيف الشخصية؛ وإنما المقصود أن يكون المؤمن متواضعاً لين الجانب مع إخوانه، بعيداً عن التعصب والاعتداد بالرأي.

٣ - أن يكون المعيار الذي توزن به الاجتهادات، وتُقوَّم به المواقف، هو ميزان الكتاب والسنة، امتثالاً لقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]. ولقوله - عز وجل -: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

والفرق بين الإسلاميين وغيرهم، أن الإسلاميين يحملون رؤية شرعية ملتزمة بنصوص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة، تلك الرؤية التي تصوغ الحراك السياسي والفكري صياغة شاملة، وتضبط جميع المشاريع والمواقف وردود الأفعال بموازين منهجية محكمة؛ امتثالاً لقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ومن واجبنا جميعاً أن نرشد المسيرة الدعوية، ونحرص على سلامتها واستقامتها.

٤ - الحرص على العدل والإنصاف، والبعد عن التحيز والتحامل: فالحق يُقبَل من كل من قاله كائناً من كان، والخطأ يرد على صاحبه كائناً من كان، تحقيقاً لقول الله - عز وجل -: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

٥ - من الواجبات التي ينبغي التواصي بها: السعي لإصلاح ذات البين الدعاة، ونزع فتيل التهارش والتقاطع؛ امتثالاً لقول الله - جل وعلا -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله - عز وجل -: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله - سبحانه -: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ

(١) مجلة الرسالة العدد (٧٦).
(٢) أخرجه: البخاري رقم (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).
(٣) أخرجه: العقيلي في الضعفاء الكبير رقم (٢١٤)، وحسنه لغيره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٣٦).

أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

والعاقل المصلح تراه دائماً يدرأ فتنة التنازع، ويبادر إلى تأليف القلوب، ويتقي بالكلمة الطيبة والعمل الصالح كل تحريش أو فرقة تضعف صفوف الصالحين، وهذا من أعظم أنواع البر، وقد صحَّ عن النبي ﷺ قوله: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى. قال: صلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة»[١].

وهذا العمل الجليل لا يكفي فيه الكلام النظري؛ بل ينبغي أن يسارع الرواد والقدوات إلى تقديم مبادرات عملية جادة لرأب الصدع وجمع الشتات وإثبات حُسن النية، وحثاً للطلاب والشباب على تحقيق ذلك.

٦ - الالتزام بالأدب القرآني الكريم الذي يستحث العبد على طيب الكلام ومقابلة الإساءة بالإحسان، كما قال الله - تعالى -: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥]، وكما قال - سبحانه -: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [القصص: ٥٤].

٧ - ومن مقتضيات ذلك الحذر من المهاترات الكلامية، والبعد عن اللجاج والخصومة والمحادة، وينبغي أن نتربى على أخلاق النبوة: فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لم يكن النبي ﷺ سبَّاباً ولا فحَّاشاً ولا لعَّاناً، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: «ماله ترب جبينه»[٢]، وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، وقال: «إن من أحبكم أحسنكم أخلاقا»[٣]، وما أجمل قول عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: (إن أحق ما طهَّر الرجل لسانه)[٤]!

إن من الآفات المحزنة التي تفرق الصفوف، وتزرع الجفوة بين الإسلاميين: العصبية الحزبية أو المشيخية، وعقد المحبة والولاء والتناصر على أساسها، وهذا - بلا شك - من الجهل والظلم الذي يحجب العبد عن رؤية الحقيقة، وقد صحَّ عن النبي ﷺ قوله: «من نصر قومه على غير الحق؛ فهو كالبعير الذي ردي، وهو ينزع بذنبه»[٥].

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٩١٩)، والترمذي رقم (٢٥٠٩). وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٥٠٩).
(٢) أخرجه: البخاري رقم (٦٠٣١) و (٦٠٤٦).
(٣) أخرجه: البخاري رقم (٣٧٥٩) و (٦٠٢٩)، ومسلم رقم (٢٣٢١).
(٤) أخرجه: ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وآداب اللسان (٧/ ٨٠)، رقم (٩٩).
(٥) أخرجه: ابو داود رقم (٥١١٧)، وصححه الألباني في صحيح السنن، وفي صحيح الجامع رقم (٦٥٧٥).

وقد رسم أئمتنا المنهاج القويم الذي ينبغي الالتزام به، وبيَّنوه أوضح بيان، ومن ذلك قول الإمام ابن القيم: (عادتنا في مسائل الدين كلها (دقها وجلها)، أن نقول بموجبها، ولا نضرب بعضها ببعض، ولا نتعصب لطائفة على طائفة، بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق، ونخالفها في ما معها من خلاف الحق، لا نستثني من ذلك طائفة ولا مقالة، ونرجو من الله أن نحيا على ذلك ونموت عليه، ونلقى الله به، ولا قوة إلا بالله)[٦].

٨ - يجب أن تتسع الصدور للاختلاف في المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف: فقد اختلف أصحاب النبي ﷺ وهم خيرٌ من كل من جاء بعدهم، ولم يؤثر ذلك الاختلاف بينهم في استمرار المودة والمحبة، وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية خلافهم بقوله: (وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الأُلفة والعصمة وأخوَّة الدين)[٧]، ونقل الإمام الشاطبي عن بعض المفسرين وَصْف خلاف الصحابة - رضي الله عنهم - بقوله: (وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح، وأخوة الإسلام في ما بينهم قائمة)[٨].

وهكذا كان أئمة الإسلام من بعدهم جيلاً بعد جيل، ومن ذلك قول يونس الصدفي: (ما رأيت أعقل من الشافعي؛ ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى! ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة؟)[٩].

إن الإسلاميين أحوج ما يكونون في هذا الوقت الحرِج إلى مثل هذا الأفق الواسع الذي يؤلف ولا يشتت، ويجمع ولا يفرق، ويؤسس ولا يهدم، ويترفع عن الصراعات الجانبية التي تفسد القلوب، وتذهب بحلاوة الدعوة.

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص:٣٩٣).
(٧) مجموع الفتاوى: (٢٤/ ١٧٢).
(٨) الموافقات: (٥/ ١٦٣).
(٩) سير أعلام النبلاء: (١٠/ ١٦).

ثانياً: إعادة تشكيل الصورة الذهنية للدعاة:

لما قدم النبي ﷺ المدينة يوم الهجرة اجتمع الناس لرؤيته (من أسلم منهم ومن لم يسلم بعد)، وكانت الأعناق مشرئبة لرؤيته، والنفوس تتشوق لملاقاته، والقلوب تتطلع إلى سماعه، وقد وصف هذا المشهد العظيم عبد الله بن سلام – رضي الله عنه – بقوله: (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب).

فما الخطاب الذي رأى النبي ﷺ أن يبدأ به في هذا المشهد العظيم؟

تحدث – بأبي هو وأمي – بأبلغ إشارة وأوجز عبارة، تلخص معالم هذا الدين الجديد الذي يحمله إليهم، وتقدم رسالة واضحة تعمر قلوبهم بالطمأنينة والارتياح. قال عبد الله بن سلام – رضي الله عنه –: وكان أول شيء تكلم به أن قال: «أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[1]، وفي بعض روايات الحديث زاد: «وصِلُوا الأرحام»[2].

فهذه أربع جمل: واحدة منها تنظم علاقة العبد بربه سبحانه وتعالى، وثلاث جمل ترسم معالم المجتمع الجديد؛ فهذا الدين دين المحبة والوئام، جاء ليؤسس مجتمعا تسوده الطمأنينة والأُلفة، والتراحم والتواصل الاجتماعي، وتقوم أركانه على السماحة والرحمة وبذل المعروف، وإخلاص القصد لله – تعالى – والتذلل بين يديه.

وتأمَّل قوله ﷺ: «أفشوا السلام»، فهو يحمل دلالة مهمة تهدف إلى بسط الأمن والسلم، واستنقاذ الناس من الأثرة والتقاطع والتدابر والتعانف الاجتماعي، وتحرره من الفوضى والاحتراب والصراع الاجتماعي والطبقي، وقد فصَّل ذلك في أحاديث أُخَر، منها: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ فقال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[3]، وقوله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[4] وهكذا يجب أن يكون المسلم بشوشاً مع الناس، معطاءً خدوماً، يتميز بالسماحة ولين الجانب.

إن بذل المعروف ونصرة ذوي الحاجات، وإشاعة المحبة والتسامح والابتسامة «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[5] من أبلغ ما يزيل الاحتقان والتوتر في المجتمع، وهذه رسالة في غاية الأهمية يجب أن يحملها الدعاة والمصلحون إلى شعوبهم؛ فبهذه المعاني السامية تتشكل صورتهم الإيجابية المشرقة.

ومما أوصي به أن يعتني به المصلحون: إنشاء مؤسسات اجتماعية؛ تعين الفتيان والفتيات، وتساعد الفقراء والمرضى والأيتام، وتفرِّج كربات المحتاجين والضعفاء، تقضي حاجاتهم... إلخ، وذلك كله من أعظم أبواب البر التي تفتح مغاليق القلوب، وتوثِّق الصلة بالمجتمع، وقد حث على ذلك النبي ﷺ في أحاديث كثيرة؛ فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً. ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد – يعني مسجد المدينة – شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجته حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»[6]

إن ثمة حقيقة مهمة يجب الالتفات إليها في هذه المرحلة، فقد اجتهد الإعلام بمنابره العلمانية الإقصائية المختلفة في تشويه صورة الدعاة والمصلحين، وإثارة الرعب والخوف منهم، وتسويق صورة ذهنية سلبية ملؤها العبوس والتشدد والغلظة، وربما أسهمت أحياناً ممارسات بعض المنتسبين إلى الدعوة في تأكيد ذلك، وبناء قطيعة مع المجتمع.

وفي السياق نفسه من المفيد الإشارة إلى أنه ليس من الحكمة في شيء أن ينعزل الدعاة عن المجتمع، أو يشعروه أنهم كيان منفصل متميز عن بقية الناس، ومن المظاهر التي كنت قد رأيتها عند بعض الدعاة في بعض البلدان، وأراها تتكرر عند بعض الشباب في تونس، تميزهم باللباس الخليجي[7]، وهجرهم

(١) أخرجه: الترمذي، رقم (٢٤٨٥)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه رقم (١٣٣٤).
(٢) أخرجه: أحمد رقم (٢٣٧٨٤)، وصحح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه للمسند، والألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥٦٩).
(٣) أخرجه: البخاري رقم (٦٢٣٦)، ومسلم رقم (٣٩).
(٤) أخرجه: مسلم رقم (٥٤).
(٥) أخرجه: الترمذي رقم (١٩٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥٧٢).
(٦) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير رقم (١٣٤٦٨)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٩٠٦).
(٧) ذكر غير واحد من أهل العلم أن السنة أن يلبس المرء ما اعتاد عليه الناس في بلدانهم، ما لم يكن لباساً محرماً، وكرهوا ثوب الشهرة، وهو ما خالف ثياب أهل البلد. انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح: (٣/ ٣٩٦ – ٣٩٧).

للســـائد في مجتمعهم من مذهب الإمام مالك بن أنس، رحمه اللـــه تعالى؛ وهذا ربما يعطي انطباعـــاً لدى العامة أن هؤلاء الدعاة يمثلون جســـماً غريباً منبتاً منفصـــلاً عن البيئة التي يعيشون فيها!

وأحســـب أن هذه المرحلـــة التي أعقبت الثـــورة المباركة أوجدت فرصة تاريخية للدعاة والمصلحين أن يخاطبوا الشعب مباشـــرة من داخله، بعيداً عن ســـطوة النظام القمعي البائد الذي كمم الأفواه وأفســـد المناخ الفكري. وها هو ذا الشـــعب التونســـي بل العالـــم كله يرصد خطاب الدعاة ومشـــاريعهم العملية، ومن مقتضيات هـــذه المرحلة أن نقدم خطاباً دعوياً مطمئناً متوازناً، قادراً على إعادة تشـــكيل الصورة الحقيقية للدعاة؛ تلك الصورة المشـــرقة التي تعبِّر فيها الأفعال المباركة والمبادرات الإيجابية عن طبيعة الرسالة التي يحملها الدعاة، فـــإذا رآهم الناس استبشـــروا بهم وصدَّقوهـــم، وعرفوا أن وجوههم ليست بوجوه الكذابين.

لكن هـــذا الخطـــاب المطمئِن لا يعني تحريف الشـــريعة، ومجاراة أهواء النـــاس، والانهزام أمام ضغوط الواقع، والتنازل عن بعض أصول الإسلام وثوابت الدين؛ فـــ «من التمس رضاء الله بســـخط الناس كفاه الله مُؤْنة النـــاس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس»[1].

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٤١٤). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٣١١).

ثالثاً: انفروا خفافاً وثقالاً:

مرت البلاد التونســـية بعقود متتابعة من القطيعة عن دين الإســـلام، واجتهدت الأنظمة القمعية الباغية على مســـخ الهوية والمعتقَد، وتغريـــب الفكر والثقافة، وتشويه القيم والأخلاق الاجتماعية.

فلمـــا ترهلت تلـــك القلاع العلمانية، ثم ســـقطت ســـقوطاً مدوياً، عاد الناس إلى دينهم عَـــوداً حميداً، وأدرك جميع المراقبين أن الشعب التونسي محب لدينه، فخور بنبيه محمد ﷺ، وأن تلك القطيعة المصطنعة التي فرضها النظام لم تنزع هذه المحبة، ولله الحمد والمنة.

لكن الشعب التونسي أحوج ما يكون في هذه المرحلة إلى الدعاة وطلبة العلم الذين يبصِّرونه بأركان الإسلام، ويعرِّفونـــه بأصول ما أنزل الله، عـــز وجل. ويجب أن تســـتنهَض جميع الطاقات العلمية الدعوية، وتســـتنفَر جميع الجهود للتذكير والتعليـــم والدعوة إلى الله؛ فلا مكان في هذه المرحلـــة التاريخية للعجَزَة القاعدين، أو للمتثاقلين الباطلين. فالأمـــر جدٌّ ليس بالهزل، ووصية اللـــه – عز وجـــل – للأنبياء جميعـــاً – عليهم الصلاة والســـلام – أن يأخذوا هذه المسؤولية بحقها، كما قال اللـــه – عز وجل –: ﴿ **يَا يَحْيَى خُـــذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** ﴾ [**مريم**: ١٢]، وقال – ســـبحانه وتعالى – لبني إسرائيل: ﴿ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُـــم بِقُوَّةٍ** ﴾ [**الأعـــراف**: ١٧١]، ولم يترك النبي ﷺ عذراً لأحد مهما كان تأهيله العلمي أو قدراته الدعوية؛ فهو يأمر الجميع بالبلاغ كلٌّ حســـب وســـعه، في قوله ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية»[2]، ويستحثهم على بذل المعروف في قولـــه: «لا تحقرن من المعروف شـــيئاً ولو أن تلقى أخـــاك بوجه طليق»[3]، وتقصير الدعاة أو تباطؤهم في ذلك يعني أنهم أسلموا الساحة لغيرهم من أهل الأهواء والمفسدين.

ويحسُـــن في هذا المقام تذكير الدعاة والمصلحين بما يأتي:

• الدعوة إلـــى الله تحتاج إلى علـــم وبصيرة: وفي هـــذا يقول المولى – جل وعلا –: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَـــبِيلِي أَدْعُو**

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٣٤٦١)، ونقل ابن حجر عن المعافي النهرواني قوله: (ولو آية: أي واحدة؛ ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قلَّ، ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ) فتح الباري: (٦/٤٩٨).
(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٦٢٦).

﴿إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والتحصيل العلمي يحتاج إلى إعداد وبناء، وكثيراً ما يحدث الخلط والاضطراب عند بعض الدعاة بسبب ضعف العلم وقلة الفقه في الدين. ومن فقه الإمام البخاري أنه قال في كتاب العلم من صحيحه: (باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله – تعالى –: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩])[١].

من الفقه في الدين البدء بالأَوْلى فالأَوْلى، وتقديم ما يجب تقديمه شرعاً من الأعمال والبرامج الدعوية. وفي هذا يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام – رحمه الله –: «لا يخفى على عاقل أن تحصيل المصالح المحضة، ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأن درء المفاسد فأفسدها محمود حسن، وأن تقديم المصالح الراجحة على المفاسد المرجوحة محمود حسن، وأن درء المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن، واتفق الحكماء على ذلك...»، ثم قال: «واعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح، ودرء الأفسد فالأفسد، مركوز في طبائع العباد نظراً لهم من رب الأرباب... ولا يقدِّم الصالحَ على الأصلحِ إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت»[٢].

وتحديد الأولويات يتطلب حواراً وتشاوراً بين الدعاة من أجل تشكيل رؤية دعوية تستوعب احتياجات المجتمع التونسي، وتنهض بالمشروع الإسلامي لتحقيق أهدافه بفاعلية وكفاية. أما الارتجال وغياب الرؤية فإنه سيؤدي – غالباً – إلى ضعف الأثر وقلة التأثير.

من أكبر التحديات التي تواجه العمل الدعوي: القدرة على توظيف الطاقات توظيفاً مثمراً، واستثمار الإمكانات الهائلة التي يملكونها بطريقة واعية. أما حينما نخفق في استيعاب طاقات الشباب، أو نقصِّر في توظيفها وتوجيهها؛ فإنها تضعف ثم تتآكل وتضمر، وربما وُجِّهت بطريقة غير صحيحة تؤثر على قوة العمل الدعوي واستقامته.

ولا شك أن الطاقات التي يُعتمَد عليها – بعد عون الله تعالى – في أي مجتمع هي طاقات قليلة؛ كما قال النبي ﷺ: «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة»[٣]. ولذا ينبغي العناية باكتشاف الرواحل وإعدادها وتوجيهها، لتتحقق ثمرتها، كما ينبغي السعي لإيجاد المشاريع العملية التي تحيي الهمَّة وتستوعب الشباب، وأحسب أن هذا العمل من أَوْلى الأولويات التي ينبغي أن يعتني بها الروَّاد والقادة.

من الوسائل العلمية المفيدة: الحرص على الانطلاق الميداني من خلال المؤسسات أو الجمعيات، وينبغي العناية بتنوع تخصصاتها (علمية، واجتماعية، وثقافية، وشبابية، ونسائية... ونحوها)؛ بحيث يتحقق الشمول والتكامل واستيعاب احتياجات المجتمع.

وبناء المؤسسات سيحقق – بإذن الله – مصالح دعوية كثيرة، لكنه يحتاج إلى تدريب وإعداد، للارتقاء بالطاقات الإدارية التي ستتعاون لإدارتها.

لقد تعرض المجتمع التونسي لعقود من التغريب والتجهيل، ونشأت أجيال لم تسمع إلا بالخطاب العلماني المعادي للدين، وليس من المتوقع أن يتغير المجتمع في يوم وليلة، فيجب على الدعاة أن يصبروا وتتسع صدورهم للمظاهر والأخطاء التي يشاهدونها، ويتحلوا بالرفق واللين في تصحيح الواقع ومعالجة الأخطاء، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؛ فقد امتن عليه رب العالمين بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وكانت وصية النبي ﷺ لأصحابه – رضي الله عنهم – بالتيسير والرفق عند تبليغ الدعوة؛ فعن أبي بردة – رضي الله عنه – قال: بعث النبي ﷺ جده أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن، فقال: «يسرا ولا تعسرا، بشرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[٤]. وقال لعائشة – رضي الله عنها –: «يا عائشة! عليك بالرفق؛ فإنه لم يكن في شيء إلا زانه، ولم ينزع من شيء إلا شانه»[٥]. وعن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُحرَم الرفق يحرم الخير»[٦].

أيها الأحباب! أمام الدعاة معترك صعب، يستخدم فيه بعض المناوئين من الملأ المتنفذين، وبعض الأحزاب اللائكية المعادية، أساليب رخيصة في المكر والمكايدة والمخاصمة، وينبغي أن يكون الدعاة على يقظة من ذلك، ويتميزوا بالنباهة والذكاء؛ حتى لا يُستدرَجوا إلى معارك جانبية على حساب القضايا الكبرى، أو يُستفَزوا للوقوع في مشكلات تكون ذريعة لإقصائهم أو تشويه صورتهم.

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم: (١/ ١٥٩).
(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: (١/ ٤ – ٥).
(٣) أخرجه: البخاري رقم (٦٤٩٨)، ومسلم رقم (٢٥٤٧).
(٤) أخرجه: البخاري رقم (٦١٢٤)، ومسلم رقم (١٧٣٣).
(٥) أخرجه: مسلم رقم (٢٥٩٤).
(٦) أخرجه: مسلم رقم (٢٥٩٣).

مكايد الشيطان...
وطرق الوقاية منها

خالد بن محمد الأنصاري

قد بيَّن الله - تعالى - في كتابه الكريم مكايد الشيطان وطُرُق إغوائه للإنسان، فقال في محكم التنزيل حكاية عن إبليس: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾. [الأعراف: ١٤ - ١٧]

إن هذه الآيات الجليلة تبيِّن لنا معالم حَرب مشتدة بين الشيطان وجنده من جهة، وبين أولياء الله وعباده من جهة أخرى، وهذه الحربُ الشعواء لا عاصم للمؤمن منها، إلا استعانته بربه عز وجل:

فلولاك لم يصمد لإبليس عابدٌ؛
فكيف وقد أغوى صفيَّك آدمُ؟

وكذلك تسلُّحه بالعلم النافع والعمل الصالح.

والشرارةُ الأُولَى لهذه الحرب كانت منذ أن خلق الله - سبحانه - نبيه آدم - عليه السلام - ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴾ [طه: ١٢٠]، ومن يومها والحرب سجالٌ بين الشيطان، وبين أولياء الله - تعالى - فتارةً يكون الظهور لجانب الشر، وغالباً تكون الغلبةُ لجانب الخير:

الخير أبقى وإن طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيتَ من زادِ

مكايد الشيطان:

أولاً: الوسوسة: وهي حديث النفس، والصوت الخفي، وتطلَق أيضاً على صوت الحُلِي يقول الأعشى:

تَسْمَعُ للحلي وسواساً إذا انصرفتْ
كما استعان بريح عِشْرِقٌ زَجِلُ

والوسوسة من أعظم مكائد الشيطان؛ إذ لا يزال بالإنسان يوسوس له ويشككه حتى يخرجه من عقيدة الإسلام، كما جاء في (الصحيحين) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «يأتي الشيطان أحدَكم، فيقولُ: من خلق كذا؟ ومن خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا وجد أحدكم ذلك، فَلْيقل: آمنتُ بالله ورُسُله، فإن ذلك يُذهب عنه».

ثانياً: النسيان: فينسي الإنسانَ ذكرَ ربه، ومجالسة الصالحين، والذب عن هذا الدين، والرد على المخالفين والمستهزئين. قال - تعالى -: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] ومن ذلك قول القائل:

نسيتَ وعدَك، والنسيانُ مصيدةٌ
فاحذر؛ فإن أولَ ناسٍ أوَّلُ الناسِ

وفيه إشارةٌ لقوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه: ١١٥].

ثالثاً: التحريش وإيقاع العداوة بين المسلمين: قال - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ [المائدة: ٩١] فتقع الشحناء بين المسلمين، وبين الإخوة والأصدقاء فيتفرقوا أحزاباً:

وتفرقوا شيعاً؛ فكل قبيلةٍ
فيها أميرُ المؤمنين ومنبرُ

فتُزرعُ البغضاء في القلوب، ويبدأ بالدخول في المقاصد والنيات، ويحرِّش بين الدعاة إلى الله - تعالى - وبين طلبة العلم؛ وذلك

مصداقاً لما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان قد أيسَ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[1].

رابعاً: التخويف: فيخوف الإنسانَ من طاعة ربه؛ فإذا أراد بذل مالٍ في سبيل الله خوفه بالفقر ووعده به. قال – تعالى –: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] وإذا أراد أن يأمر بالمعروف، أو ينهى عن المنكر خوَّفه الشيطان من سوء العاقبة. قال – سبحانه وتعالى –: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

خامساً: القول على الله بغير علم: قال – عز وجل –: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ – ١٦٩]، ومن أمثلة ذلك ما أفادنا به الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه (التعالم)؛ حيث ذكر أمثلةً للمتعالمين في الفتيا والقول على الله بغير علم، ومنها: أن رجلاً كان يفتي كلَّ سائلٍ دون توقُّف، فلحظ أقرانه ذلك منه، فأجمعوا أمرهم لامتحانه بنحت كلمة ليس لها أصل وهي (الخنفشار) فسألوهُ عنها، فأجاب على البديهة بأنه نباتٌ طيبُ الرائحة، ينبت بأطراف اليمن، إذا أكلته الإبل عقد لبنها. قال شاعرهم اليماني:

لقد عقدت محبتكم فؤادي
كما عقد الحليبَ الخنفشارُ

وقال داود الأنطاكي في تذكرته كذا، وقال فلان، وقال النبيﷺ... فاستوقفوه وقالوا: كذبت على هؤلاء، فلا تكذب على النبي ﷺ:

وقال الطانزون له فقيه
فصعَّد حاجبيه به وتاها
وأطرقَ للمسائل أي بانٍ
ولا يدري لَعَمرُك ماطحاها

سادساً: التزيين لفعل المعصية: بالنظر للمرأة الأجنبية، وهو بريد الزنا. ولأن النساء حبائل الشيطان؛ فيجب على الإنسان دحر كيده، بما ثبت من حديث جابر – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «إن المرأة تُقبل في صورة شيطان، وتدبرُ في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فَلْيأتِ أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه»[2].

سابعاً: الغضب: فإذا غضب الإنسانُ لعب به الشيطانُ؛ فتنتفخ أوداجه، ويفقد صوابه، ولا أدل على ذلك مما جاء في الصحيحين عن سليمان بن صُرَد – رضي الله عنه – قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ، ورجلان يستبَّان، فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد؛ لو قال: أعوذ بالله من الشيطان لذهب عنه ما يجد، فقالوا: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون؟» فعلى المسلم أن يملك نفسه عند الغضب، لما ثبت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُرعة؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

طُرُق الوقاية:

أولاً: الاستعاذة بالله سبحانه: قال – تعالى –: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله! إن الشيطان قعد بيني وبين صلاتي؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خِنزَب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك».

ثانياً: البسملة: فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ وَقَالَ بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَرُزِقَا وَلَداً لَمْ يَضُرُّهُ الشَّيْطَانُ».

ثالثاً: الجماعة: لأن الجماعة منفرةٌ للشياطين، فقد ثبت في السنن من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنه – قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ فَعَلَيْكُم بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ».

رابعاً: سجود التلاوة: فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ يَا وَيْلِي – أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ».

خامساً: قراءة القران: لأن قراءته منفرة للشياطين، لما ثبت في صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِى تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

وأخيراً أسأل الله – عز وجل – أن يقينا شر الشيطان وشركه، وأن يجعلنا في زمرة عباده الصالحين.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

اقتران الأموال والأولاد في القرآن... حِكَمٌ وأسرار

د. توفيق علي زبادي

إن الأموال والأولاد قد تكون نعمة يسبغها الله على عبد من عباده؛ حين يوفِّقه إلى الشكر على النعمة، والإصلاح بها في الأرض، والتوجه بها إلى الله؛ فإذا هو مطمئن الضمير، ساكن النفس، واثق من المصير؛ فكلما أنفق احتسب وشعر أنه قدَّم لنفسه ذخراً، وكلما أصيب في ماله أو بنيه احتسب؛ فإذا السكينة النفسية تغمره. والأمل في الله يُسَرِّي عنه.

وقد تكون نقمة يصيب الله بها عبداً من عباده؛ لأنه يعلم من أمره الفساد والدخل؛ فإذا القلق على الأموال والأولاد يحوِّل حياته جحيماً، وإذا الحرص عليها يؤرِّقه ويُتلِف أعصابه، وإذا هو ينفق المال حين ينفقه في ما يتلفه ويعود عليه بالأذى، وإذا هو يشقى بأبنائه إذا مرضوا ويشقى بهم إذا صحُّوا. وكم من الناس يعذَّبون بأبنائهم لسبب من الأسباب! وهؤلاء الذين يملكون الأموال ويرزقون الأولاد، يُعجِب الناسَ ظاهرُها، وهي لهم عذاب[1].

لقد قرن الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم الأموال والأولاد في أربعة وعشرين موضعاً قُدِّمَت فيها الأموال على الأولاد، وفي موضعين قُدِّمَ الأولاد على الأموال؛ فما الحكمة والسر في ذلك؟

الحكم والأسرار المطلقة لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى - ولكن سوف نذكر ما فتح الله به على بعض المفسرين من حكم وأسرار.

(١) الظلال: ٣/ ١٦٦٦.

الآيات التي قرن الله فيها الأموال والأولاد وقُدِّمَت فيها الأموال على الأولاد:

الآية	السورة	مكان النزول	رقم الآية
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	الكهف	ك	٤٦
﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾	المؤمنون	ك	٥٥
﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ﴾	الشعراء	ك	٨٨
﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾	القلم	ك	١٤
﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾	الكهف	ك	٣٤
﴿إِنْ تَرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا﴾	الكهف	ك	٣٩
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا﴾	مريم	ك	٧٧
﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا﴾	نوح	ك	٢١
﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾	الإسراء	ك	٦
﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ﴾	الإسراء	ك	٦٤
﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾	الحديد	م	٢٠
﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾	نوح	ك	١٢
﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالا وَأَوْلادًا﴾	التوبة	م	٦٩
﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾	سبأ	ك	٣٥
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	الأنفال	م	٢٨
﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾	سبأ	ك	٣٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾	المنافقون	م	٩
﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	التغابن	م	١٥
﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾	الفتح	م	١١
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾	آل عمران	م	١٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾	آل عمران	م	١١٦
﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ﴾	التوبة	م	٥٥
﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ﴾	التوبة	م	٨٥
﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾	المجادلة	م	١٧

وقفات مع الآيات:

المال والبنون زينة وتفاخر في الحياة الدنيا:

قال - تعالى -: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقال - سبحانه -: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾، وقال - تعالى -: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، وقال - تعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا﴾.

قال القرطبي - رحمه الله -: (إنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعاً، وفي البنين قوة ودفعاً، فصارا زينة الحياة الدنيا)(١).

وقال السعدي - رحمه الله -: (أخبر - تعالى - أن المال والبنين، زينة الحياة الدنيا؛ أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسرُّه: الباقيات الصالحات)(٢).

فالمال والبنون زينة الحياة، والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات. ولكنه يعطيهما القيمة التي تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد.

إنهما زينة ولكنهما ليستا قيمة؛ فما يجوز أن يوزَن بهما الناس ولا أن يقدَّروا على أساسهما في الحياة؛ إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأعمال والأقوال والعبادات(٣).

(١) القرطبي: ١٠/ ٤١٣.
(٢) السعدي: ٤٧٩.
(٣) الظلال: ٤/ ٢٢٧٢.

الأموال والأولاد استدراج وإملاء للكافرين ليزدادوا إثماً:

قال – تعالى –: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ – ٥٦]، وعن قتادة – رحمه الله – قال: (مُكِرَ – والله – بالقوم في أموالهم وأولادهم فلا تعتبروا الناس بأموالهم وأولادهم ولكن اعتبروهم بالإيمان والعمل الصالح)[١].

وذلك لأنهم استخدموا أموالهم وأولادهم لأجل الطغيان والاستكبار عن الحق؛ كما قال – تعالى –: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾، وأغروا بهما الناس وصدُّوهم عن سبيل الله؛ كما قال – تعالى –: عن قوم نوح ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا﴾، فذكر أنهم أهل أموال وأولاد؛ إيماءً إلى أن ذلك سبب نفاذ قولهم في قومهم وائتمار القوم بأمرهم؛ فأموالهم إذا أنفقوها لتأليف أتباعهم، وأولادهم أرهبوا بهم من يقاومهم، والمعنى: واتَّبعوا أهل الأموال والأولاد التي لم تزدهم تلك الأموال والأولاد إلا خساراً؛ لأنهم استعملوها في تأييد الكفر والفساد فزادتهم خساراً إذ لو لم تكن لهم أموال ولا أولاد لكانوا أقل ارتكاباً للفساد[٢].

الأموال والأولاد اختبار وامتحان في الدنيا:

قال – تعالى –: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

هذا تنبيه على الحذر من الخيانة التي يحمل عليها المرءَ حبُّ المال؛ وهي خيانة الغلول وغيرها؛ فتقديم الأموال لأنها مظنة الحمل على الخيانة في هذا المقام.

وعطف الأولاد على الأموال لاستيفاء أقوى دواعي الخيانة فإن غرض جمهور الناس في جمع الأموال أن يتركوها لأبنائهم من بعدهم.

(١) الدر المنثور: ١٠/ ٥٨٢.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٩٢.

وجَعْلُ نفس (الأموال والأولاد) فتنة لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما؛ مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكأن وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة.

وعطف قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ على قوله: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ للإشارة إلى أن ما عند الله من الأجر على كفِّ النفس عن المنهيات هو خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد[٣].

والفتنة: هي البلاء والمحنة؛ لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة، ولا بلاء أعظم منهما.

وقد شاهدنا مَنْ ذكر أنه يشغله الكسب والتجارة في أمواله حتى يصلي كثيراً من الصلوات الخمس فائتة.

وقد شاهدنا من كان موصوفاً عند الناس بالديانة والورع، فحين لاح له منصب وتولاَّه، استناب من يلوذ به من أولاده وأقاربه، وإن كان بعض من استنابه صغير السن قليل العلم سيئ الطريقة.

ونعوذ بالله من الفتن. وقُدِّمت الأموال على الأولاد لأنها أعظم فتنة[٤].

والفتنة ليست مذمومة في ذاتها؛ لأن معناها اختبار وامتحان، وقد يمر الإنسان بالفتنة وينجح؛ كأن يكون عنده الأموال والأولاد، وهم فتنة بالفعل فلا يغرُّه المال؛ بل إنه استعمله في الخير، والأولاد لم يصيبوه بالغرور بل علمهم حمل منهج الله، وجعلهم ينشؤون على النماذج السلوكية في الدين؛ لذلك فساعةَ يسمع الإنسان أي أمر فيه فتنة فلا يظن أنها أمر سيئ؛ بل عليه أن يتذكر أن الفتنة هي اختبار وابتلاء وامتحان، وعلى الإنسان أن ينجح مع هذه الفتنة؛ فالفتنة إنما تضر من يخفق ويضعُف عند مواجهتها.

والكافرون لا ينجحون في فتنة الأموال والأولاد، بل سوف يأتي يوم لا يملكون فيه هذا المال، ولا أولئك الأولاد؛ وحتى إن ملكوا المال فلن يشتروا به في الآخرة شيئاً، وسيكون كل واحد من أولادهم مشغولاً بنفسه.

إن الكافر من هؤلاء يخدع نفسه ويغشُّها، ويغتر بالمال والأولاد وينسى أن الحياة تسير بأمر من يملك الملك كلَّه، إن الكافر يأخذ مسألة الحياة في غير موقعها؛ فالغرور بالمال والأولاد في الحياة أمر خادع؛ فالإنسان يستطيع أن يعيش

(٣) التحرير والتنوير: ٩/ ٧٩.
(٤) البحر المحيط: ٨/ ٢٠٩.

الحياة بلا مال أو أولاد. ومن يغتر بالمال أو الأولاد في الحياة يأتي يوم القيامة ويجد أمواله وأولاده حسرة عليه، لماذا؟

لأنــه كلما تذكَّر أن المال والأولاد أبعداه عما يؤهله لهذا الموقف فهو يعاني من الأسى ويقع في الحسرة.

ويقول الحق - سـبحانه - عن هذا المغتـر بالمال والأولاد وهو كافر بالله: ﴿وأولئك أَصْحَابُ النار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وهذا مصير يليق بمن يقع في خديعة نفسه بالمال أو الأولاد[1].

إن فتنة الأمـوال والأولاد عظيمة لا تخفى علـى ذوي الألباب؛ إذ أموال الإنسـان عليها مدار معيشته وتحصيل رغائبه وشهواته، ودفع كثير من المكاره عنه؛ من أجل ذلك يتكلَّف في كسبها المشاقَّ ويركب الصعابَ ويكلفه الشرع فيها التزامَ الحلال واجتنابَ الحـرام ويرغِّبه في القصد والاعتدال، ويتكلَّف العناء في حفظها، وتتنازعه الأهواء في إنفاقها، ويفرض عليه الشـارع فيها حقوقاً معيَّنة وغير معيَّنة: كالزكاة ونفقات الأولاد والأزواج وغيرهم.

وأمـا الأولاد فحبُّهم ممـا أودع في الفطرة؛ فهم ثمـرات الأفئدة وأفلاذ الأكبـاد لدى الآباء والأمهات، ومن ثَمَّ يحملهما ذلك على بذل كل ما يسـتطاع بذله في سبيلهم: من مال وصحة وراحة.

فحب الولد قـد يحمل الوالدين على اقتراف الذنوب والآثام في سـبيل تربيتهـم والإنفاق عليهم وتأثيل الثروة لهم، وكل ذلك قد يؤدي إلى الجبن عند الحاجـة إلى الدفاع عن الحق أو الأمة أو الدين، وإلى البخل بالزكاة والنفقات المفروضـة والحقوق الثابتة، كما يحملهم ذلك على الحزن على من يموت منهم بالسخط على المولى والاعتراض عليه إلى نحو ذلك من المعاصي: كنوح الأمهات وتمزيق ثيابهـن ولطم وجوههن... وعلى الجملة ففتنـة الأولاد أكثر من فتنة الأموال؛ فالرجل يكسب المال الحرام ويأكل أموال الناس بالباطل لأجل الأولاد.

فيجب على المؤمن أن يتقي الفتنتين، فيتقي الأُولَى بكسب المال من الحلال وإنفاقه في سبيل البر والإحسان، ويتقى خطر الثانية من ناحية ما يتعلق منها بالمال ونحوه بما يشـير إليه الحديث. ومن ناحية ما أوجبه الدين من حُسْـن تربية الأولاد وتعويدهم الدين والفضائل وتجنيبهم المعاصي والرذائل[2].

وقال السـمرقندي - رحمه الله -: (إنما ذكـر الأموالَ والأولادَ؛ لأن أكثر الناس يدخلون النار لأجل الأموال والأولاد، فأخبر الله - تعالى - أنه لا ينفعهم فـي الآخرة؛ لكيلا يفني الناس أعمارَهم لأجـل المال والولد؛ وإنما ذكر الله - تعالى - الكفار، لكي يعتبر بذلك المؤمنون)[3].

فعلـى العاقل أن يعتبر بالآيات ولا يغتر بكثرة الأعداد من الأموال والأولاد وعدم اجتهاده؛ لمعاده فإن الله يمتِّعه قليلاً ثم يضطره إلى عذاب غليظ[4].

(١) الشعراوي: (١١٤٢).
(٢) تفسير المراغي: ٩/ ١٩٦.
(٣) بحر العلوم: ١/ ٢٢١.
(٤) روح البيان: ١/ ١٢.

الأمـوال والأولاد قـد تُقعِد المسـلم عن العمل لدين الله:

إن الأمـوال والأولاد قـد تقعـد الناس عن الاسـتجابة خوفاً وبخـلاً. والحياة التي يدعو إليها الإسـلام حياة كريمة، لا بد لها مـن تكاليف، ولا بد لها من تضحيات؛ لذلك يعالج القرآن هذا الحرص بالتنبيه إلى فتنة الأموال والأولاد - فهي موضع ابتلاء واختبار وامتحان - وبالتحذير من الضعف عن اجتياز هذا الامتحان، ومن التخلف عن دعوة الجهاد وعن تكاليف الأمانة والعهد والبيعة؛ واعتبار هـذا التخلف خيانة لله والرسـول، وخيانة للأمانات التي تضطلع بها الأمة المسلمة في الأرض؛ وهي إعلاء كلمة الله وتقرير ألوهيته وحدَه للعباد، والوصاية على البشرية بالحق والعدل ومع هـذا التحذير التذكير بما عند الله من أجر عظيـم يرجح الأموال والأولاد، التي قد تُقعِد الناس عن التضحية والجهاد[5].

فـإذا انتبـه القلب إلى موضـع الامتحان والاختبار، كان ذلك عوناً له على الحذر واليقظة والاحتياط؛ أن يسـتغرق وينسـى ويخفق في الامتحان والفتنة. ثم لا يدعه الله بلا عون منه ولا عوض... فقد يضعف عن الأداء بعد الانتباه؛ لثقل التضحيـة وضخامة التكليـف وبخاصة في موطن الضعف في الأمـوال والأولاد؛ إنما يلـوِّح له بما هو خير وأبقى، ليسـتعين به على الفتنة ويتقوى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنـدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. إنه - سبحانه - هو الذي وهب الأموال والأولاد... وعنده وراءهما أجر عظيم لمن يستعلي على فتنة الأموال والأولاد، فلا يقعد أحد إذن عن تكاليف الأمانة وتضحيات الجهاد[6].

(٥) الظلال: ٣/ ١٤٩٧.
(٦) الظلال: ٣/ ١٤٩٧.

ومن أجل ذلك حذَّر الله المؤمنين من الاشتغال بالأموال والأولاد عن ذكره فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ خص الأموال والأولاد بتوجُّه النهي عن الاشتغال بها اشتغالاً يلهي عن ذكر الله؛ لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إنمائها والتفكير في اكتسابها؛ بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد. ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها، تشغل عن ذكره أيضاً بالتذكير لكنزها؛ بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها.

وأما ذكر الأولاد فهو إدماج؛ لأن الاشتغال بالأولاد والشفقة عليهم وتدبير شؤونهم وقضاء الأوقات في التأنس بهم من شأنه أن ينسي عن تذكُّر أمر الله ونهيه في أوقات كثيرة فالشغل بهذين أكثر من الشغل بغيرهما.

وفيه أن الاشتغال بالأموال والأولاد الذي لا يلهي عن ذكر الله ليس بمذموم[1].

وهنا تساؤل:

لماذا قُدِّمَ في سورتي آل عمران والتوبة البنون على الأموال؟

قال - تعالى - في آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال في التوبة: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

الجواب:

لمَّا يذكر - سبحانه - الحبَّ الفطري يؤخر الأموال؛ لأن الأموال تترك للأبناء؛ يعمل ويكد ويعلم أنه ميت ويترك الأموال للأبناء.

أما في مواطن الإلهاء قدَّم الأموال على الأولاد مع أن حُبَّ الأولاد أكثر لكن الالتهاء بالمال يكون أكثر؛ لذا قدَّم الأموال على الأولاد للتحذير.

قال ابن حيان - رحمه الله -: (لمَّا كان المال في باب المدافعة والتقرب والفتنة أبلغ من الأولاد قُدِّم، بخلاف قوله - تعالى -: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ﴾؛ فإنه ذكر هنا حُبَّ الشهوات، فقدَّم فيه البنين على ذكر الأموال)[2].

وهنا تساؤل أيضاً:

هل طلبُ المال والولد مذمومٌ لما يحدث من وجودهما من آفات ومفاسد؟

الجواب:

إن سنة الأنبياء والفضلاء التحرز في الدعاء بطلب الولد: فهذا زكريا - عليه الصلاة والسلام - تحرَّز فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦].

وتحرَّز إبراهيم فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. [الصافات: ١٠٠]

وتحرز المؤمنون فقالوا: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وتحرز الرسول ﷺ في دعوته لأنس بن مالك - رضي الله عنه - فدعا له بالبركة في ماله وولده فقال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِي مَا أَعْطَيْتَهُ»[3].

والولد إذا كان بهذه الصفة كان نَفْعاً لأبويه في الدنيا والآخرة، وخرج من حد العداوة والفتنة إلى حد المسرة والنعمة.

وهكذا فليتضرع العبد إلى مولاه في هداية ولده، ونجاته في أُولاه وأُخراه اقتداءً بالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والفضلاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٨/ ٢٢٥.

(٢) البحر المحيط: ٢/ ٢٩٥.

(٣) البخاري: بدء الوحي، (٦٣٧٨).

احذروا خطاب:
(مرحباً بكم... تباً لكم)

أحمـــــد فـهـمـي
afahmee@hotmail.com

إنها مسافة هائلة قطعتْها التيارات السلفية في مصر ما بين انتخابات مجلس الشعب المزورة في نوفمبر ٢٠١٠م وبين يونيو ٢٠١١م حين وافقت لجنة الأحزاب للمرة الأولى في تاريخ مصر على تأسيس أول حزب ذي مرجعية إسلامية سلفية (حزب النور).

خمسة أشهر ونصف تفصل بين الحدثين، وخلال هذه المدة تغيرت الرؤية السياسية للتيارات السلفية مائة وثمانين درجة، تبعاً لتغير الظروف بعد ثورة يناير.

وأصبح لزاماً على كل تيار سلفي يؤسس حزباً أن يبني تصوراً سياسياً شاملاً كاملاً، مؤصَّلاً تأصيلاً شرعياً وفكرياً وسياسياً، وهي مهمة ليست سهلة أبداً؛ فأي حزب (إسلامي أو غير إسلامي) يحتاج إلى سنوات من التفكير والممارسة لكي يبني تصوراً نهائياً، لكن التيارت السلفية لا تملك ترف الوقت؛ فهي تبني في أشهر ما أقامه آخرون في عقود، وهو إنجاز كبير لا شك في ذلك.

في هذا التصور، يعمل التأصيل الشرعي إطاراً خارجياً للتحرك السياسي، والتأصيل الفكري يملأ الدائرة بداخل ذلك الإطار وبما لا يتجاوزه في أي اتجاه.

وإنما يحدث الخلل عندما لا يكون الإطار الخارجي محكماً (تأصيل شرعي ضعيف) فيكثر الخروج عنه بقصد أو عن غير قصد، وهي ظاهرة يمكن تعريفها بعبارة مختصرة: عجز طاقة التأصيل الشرعي عن ملاحقة طاقة التحرك السياسي.

كما يقع الخلل أيضاً عندما يكون التأصيل الفكري ضعيفاً فتكون الحركة السياسية نشطة لكنها مضطربة أو لا تملأ المساحة المتاحة، فتُهدَر طاقات وتضيع فرص.

هنا يغفل كثيرون عن إحدى قواعد اللعبة السياسية، وهي أن حساب الأخطاء (الناجمة عن العجز التأصيلي) يكون تراكمياً في أحيان كثيرة؛ فلن يأتيك أحد عند كل خطأ لكي يحذِّرك وينبِّهك، بل سيتركك الجميع تراكمَ أخطائك لتكون ساعة الحساب خصماً من رصيدك أو وجودك.

من تطبيقات (الاضطراب الشرعي الفكري) ظاهرة يمكن أن نسميها بـ (مرحباً بكم... تباً لكم) وهي تتعلق بكيفية التعامل مع القوى والشخصيات العَلمانية في الساحة السياسية والإعلامية؛ إذ يبدو واضحاً (ومتنامياً) في الخطاب السلفي بوادر إزدواجية غير مقبولة؛ ففي الإطار العام وفي وسائل الإعلام نجد خطاباً يتسم بالانفتاح والمرونة، كما نسمع أفكاراً تقبل وجود المخالفين وتعلن التزامها بقواعد اللعبة السياسية، وترفع شعار: مرحباً بكم.

لكن في الخطاب الموجه إلى الجمهور السلفي – وهو أيضا مشمول بالتغطية الإعلامية في ظل الانفتاح – يتم طرح القضية بصياغة مختلفة؛ وكأن الذين يتحدثون لتلك القوى أو يناقشونها يرجعون إلى قواعدهم سريعاً رغبة في غسل أيديهم مما قالوا – على الرغم من خلوِّه مما يناقض الشرع – ودرءاً لاتهامات يتوقعونها، فيُجهدون أنفسهم في التأكيد على عدم (اختراق) الثوابت، وأن المواقف لم تتبدل ولم تتغير، ويرفقون كلامهم بتوجيه شعار مناقض للقوى السياسية العلمانية والليبرالية، هو: تباً لكم.

هذه الفجوة (الازدواجية) يخشى بعضهم أن تتسع تدريجياً مع الدخول الحقيقي في المعترك السياسي بعد الانتخابات، ومع تبلور التخصص داخل بنية التيارات السلفية؛ أعني التمايز مع الوقت بين التخصص الدعوي العلمي، وبين التخصص السياسي.

هذه الفجوة لن يعالجها مزيد من: التلويح المستمر بالثوابت في كل مناسبة من أجل طمأنة النفس وطمأنة الجمهور السلفي؛ ولكن علاجها يكون بسدِّ الخلل (الشرعي الفكري السياسي) وإعادة النظر في عملية التأصيل المتخلفة عن الركب، وهذا التأصيل لن يتحقق ببعض الفتاوى أو التقريرات الشرعية والمقالات الفكرية؛ فالأمر أعقد من ذلك، ويستدعي تشكيل لجنة (أو لجان) وربما يكون الأفضل تأسيس مراكز دراسات متخصصة يكون هدفها الأول هو مواكبة التحرك السياسي، وسدُّ الخلل الناجم وإلغاء هذه الازدواجية التي تنذر مستقبلاً بهوة بين الدعوي والسياسي.

أحدٌ... أحدْ

عبد الغني التميمي

في الأَسْرِ ينتفش الزَّبدْ ... وتُشَدُّ آلافُ العُقَدْ
ويُدرَّب العملاءُ يومياً ... على الدَّور المُعَدّ
في الأسر أغنية الفدا: ... لسنا نخافك يا «لَحَدْ»
بل لا نخاف من اختبى ... من خلف جيشك يا لَحَدْ
كلا ولو ذلاً تماهى ... في اليهود أو اتَّحَدْ
سطع النهارُ وأشرقَتْ ... شمس الفدا والبحرُ مَدّ

■ ■ ■

لن يقبل الذلَّ المُجَاهدُ ... (عنده لله عَهْدْ)
لن يقبلَ السِّلمَ الذليلَ ... ولو على الدنيا اعتمَدْ
ونقولها لغةً بأفواه ... المدافع لا تُرَدْ
ويقولها الطفلُ الرضيعُ ... ومن لذاك الطفل جَدّ
أفواجنا نحو الشهادة ... لا تُعَدُّ ولا تُصَدّ
وبها سنصنع مِنْ ... قوانين الشهادة كلَّ مَجَدْ
إنا لصُنَّاعُ الحياةِ ... لها بدنيانا رَغَدْ
إنَّا إذا اقترب العدوُّ ... إلى حمانا واسْتَعَدْ
طرنا إليه كتائباً ... لم ننتظرْ لقدوم غَدْ
لله غضبتنا تكونُ ... ومنه نلتمس المَدَدْ
لسنا نُغَرُّ بكثرةٍ ... عدداً تَجمَّع أو عُدَدْ
ما فتَّ في عزَماتنا ... مَنْ فرَّ ذلاً أو قَعَدْ
أو بالفُتَاتِ المرِّ ... في الدنيا وفتنتِها فَسَدْ
أو بالحرام من السَّلامِ ... بنى قصوراً واستَبَدْ
أو بالحصار خيانةً ... حازَ المناصب وانفردْ
بدموع أمته تغسَّل ... في الظهيرة وابترد

أَسَـــــــدٌ عـــلـــى أوطـــانِـــهِ ... وعـــلـــى الـــقـــريـــب ابـــنِ الـبـلـدْ
وعـــلـــى الـــعـــدوِّ أُريـــنَـــبٌ ... هـــجـــر الحـــمـــيـــة وافْـــتَـــقَـــدْ
ويـــفـــلـــسـف الجـــبن الـذَّلـيـل ... بـــأنَّـــه عـــين الـــرَّشَـــدْ
بـــاع الأســـيـــر وحـــقَّـــه ... ودمَ الـشـهـيـد ومـــا ولَـــدْ

■ ■ ■

قـــل لـــلأســـيـــر: فـــلا تـهـن ... إن الـــظـــلام لـــه أمَـــدْ
ولـــســـوف يـــنـــدحـــر الـــعـــدوُّ ... ومـــا أعـــدَّ ومـــا حَـــشـــدْ
يـــا أيـــهـــا الـلـيـث الـهـصـور! ... فـــدا حـــذائـــك مـــن جَـــحَـــدْ
اقـــبـــض عـــلـــى جـمـر الـغـضـا ... فَـــلأَنـــت مـــن هـــذا أَشـــدْ
واصـــبـــر عـــلـى نـهـش الـذئـابْ؛ ... لا يـــرهـــبُ الـــذئـــبَ الأَســـدْ
قـلـهـا ولا تـخـشـى الـدُّنـا ... فـلـهـا الـعـدوُّ قـد ارتَـعَـدْ
واجـعـل شـعـارك فـي حـيـاتـك ... (قـــل هـــو الـــلـــه أحـــدْ)
أحـــــدٌ أحـــد أحـــــدٌ أحـد ... أحـــــدٌ أحـــد أحـــــدٌ أحـــدْ
إنـــا إذا حـمـي الـوطـيـسُ ... فـلـيـس يُـرهـبـنـا أَحَـــدْ

الدكتور عبد الستار قاسم في حوار مع البيان :

المعارضة السورية

بحاجة إلى خطاب سياسي موَّحد

أجرى الحوار: أحمد أبو دقة

إن بعض الحقائق الظاهرة يمكن أن توضِّح المستقبل القادم للشعب السوري من خلال تلخيصها شهادة التاريخ دائماً؛ بأن صاحب الحق لا بد منتصر ولو بعد حين، ومع وجود مصالح تتحكم في المواقف الدولية وتقسمها إلى مؤيد للنظام السوري الذي بلغ وَفْق تقرير مجلس حقوق الإنسان الأممي عدد ضحاياه خلال الثورة ٢٦٠٠ شهيد، وأخرى معارضة على استحياء وبتحفظ مثل بعض الدول العربية. يبدو جلياً أن الثورة السورية يدعمها ويساندها الشعب السوري الذي يعلم جيداً أن التاريخ بالنسبة له لن يعود إلى الوراء، ولكنَّ ضعف المعارضة الخارجية وتأخُّرها في إخراج خطاب سياسي موحَّد – من الأكيد أنه سيأتي لاحقاً – يثير شكوكاً حول قدرة النظام على تمزيق المعارضة وعزلها عن الثورة في الداخل التي من المفترض أن تكون هي من يقودها ويوجهها.

وتنبأ المواقف الدولية بأن استخدام الحل العسكري للقضاء على النظام السوري سيكون محفوفاً بالمخاطر بالنسبة (لإسرائيل) التي تمتلك قوة ضغط على الغرب وتخشى من فوضى على حدودها. إن ما يجري سيمهد للإطاحة بالنظام من قِبَل الثورة بتضحياتها فقط، وليس بالاعتماد على الآخرين؛ لأن الآخرين غير أبهين إلا بمصالحهم. ولمعرفة ما قد يحدث في المستقبل القادم على صعيد الأوضاع في سورية حاورتْ مجلة البيان البروفسور عبد الستار قاسم (أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح الفلسطينية):

البيان: ما أسباب تأخُّر إنشاء مجلس وطني لقيادة الثورة، وخروج خطاب سياسي موحَّد للمعارضة السورية؟

د. عبد الستار قاسم: المعارضة السورية شتى ومتنوعة؛ منها في الداخل ومنها في الخارج، ومنها الإسلامي والشيوعي والقومي والوطني والقطري... إلخ، ولم يسبق لها أن عقدت مؤتمرات جادة لتوحيد صفوفها وتوجيهه بوصلتها نحو أهداف معيَّنة. كانت تحصل لقاءات بين أطراف معارِضة خارج البلاد، لكنها لم تبلور برنامجا مشتركاً. وكما هو الوضع في كل الديار السورية، فإن شعب سورية يعتد بنفسه على مستوى عام ومستوى فردي، والفردية هذه تفرز كثيراً من القادة والرؤوس.

البيان: هل تعتقد أن هناك دعماً دولياً للمعارضين، وما هدف هذا الدعم؟

د. عبد الستار قاسم: لا أشك في أن بعض جهات المعارضة السورية الخارجية تتلقى دعماً مادياً وإعلامياً وسياسياً من قوى خارجية وبالتحديد الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا. وبعض أقطاب المعارضة يعيشون في كنف دول غربية ترغب في تغيير الأوضاع السياسية السورية وَفْق أهوائها. لكن علينا الانتباه إلى أن أغلب المعارضة السورية ليست في جيب أحد؛ وإنما هي معارضة سورية شعبية حقيقية مخلصة تبحث عن التغيير وأجواء الحرية.

البيان: ما هي احتمالات تدخُّل الناتو في الملف السوري؟

د. عبد الستار قاسم: الناتو لا يستطيع التدخل في سورية كما فعل في ليبيا؛ ذلك أن الجيش السوري قوي ومدجج بأسلحة حديثة وفتاكة. وإذا أقدم الناتو على مواجهة مع الجيش السوري، فإنه سيجد نفسه في مأزق عسكري حقيقي؛ وخاصة إذا فوجئ بمنظومة متطورة من صواريخ أرض جو. وإن ما يستطيعه الناتو هو تدريب خلايا، وتزويدها بالسلاح، والقيام بأعمال إعلامية وتحريضية، وفرض حصار... إلى غير ذلك.

البيان: هل تعتقد أن الثورة ستؤثر على التعايش السلمي بين طوائف المجتمع السوري؟

د. عبد الستار قاسم: شباب سورية شباب واعون ومحترمون ويقدرون بلادهم، ولديهم درجة عالية من الالتزام الوطني. لن تسمح قوى التغيير في سورية للطائفية والمذهبية أن ترفع رأسها؛ إن وحدة الشعب هي شعار حي لدى الحركة الشعبية السورية.

البيان: هل تتوقع سقوط النظام السوري خلال وقت قصير؟

د. عبد الستار قاسم: ليس من السهل إسقاط النظام في سورية؛ إلا إذا حصلت انشقاقات واسعة في الجيش السوري. ولهذا أتوقع أن تطول الأحداث في سورية، وسيحصل استنزاف كبير في النفوس والأحوال المادية الاقتصادية في سورية.

لقد أبرأت ذمتي باعتباري كاتباً عربياً في ٢٠٠٣/٤/١٤م عندما أرسلت رسالة إلى القيادة السورية، ونشرتها في ما بعد على شبكة الإنترنت قلت له فيها: إن الوطن العربي على وشك الانفجار، وإن الثورات ستنشب في مناطق عدة، وعلى القيادة السورية - إذا كانت تطمح بقيادة العرب - أن تبادر فوراً إلى التغيير وفتح المجال أمام الحريات، وإلا سيكون مصير النظام كمصير أنظمة عربية أخرى ستنهار. وأشك في أن تكون القيادة السورية قد قرأت الخطاب.

البيان: كيف تفسرون الإصرار الروسي والإيراني على دعم بقاء نظام الأسد؟

د. عبد الستار قاسم: هناك مصالح للدول، وكما تفسر سكوت أمريكا على البحرين، يمكن أن تفسر سكوت روسيا على سورية، وكذلك تفسر موقف إيران من النظام السوري. هذه مصالح وتوازنات، لكن إيران وروسيا ستغيران موقفيها إذا استمر النظام السوري على هذه الوتيرة من التعامل مع الشعب. النظام السوري يحرج أصدقاءه، ويفتح شهية أعدائه؛ فإيران في النهاية معنية بصداقة سورية وليس بصداقة شخص محدد، وهكذا روسيا.

البيان: هل تعتقد أن الإسلاميين لديهم ثقلهم في هذه الثورة، أم أن مجزرة حماة لا زالت تردعهم وتجعل تحركهم محدوداً؟

د. عبد الستار قاسم: للإسلاميين ثقل واضح في كل الثورات العربية، وهم موجودون في كل الثورات العربية. وإن حصلت انتخابات حرة نزيهة فإن حركة الإخوان المسلمين ستسجل إنجازات هامة وكبيرة. ومحاولة الأنظمة وتيارات فكرية مناهضة للإسلاميين للحد من دورهم ومحاربتهم لن تفلح في إزاحتهم عن مكانتهم التي باركتها الشعوب، واستطاعوا الحصول على هذه المكان نتيجة مصداقيتهم ، وأكبر دليل على ذلك ما حدث في قطاع غزة.

البيان: يلاحظ كثيرون حالة ضعف من قِبَل المعارضة السورية في الخارج، وهناك خشية أن تؤثر هذه الحالة على الوضع في الداخل السوري؛ بحيث ينقل الصراع بين المعارضة في الخارج إلى الداخل، كيف تعلقون على ذلك؟

د. عبد الستار قاسم: كما قلت أعلاه فإن المعارضة السورية شتى، ولن يوحدها إلا الشعب، أو المتظاهر البسيط الذي لم ينخرط في الحزبية ونشاطات المعارضة.

إن الأحزاب العربية فاشلة كما الأنظمة، وهي المسؤولة عن أغلب التشتت الحاصل في صفوف الثورات العربية، وكلما قلَّت الأحزاب اقترب الشعب من الوحدة. ستجد أحزاب سورية أو تجمعاتها على المستوى الخارجي نفسها تابعة للداخل، ولا تملك خياراً آخر.

و كلما زادت الضحية والمعاناة زاد صمود الثورة واشتد عودها وسنرى مجموعات تتشكل لقيادة هذه الثورة والخروج بها إلى بر الأمان وتحقيق أهدافها بالرغم من قوة الضغط الممارَس عليها، وعزلتها التي تعيشها.

البيان: هل يمكن أن يكون النظام وراء الخلافات التي تعيشها المعارضة في الخارج؟ وما هي العقبات وراء غياب الوحدة في الخطاب السياسي للمعارضة؟

د. عبد الستار قاسم: كل نظام سياسي يعمل على تمزيق المعارضة، والنظام السوري لا يشذ عن هذه القاعدة. والنظام السوري معروف بعدائه للمعارضة وبأساليبه في التعامل مع المعارضة؛ فعمليات القتل التي تمارس اليوم تدلل على أنه من الممكن أن يفعل أي شيء لتحقيق ما يريد، وكلما استطاع تفتيت المعارضة وصنع الخلافات بينها استطاع إطالة أمد صموده؛ لأن المعارضة الخارجية لها أهميتها في حشد الدعم الدولي لصالح الثورة وتسريع نهاية النظام.

البيان: يرى كثيرون أن النظام السوري متماسك ولم يشهد انشقاقات في الصفوف القيادية وخصوصاً في الجيش، ما هو سر هذا التماسك؟

د. عبد الستار قاسم: إن صلابة القيادة السورية تعود لعدة أسباب: أولاً: لهذه القيادة قاعدة اجتماعية واضحة بعكس النظام المصري والنظام التونسي والنظام الليبي. ثانياً: هناك من يؤيدون النظام السوري عن قناعة وليس لأنهم في حزب البعث أو من الطائفة العلوية. والقاعدة الاجتماعية تشكل عادة درعاً للنظام. ثالثاً: التنظيم الأمني السوري محكم وقوي، إنه هو أحد الأسباب الرئيسية للثورة؛ لكنه أيضاً أحد أسباب صلابة النظام. وهناك مواقف قومية لا شك أنها أعطت وجهاً جيداً للنظام عبر السنوات. صحيح أن النظام لم يحرر فلسطين ولم يحرر الجولان، لكن هناك من يرون فيه شيئاً متميزاً عن الأنظمة العربية الأخرى. ورابعاً: فإن النظام قد حقق اكتفاءً ذاتياً إلى حد كبير، ومن الصعب أن تؤثر فيه العقوبات التي تفرضها الدول الغربية.

البيان: كيف تنظر إلى الموقف الإسرائيلي من الثورة السورية؟

د. عبد الستار قاسم: الموقف الإسرائيلي من الثورة السورية له بُعدَين:

الأول: يصبُّ في مصلحة (إسرائيل)؛ وهو أن سقوط النظام وَفْق النظرية الإسرائيلية سيوقف الدعم عن حركات المقاومة الفلسطينية وحزب الله في لبنان؛ لأن إيران ستفقد حليفها الإستراتيجي في المنطقة.

وكذلك البعد الثاني الذي يثير قلق (إسرائيل)، وهو: أنها تخشى أن الحدود التي كانت آمنة خلال العقود الماضية ستكون مضطربة إذا ما سقط النظام وتخشى أيضاً من انتقال أسلحة ثقيلة إلى حركات المقاومة المناهضة (لإسرائيل). وبطبيعة الحال فإن الموقف الإسرائيلي الحالي موقفُ ترقُّب؛ لأن جميع الخيارات غير محسومة بالنسبة للحكومة الإسرائيلية؛ لأن هناك خطراً أمنياً في حال وجدت فوضى على الحدود؛ لأن (إسرائيل) تعتبر نفسها في حالة حرب مع سورية ولم توقع اتفاقية سلام معها. لذلك نرى الإعلام الإسرائيلي يدعم الأسد لكنه لا يريد حرباً بجوار (إسرائيل) في ظل التغيرات الكبيرة التي من حوله والأزمة مع مصر وتركيا.

[المسلمون.. والعالم]

مستقبل ليبيا الأحرار بين الطموحات والواجب
الدكتور جمال أحمد بادي

ملامح النظام السياسي الجديد في ليبيا
زياد عقل موسى

مساجد تونس في رمضان من القيود إلى ثورة العبادة
عاطف بن زينة

ليبيا الإقليمية.. من الشخصنة إلى المأسسة
مصطفى شفيق علاّم

الدور العربي في ليبيا... «محلل» للتدخل الأجنبي!
تحليل: محمد جمال عرفة

ليبيا: فرنسا والغرب ومعركتهم اليائسة لتنصيب حكومة موالية
عامر عبد المنعم

إسلاميو الثورة الليبية... الواقع والمآلات
أحمد عمرو

القبائل الليبية ودورها في تقرير مصير البلاد... «بين الحقيقة التاريخية والرؤية المستقبلية»
أنور محمود زناتي

مرصد الأحداث
جلال سعد الشايب

مستقبل ليبيا الأحرار

بين الطموحات والواجب

الدكتور جمال أحمد بادي(*)

خلاصة: تسائل كثير من المسلمين طيلة العقود الأربعة الماضية: هل كل الليبيين راضون بحكم القذافي؟ هل يحبونه؟ أين أنتم يا ليبيون؟ لماذا لم تثوروا على الظلم يا أحفاد المختار؟ يعتقد الكاتب أن ثورة 17 فبراير المباركة قد أجابت عن كل هذه التساؤلات، وفاقت بأحداثها وبطولاتها كل التوقعات والآمال والتطلعات. يبيِّن المقال أسباب خطأ قراءة أركان النظام الليبي لتداعيات الثورة، ويتناول بالعرض والتحليل أحداث الثورة وبعض منجزاتها في إطار الرؤية التفاؤلية. ويختم بمناقشة أهم الطموحات المستقبلية للبلد التي يجب مراعاتها وإمكانيات التعاطي معها.

(*) أكاديمي ليبي أستاذ مشارك بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ومدير مركز الطلاب الوافدين بالجامعة. وعضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة السابع من أكتوبر بمصراته سابقاً.

أولاً: مقدمات ضرورية:

قيم الإلحاد والزندقة والقراءة الخاطئة: منذ بدء ما أطلق عليه الطاغية القذافي «الثورة الثقافية» في بداية السبعينيات، التي نتج عنها إقفال جامعة البيضاء الإسلامية وحرق مخطوطاتها والكتب التي كانت تحويها مكتبتها، وسحب وإحراق الكتب الدينية من المكتبات العامة بما فيها كتب التفسير والحديث، عرف المثقفون الخيِّرون الليبيون أن معركتهم مع القذافي معركة أيديولوجية. وزاد الأمرَ وضوحاً صدور الكتاب الأخضر بأقسامه الثلاثة وترجمته إلى عشرات اللغات العالمية، وهو الذي يدعو صراحة إلى الاشتراكية ثم فرضه مقرراً دراسياً على طلاب الثانوية العامة وتطور ليصبح مادة رئيسة تحت مسمى الفقه السياسي في الثانوية والجامعات، ثم أكد هذا الشعورَ بعد أن أنشأ طاغية ليبيا ما يسمى بـ (اللجان الثورية) سنة ١٩٧٧م وتوَّج ما طرحه من أيديولوجية جديدة بهتافات: الفاتح عقيدة الفاتح إيمان، وافتتاح الخطب والبرامج والديباجات بقوله وأتباعه زوراً: باسم الفاتح العظيم. ولم يقتصر الأمر على الهتافات؛ بل بدأت في سنة ١٩٨٠م - برعاية ابن عم القذافي أحمد إبراهيم - ما يسمى بالمعسكرات العقائدية لطلاب الجامعات في العطلات الصيفية، وكان يستعرض فيه ذلك الأفَّاك الأثيم تاريخ الأنبياء منذ آدم - عليه السلام - ليصل إلى إسبرطاكوس وفشله في تحرير العبيد لينتهي إلى اكتمال النضوج الفكري بمجيء القذافي (الطاغية) منقذاً ومخلِّصاً للبشرية جمعاء وليس لليبيين فقط. كل ذلك وعلى مدى عقود أسهم في تكوين الخريطة الذهنية الإدراكية للقذافي وأتباعه التي حكموا البلاد من خلالها، وقرؤوا الأحداث، وقيَّموا الناس ومواقفهم وَفْقَ تعرجاتها. وكان من ضمن ذلك سوء قراءتهم وتقييمهم لثورة ١٧ فبراير ونتائجها. ولم يستوعب الطاغية القذافي وحزبه وأتباعه من أعضاء اللجان الثورية، وكتائبه على الرغم من مرور أكثر من ستة أشهر أن هذه الثورة المباركة هي علامة نهاية ظلمهم وجبروتهم وبداية انبلاج فجر الحرية الحقيقية التي كان ينشدها أحفاد المختار.

قيم ثورة ١٧ فبراير ودورها في نجاحها: قامت ثورة ١٧ فبراير منذ انطلاقتها على قيم لم تزدها الأيام والأحداث إلا ترسُّخاً وتجذُّراً. ومن تلك القيم:

الإخلاص لله - تعالى - في نية مقاومة الاستبداد بكل أصنافه وفي مقدمتها رفض كثير من ضباط وجنود الجيش الذين دفعوا حياتهم ثمناً لمواقفهم الأبية الإنصياع لأوامر الطاغية، وانضمام عدد آخر لصف الثوار ممن يسر الله لهم ذلك، ومنها وحدة الصف والهدف والوسائل، ومنها تلاحم أطياف المجتمع، وتعاون أفراده على البر والتقوى في نصرة الحق والمظلوم؛ حتى رأينا الأسرة الواحدة تستضيف عدداً من الأسر الأخرى ممن فروا من جحيم الطاغية ومرتزقته[1] في بيوتهم يشاطرونهم المأوى والمأكل والمصير رغم قلة ذات اليد في تلك الظروف، ومن ذلك نصرة ودعم ثورة الحرية والكرامة كل حسب موقعه واستطاعته: فهذا عالم فاضل يفتي بوجوب الانتفاض ضد الطاغية، وتلك عجوز لم تجد ما تقدم إلا الذهاب للصفوف الأمامية للقتال تزغرد وتدعو للأبطال بالنصر فيسجل ذلك الحدث شابٌ هناك، ويرسله لآخر من شباب سخَّروا مهاراتهم ووقتهم لدعم الثورة على الإنترنت فيضعون ذلك التسجيل المصور على صفحات الفيس بوك تحت عنوان: «بمثل هذا ننتظر النصر من الله»، وأولئك نسوة اجتمعن لطهي الطعام لآلاف المقاتلين على الجبهة، وذاك يوصل الأكل للجبهات فتأتيه قذيفة فيلتحق بركب الشهداء، وهؤلاء عرب وأمازيغ أهل الجبل الغربي يلتحمون لتحرير مدنهم وقراهم.

ثانياً: التفاؤل الحسن لمستقبل ليبيا في ضوء المعطيات:

لقد كان ﷺ يحب الفأل الحسن، وتأسياً به ﷺ تلوح لنا حقائق تؤكد تفاؤلنا بهذه الثورة المباركة ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

التفاؤل بظاهرة التكبير التي صاحبت كل أحداث الثورة:

شعب التكبير اسم جديد حازه شعب ليبيا الحرة بعد ثورته على الظلم والظالم، وله ظلاله ودلالاته القريبة والبعيدة؛ فمنذ اللحظات الأُولَى قامت الانتفاضة المباركة على التكبير والتحميد؛ سواء الشباب في الجبهات، أو كبار السن في المساجد عبر مكبرات الصوت. بل وفي الجبهات عند بداية معارك التحرير وأثنائها وبعد الانتصارات. بل إن مجموعة من الثوار كانوا محاصرين من كتائب الغدر نفدت ذخيرتهم في إحدى العمارات ولم يدروا ما يصنعون فأشار عليهم أحدهم وقد كان حافظا لكتاب الله أن يخرجوا من العمارة دفعة واحدة وهم يكبرون بأعلى أصواتهم آمرين أعداءهم في الوقت نفسه (أن استسلموا) فرمى حزب الشيطان أسلحتهم واستسلموا لهم في قصة مشهورة. ومن الملاحظ أن التكبير في معظم الأحيان هو تكبيرات العيد لإكرم الله أهل ليبيا بفرحة النصر قبيل أيام

(١) بلغ عدد الذين استضافتهم بعض الأسر إلى عشر أسر في بيوت لا تكفي لأكثر من أسرة بكل حماس وأريحية وطيب نفس.

العيد ليعيشـــوا معاني تلك التكبيرات في أجواء إيمانية ينقطع نظيرها.

التفـاؤل برفض الاسـتعانة بالأجنبي علـى الأرض وبكل إصـرار من المجلس الوطني الانتقالي ومن الثوار ومن عموم أهل ليبيا الأحرار: وقد تم هذا الرفض مرتين:

الأولى: فـــي بداية الثورة على رغم مـــن القصف والدمار والقتل والتشريد.

والثانيـــة: بعد فتـــح طرابلس عندما اقتُرِح عليهم باســـم المحافظة على الأمن في العاصمة ذات الكثافة السكانية ووجود الأماكن الحساسة: كالمطار والسفارات والمصارف وغير ذلك.

التفـاؤل بتغيير أسماء السـاحات: ومنها تغيير أكبر ساحة في طرابلس العاصمة وكانت تعرف باسم الساحة الخضراء إلى ساحة الشهداء.

التفاؤل بمواقف الأمهات والأباء الذين اسـتقبلوا استشهاد أبنائهم بالصبر والتكبير والاحتسـاب: بل رفض بعضهم تقبُّل العزاء فيهم. وبعض الأمهات لهـــن مواقف تتحرك لها الجبال مثل أم الشـــهيد عماد زكري التي[1] دخلـــت على جثمان ابنها بالتكبير والزغاريد وهو موقف تكرر من عدد من الأمهات.

التفـاؤل بسـلوكيات الشـيخ الجليل الأسـتاذ مصطفى عبد الجليل (رئيس المجلس الوطني الانتقالي):

١ - محافظته على الصلوات: افتُقِدَ الأســـتاذ في الصباح الباكر ذات يوم أثناء زيارته لتركيا، فبحث المضيفون عنه، وكانت المفاجأة حين وجدوه عائـــداً من أداء صلاة الصبح في جماعة في إحدى المساجد القريبة مشياً على الأقدام. كما عبَّر الرئيس الفرنســـي عن احترامه للأســـتاذ بقوله: إنه أول مسؤول دولة يستأذنه أثناء إحدى الاجتماعات لأداء الصلاة، وكذا الأمر في زيارته لبريطانيا وشـــهادة رئيس وزرائها بمثل ذلك. وهذا ليس غريباً عن شيخ تخرَّج في جامعة البيضاء الإسلامية.

٢ - إلغاء الربا من جميع مصارف ليبيا تمشياً مع توجيهات الإسلام وأوامره، وإعلان ذلك رسمياً في وسائل الإعلام.

٣ - إعـــادة الاعتبار للمؤسســـات الدينيـــة وفي مقدمتها مؤسسة الإفتاء؛ هذا المنصب الذي ألغاه الطاغية القذافي منذ أيامه الأولى بعد وصوله لسُـــدة الحكم. ولقد تم تعيين الشيخ الصـــادق الغرياني مفتياً لليبيا وهـــو مَن هو في العلم والفضل ويكفيه فخراً دوره المتميِّز في تحريض الشباب على الجهاد من جهـــة، وتحريض أهل المناطق التي لم تنتفض في البداية - بما فيها العاصمة - على الانتفاضة ضد الظلم والعدوان.

التفـاؤل بسـلوكيات الثـوار في رمضـان؛ لتفاؤلهـم هـم بالفتوحـات الإسـلامية في رمضـان: حيـــث زيـــادةُ الجهـــد ومضاعفتُـــه، وإيثارُ الصـــوم على الإفطار طيلة أيام الشـــهر الثلاثين على الرغم من وجود الرخصة، وقد كان من فضل الله في الاستجابة لهذا الفأل أنَّ ثوارنا حققوا أضعاف الانتصارات التي حققوها في غيره من الشـــهور مجتمعـــة وحرروا مناطق ومدناً شتى في أيام معدودات.

ومن المبشـــرات تحرير الثوار لبلدة مهمـــة في غرب ليبيا اســـمها (بدر)؛ حيث اقتحموها وكتب الله لهم النصر يوم غزوة بدر أي الســـابع عشر من رمضان. ثم كانت قمة الفأل في فتح طرابلس التي ربط الثوار فتحها بتاريخ فتح مكة العشـــرين من رمضان وكان لهم ذلك رغم أنه قرار مســـبق استوجب الترتيب له مع أهلها والصبر والمصابرة والإعداد لمدة تصل إلى شهرين.

التفـاؤل بصنيـع الثوار بالسـجود للّه - تعالى - شـكراً بعد تحرير كل منطقة من المناطق المغتصبة: وهو من الاعتراف بالمنة والفضل لله - تعالى - المستحق للحمد وحدَه وهذه الأمور كلها هي من معاني التوحيد وتحقيقه والتحقق به وتصفيته من الشـــوائب ليتم بذلك الإخلاص في العمل النضالي كله لتحرير ليبيا.

التفـاؤل بالحـرص على الـروح العاليـة والأخـلاق المثالية: فقد حرص ثـــوار ١٧ فبراير (أفراداً وقادة) على حُســـن معاملة من يأســـرونهم من قيادات وجنود كتائب الطاغية، والبعد عن روح الانتقام والتشـــفي. فضربوا أروع الأمثال وبهروا أولئك المأسورين بتلك السلوكيات، التي أثرت فيهم؛ لا سيما إذا قارنوها بما يفعلونه هم بمن يمسكون به من الثوار من الإهانة والاعتداء والتنكيل. فلم يملكوا إلا أن يقرُّوا بتلك الحقائق أمام كاميرات التلفاز؛ فأظهروا ذلـــك الإعجاب بما لم يتوقعوه، واعترفوا بـــإن الطاغية القذافي كذب عليهم بأنهم سيقابلون مجرمين سفاحين مصاصي دماء.

التفـاؤل بالفوائد التربوية للثـورة المباركة: وأول ذلك ما ذكره لي أحد المربين بعد مرور أكثر من أربعة أشهر على تحرير بعض مدن ليبيا، وما نتج عن الثورة من مكتســـبات تربوية عبَّر عنها بقوله: «لو أتينا بآلاف المربين واجتهدوا ليل نهار لعشـــرة ســـنوات في تطبيق برامجهم التربوية على شبابنا ما حققوا ما حققته ثـــورة ١٧ فبراير في نفوس الشـــباب وتربيتهم التربية الإيمانية والفكرية، وصقل مواهبهم وتوجيه قدراتهم نحو خدمة بلدهم والتفاني في الذب عنها وتطهيرها من كل أنواع الفســـاد والظلـــم». ويمكن ذكر بعض النمـــاذج العملية لما وصفه المربي الفاضل سابقاً ليتضح مقصود كلامه:

(١) وهو مسجل على موقع (اليو تيوب) على صفحات الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت).

١ قصة وقعت لطبيب ليبي عانى أكثر من ثلاثة عقود من ترسبات كبت وقهر نظام الطغيان نتج عنه إحباط واكتئاب حادَّين، وهو ما أدى به إلى العزلة عن المجتمع. لكن بعد اندلاع الانتفاضة المباركة تغيَّر هذا الطبيب، وخرج من عزلته وانضم لصفوف الثوار ليقوم بواجبه الحسَّاس الذي يتقنه، وشفى الله صدره وأذهب غيظ قلبه، وكأن شيئاً لم يكن من المعاناة والآلام.

٢ قصة الولد العاق الذي لم يتجاوز السابعة عشرة من العمر الذي حيَّر والديه بسلوكه العدواني غير المنضبط، وانضم شابُّنا هذا لصفوف الثوار بعد اندلاع الثورة، فأبلى بلاء حسناً وكان في مقدمة الصفوف يصارع جلاوزة البطش والطغيان وتعركه الحياة الجديدة، ثم يرجع إلى أمه للزيارة بعد مرور الأشهر الطويلة، لتفغر الأم فاها من هول ما رأت من تغيُّر سلوك ابنها إلى الرزانة، وحُسن المعاملة، وحب الخير، وبرِّ الوالدين، والعطف على الآخرين؛ فيا له من مشهد مؤثر يعجز القلم عن تصوير روعته!

٣ طبيب فرنسي يذهب لمجاورة الثوار ويلمس محاسن أخلاقهم، فما كان منه إلا أن أشهر إسلامه. وغربي آخر يمتهن الصحافة ذهب إلى ليبيا ليعيش بين صفوف الثوار وينقل مشاهداته والأحداث التي عاشها وإذا به يسجن مع بعض الثوار ويعيش معاناتهم مرتين ثم ييسر الله تحريرهم على أيدي ثلة أخرى من شباب الثورة فيروي قصته ومعاملة الثوار له داخل السجن وخارجه وهو يبكي.

٤ برامج التوعية الدينية: لقد تبيَّن حجم التجهيل المنهج الذي مارسه الطاغية القذافي على أفراد كتائبه الذين وقعوا في أسر أيدي الثوار؛ حيث لا يحسن بعضهم قراءة الفاتحة ولا كيفية أداء الصلاة بشكل صحيح ولا يحفظون أي شيء من القرآن ولا يُلِم معظمهم بأصول الإسلام التي لا يعذَر أحد بالجهل بها. فما كان من ثوارنا إلا إقامة البرامج التدريبية التعليمية لهؤلاء المساجين. وتحولت ساحات السجون إلى حِلَق للذكر، والتعليم فلا تسل عن الخير الذي ترتب على ذلك.

ثالثاً: مستقبل ليبيا المؤمل في ضوء التفاؤلات:

الاستقرار الأمني: لعل هذا الموضوع يشكل أكبر هاجس لكل أحرار ليبيا ومخلصيها. فالقضاء على بقايا فلول الطاغية، وأتباعه من الطابور الخامس الذين لا يزالون يكنون له الولاء التام يعتبر من أولويات الثوار والجيش الوطني الليبي. يضاف إلى ذلك فرض الأمن في المدن التي تحررت أخيرا وخاصة العاصمة. يتبع ذلك موضوع السلاح والاتفاق على آلية لجمعه من الثوار في الوقت المناسب بعد تحرير كامل البلاد. وقد أحسن المجلس الوطني الانتقالي بدعوة أفراد الشرطة بالرجوع إلى عملهم، وفتح باب الانضمام إلى الجيش الوطني أمام الشباب الليبي. وكانت الندوة الحوارية بين قيادات الجيش الوطني وممثلين عن الثوار والشباب عمل صائب في هذا المضمار. كما يبقى ملف مهم في هذا المجال تفطّن له كثير من شبابنا ويبذلون قصارى جهدهم في التصدي له بالمرصاد ألا وهو ملف المتسلقين. وهو محاولة بعض المنتفعين، والمصلحيين، وبعض البقايا من ركائز عهد الطاغية، والتغريبيين ممن يحاولون قطف ثمار ثورة السابع عشر من فبراير والركوب على دم الشهداء. مما لاشك فيه أن التعاطي مع كل هذه الأمور لا يتم إلا بإخلاص النوايا وتوحيد الكلمة وتضافر الجهود بين كل من يهمه مستقبل

أبرز محطات الثورة الليبية التي اندلعت أواسط فبراير 2011

3 مارس

3/1	الجمعية العامة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة تتبنى قرارا بطرد ليبيا من مجلس حقوق الإنسان.
3/7	قوات حلف شمال الأطلسي (ناتو) تبدأ طلعات مراقبة جوية للأجواء الليبية على مدار الساعة.
3/10	فرنسا تعترف بالمجلس الوطني ممثلاً شرعيًا وحيدًا للشعب الليبي، والنظام الليبي يقطع علاقاته معها.
3/17	مجلس الأمن الدولي يتبنى قرارًا بإنشاء منطقة حظر جوي فوق ليبيا.
3/19	انطلاق عملية "فجر الأوديسة" العسكرية ضد النظام الليبي بمشاركة فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة.
3/20	القذافي يقول على التلفزيون الليبي أنه سيتم فتح مستودعات الأسلحة لتسليح الشعب الليبي كاملا.
3/24	حلف الناتو يوافق على تولي قيادة العمليات العسكرية لدعم منطقة حظر الطيران في الأجواء الليبية.
3/28	قطر تعلن اعترافها بالمجلس الوطني لتكون ثاني دولة بعد فرنسا وأول دولة عربية تعترف بالمجلس.
3/30	وزير الخارجية في نظام القذافي موسى كوسا يصل إلى بريطانيا حيث أعلن استقالته.

■ جلال سعد الشايب

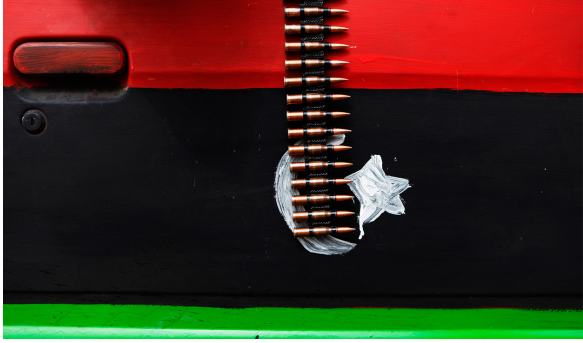

ليبيا الحرة لتكتمل الفرحة ويتحقق النصر التام الذي من أجله قدّم شهداؤنا دماءهم وأرواحهم دونه.

وشكر الله لكم الوسطية والاعتدال: شكك القذافي وأبواقه ومناصروه وبعض المحللين السياسيين في وسطية ثوار ١٧ من فبراير وكالوا لهم الاتهامات بالتطرف والغلو بل والانتماء للقاعدة. وقد ثبت بالبرهان والدليل القاطع بطلان كل تلك الاتهامات. وتحقيقاً للوسطية القائمة واستثماراً لأصولها يمكن الاقتراح في مجال تطوير التعليم الديني أن يستفاد من تجربة ماليزيا في مجالين:

أولهما: فكرة الإسلام الحضاري القائم على اعتماد قيم الإسلام الحضارية لتطوير المجالات التقنية والاقتصادية والصناعية والسياسية.

وثانيهما: اعتماد فلسفة الجامعة الإسلامية في ماليزيا القائمة على الدمج بين معارف الوحي والعلوم الإنسانية وإكساب طلاب الدراسات الإسلامية مهارات التواصل والتفكير وحل المشكلات. يضاف إلى ذلك ما اقترحته في محاضرة رمضانية في إحدى مساجد مصراته سنة ٢٠٠٥م بتجاوز مرحلة تغليب المراجع المتأخرة في الفقه المالكي إلى تدريس الفقه المالكي المقارن الذي تتعدد مصادره وأهمها: البيان والتحصيل، وشرح الميَّارة، وبداية المجتهد.

وضع دستور يعكس ثقافة وقيم المجتمع الليبي: حرص المجلس الوطني الانتقالي على وضع اللمسات المبدئية للدستور الذي ألغى القذافي كلَّ ما يمتُّ له بصلة، وقد تم التأكيد على أن الإسلام هو المصدر الأساسي للتشريع. ويبقى موضوع التفاصيل الذي ترك لأفراد الشعب الليبي كافة الإسهامُ في وضع لمساته وترتيباته وملامحه وخصوصياته. وهنا ينبغي التأكيد على عدم السماح لكل ما من شأنه أن يتعارض مع قيم وثقافة الشعب الليبي الأصيلة؛ وخاصة قيم التغريب التي يريد البعض تمريرها عبر قنوات العولمة الثقافية.

بناء دولة المؤسسات المدنية: لا شك أن هذه المسألة تُعَد من الأولويات؛ فقد حرص القذافي الطاغية مدة حكمه البغيض على طمس المؤسسات المدنية والعلمية والاجتماعية والفكرية. لذا فإن هذا الموضوع يحتاج من أصحاب الخبرات المخلصين تضافرَ الجهود للقيام على تحقيقه بالشكل المناسب الذي يحقق طموحات الشعب الليبي في الحرية والرقي والازدهار.

العناية بالتعليم: ملف التعليم هو الآخر ناله نصيبه من التخريب والدمار الممنهج من قِبَل القذافي الطاغية وأتباعه على كل المستويات. فلا بد من إعادة النظر في المناهج التعليمية، والكتاب المدرسي، والمقررات بما يتماشى مع المعايير العالمية للجودة وهو موضوع قد يأخذ زمناً حتى يتم بالصورة المطلوبة.

إعادة إعمار ليبيا: حرص الطاغية القذافي على إفقار الشعب الليبي، ولم يفعل شيئاً في ما يخص البنية التحتية، ثم اكتملت الصورة السلبية القاتمة بتدميره لكل صور البنية التحتية: من طرق وجسور، ومبان، وكهرباء، وهاتف، ومرافق صحية وغير ذلك؛ على الرغم من أن ليبيا تتمتع باقتصاد يجعلها تحتل المرتبة السابعة بين دول العالم الغنية. وقد سرق الطاغية أموال الشعب الليبي على مدى عقود متتابعة لنفسه وأفراد أسرته وأتباعه ومناصريه. والحمد لله والمنة والفضل؛ فقد تم رصد ما يقرب من مائة وخمسة وستين مليار دولار تخص ليبيا الحرة وتم تجميدها، وهي كافية - بإذن الله - في الإسهام في إعادة إعمار البلد. وهنا نؤكد على ضرورة الشفافية من جهة ووضع آليات تعين على تفادي السرقة والاختلاس بأي صورة كانت.

دور الإعلام: لا يخفى ما للإعلام من دور مهم وحيوي في التوجيه والتوعية ونشر العلم والفضيلة. وقد سيطر القذافي الطاغية على كل وسائل الإعلام وسخرها لخدمة أهدافه وإيديولوجياته وأفكاره السامة، وزرع القيم النشاز، والكذب على الناس. ويمتلك مجموعة محطات للتلفزة والإذاعة المسموعة التي يمكن حسن الاستفادة منها في نشر التوعية الشاملة؛ سواء الدينية أوالتنمية البشرية أوالتوعية الأسرية الاجتماعية أوالثقافية والسياسية وغير ذلك. مع أهمية الحرص ألا تقع تلك المؤسسات الإعلامية في قبضة التغريبيين.

الخاتمة:

نعلم أن الحمل ثقيل، وأن المسؤليات جسام عندما يكون الحديث على بناء بلد مثل ليبيا عانى من القهر والظلم وصور التخلف الممنهج عقوداً من الزمن. لكن من الحقائق المطمئنة توفُّر كفاءات وعناصر وطنية مخلصة بالداخل والخارج في شتى التخصصات والمجالات، ويبقى التحدي الأكبر في عملية البناء - إلى جانب وجود رؤية مستقبلية ذات خطة تفصيلية - في الحرص على وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

مجلة البيان

جديد مجلة البيان

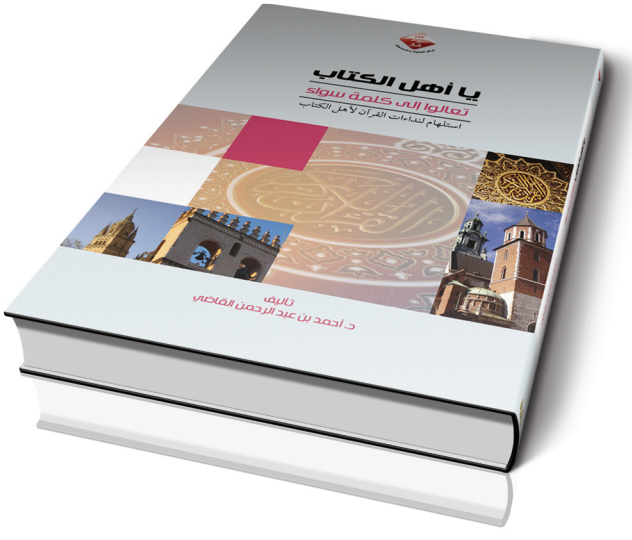

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

ليبيا الإقليمية..

من الشخصنة إلى المأسسة

مصطفى شفيق علاّم(*)

لعله من الصعوبة بمكان أن يضطلع أي محلل سياسي بمناقشة محدِّدات السياسة الخارجية الليبية، أو أن يبحث في دوائر اهتمام الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى! إبان حقبة الأخ العقيد، عميد الحكام العرب، ملك ملوك إفريقيا، أمير المؤمنين معمر القذافي! ولعل باقة الألقاب والمسميات التي خلعها القذافي على نفسه وعلى دولته تكشف لنا عن حجم العشوائية والارتجالية التي كانت تتسم بها الدولة الليبية طوال ما يربو على أربعة عقود من حكم الزعيم الفرد، الأمر الذي يجعل مِنَ المبالغ فيه أن نعتبر ليبيا دولة - أصلاً - بالمفهوم الحديث للدولة في أدبيات العلوم السياسية.

القذافي... حينما تختزل الدولة في شخص:

ويمكن القول: إن الخبرة الليبية في حقل السياسة الخارجية تمثل معضلة حقيقية للباحثين[1]؛ فحينما تتساءل: من الذي يخطط للسياسات في ليبيا؟ ومن الذي يتخذ القرار في السياسة الخارجية الليبية؟ ومن الذي يمتلك وصف المصلحة الوطنية التي تنطلق منها هذه السياسة؟ ومن الذي يغير ذلك الوصف في أي وقت شاء وكيفما شاء؟ فستجد أن الإجابة واحدة لكل الأسئلة السابقة، بل وغيرها من أسئلة الحكم والدولة؛ ألا وهي: معمر القذافي فقط لا غير.

وحينما تختزل الدولة - أي دولة - في شخص واحد، تصبح دراسة هذا الشخص هي مفتاح الفهم لسياسات وسلوكيات هذه الدولة (الشخص) في مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، وهو ما يعرف في أدبيات السياسة الخارجية بأثر ودور القائد السياسي؛ لا سيما مع وصول هذا القائد السياسي إلى سدة الحكم في بلاده بأسلوب يحمل طابعاً دراماتيكياً؛ مثل انقلاب عسكري، أو ثورة شعبية، أو نصر انتخابي ساحق... الأمر الذي يجعل من هيمنة القائد السياسي على مجريات صنع القرار في دولته أمراً محتملاً بشكل كبير حتى في النظم الديمقراطية العريقة نفسها.

وهذا ما حدث مع معمر القذافي الذي وصل إلى سدة الحكم في بلاده بانقلاب عسكري على الملك إدريس السنوسي عام ١٩٦٩م، سمَّاه بثورة الفاتح من سبتمبر العظيم، متأثراً بتجربة انقلاب الضباط الأحرار في مصر، ومتخذاً من الرئيس جمال عبد الناصر قدوة وأسوة ونموذجاً للحكم؛ حيث كان القذافي ينظر إلى نفسه ويروج لحكمه داخلياً وخارجياً باعتباره زعامة كاريزمية تاريخية مستلهماً خطاب عبد الناصر الشعبي في معاداة الإمبريالية الغربية ورفض ممارسات الهيمنة على مقدَّرات الشعوب واستعمارها لبلدانهم بشتى السبل.

ومن ثَمَّ فقد رفعت ليبيا القذافي أهدافاً ثورية شعاراتية لسياستها الخارجية خلال الفترة من ١٩٦٩م وحتى ١٩٩٢م، لعل أهمها: العمل على تحقيق حلم الوحدة العربية، ومقاومة الإمبريالية الغربية بكافة أشكالها، وملاحقة التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا، ودعم النُّظُم والحركات الثورية في العالم الثالث. ثم انقلب الحال في أهداف السياسة الخارجية الليبية مع نهايات القرن الفائت عبر تفكُّك الاتحاد السوفييتي الذي كان يدعم ما يسمى بالنُّظُم الثورية في العالم الثالث وعلى رأسها نظام العقيد القذافي، وما تبعه من هيمنة القطب الأمريكي الأوحد على رأس النظام الدولي، ثم ضلوع ليبيا «الثورية» في تفجير طائرة بان أميركان فوق بلدة لوكربي باسكتلندا عام ١٩٨٨م، وما أعقبه من فرض عقوبات دولية على ليبيا عام ١٩٩٢م، ومن ثَمَّ فقد توجهت بوصلة القذافي منذ ذلك الحين

(*) كاتب وباحث في العلوم السياسية - مصر.

(١) من الدراسات المتميزة التي طرحت كثيراً من الأسئلة البحثية حول معضلات السياسة الخارجية لليبيا في حقبة القذافي، ميلاد مفتاح ميلاد الحراثي، «قضايا التخطيط واتخاذ وتنفيذ القرار في السياسة الخارجية الليبية: أسئلة - والأجوبة الغائبة»، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد ٢٨، خريف ٢٠١٠م.

باتجـــاه مغازلة الغرب (الإمبريالي)؛ فبدأ في الانفتاح التدريجي على القوى الغربية، التي طالما وصفها بالإمبريالية والاستعمارية، وصولاً إلى الانفتـــاح على الولايات المتحدة الأمريكية نفســـها، وتخليه طواعيةً عن برنامجه النووي الوليد وكافة برامج أسلحة الدمار الشامل، وتأكيده عبر تصريحات لابنه سيف الإسلام[1] أن بلاده لم تعد ترى في وجود إسرائيل دولةً تهديداً لأمنها، وأنها لم تعد تعتبر نفسها في مواجهة مع إسرائيل.

كل هذه التحولات الجذرية لسياســـة ليبيا الخارجية، تؤكد لنا حقيقة مفادها أنه كلما اتســـعت دائرة المشـــاركين في صنع القرار السياســـي للدولة من حيث عدد الأفراد، ومن حيث أدوار المؤسسات الدســـتورية الفاعلة، كان ذلك دالة على تطور حقيقي في أداء النظام السياســـي لتلك الدولة، ومـــن ثَمَّ فإن احتمالية النجاح للإســـتراتيجيات والأهداف السياســـية تصبح أكبر من احتمالات الفشـــل والعكس بالعكس. وبما أن توجهات وسياسات ليبيـــا القذافي كانـــت وَفْق ما يتفتق عنه ذهـــن وقريحة الزعيم الفـــرد من أهواء، وما يراه مـــن مواقف، وما يعتقده من مدركات تتســـق ورؤيته للعالم، فقد ظلت السياسة الخارجية لليبيا دائماً خارج نطاق التاريخ، بـــل وخارج نطاق الجغرافيا أيضاً، وهذا ما يدفعنا نحو تحليل الاضطرابات الحاصلة في العلاقات الليبية مع محيطها الإقليمي إبان حقبة القذافي طويلة الأمد.

سياسة ليبيا (القذافي) الإقليمية والدوائر الثلاث:

يمكن تقســـيم الدائرة الإقليمية للسياسة الخارجية الليبية إلـــى ثلاث دوائـــر فرعية، وهـــي: الدائرة المصريـــة، والدائرة المغاربية، والدائرة الإفريقية جنوب الصحراء، وكان تغير ترتيب دوائر الاهتمام في السياســـة الخارجية للدول إنما يندرج تحت أربعة أطر نظرية طبقاً لتحليل تشـــارلز هيرمان[2] (Charles Hermann):

الإطـار الأول: مـــا يمكـــن وصفـــه بالتغيـــر «التكيفـــي» Adjustment Change: ويعني التغير في مســـتوى الاهتمام بقضية ما مع بقاء أهداف الإستراتيجية وأدواتها تجاه التعاطي مع تلك القضية كما هي من دون المساس بها أو تغييرها.

والإطـار الثـاني: وهو ما يطلق عليه التغيـــر «البرنامجي» Program Change: وهـــو ينصـــرف إلـــى تغييـــر أدوات الإستراتيجية ووسائلها من دون أي تغيير في ما يتعلق بالأهداف أو الغايات المقصودة من ورائها.

والإطـار الثالـث: مـــا يســـمى بالتغير «الهدفـــي» Goal Change: وفي هذا النمط تتغير أهداف الإســـتراتيجية ذاتها ومن ثَمَّ تتغير أدواتها ووسائلها بالتبعية.

والإطـار الرابـع: وهو التغير «التوجهـــي» Orientation Change وهو أكثر الأنماط الأربعة تطرفاً وجذريةً؛ إذ ينصرف إلى تغير يمس التوجه العام للسياســـة الخارجية للدولة بما في ذلك تغير الإستراتيجيات وما يتبعها من أهداف وغايات ووسائل وأدوات.

ومن ثَـــمَّ فإنه يمكن القول: إن سياســـة القذافي الخارجية تجاه المحيط الإقليمي لليبيا متمثلاً في الدوائر الفرعية الثلاث ســـالفة البيان، إنما تندرج تحت النمـــط الرابع الأكثر راديكالية وهو التغير التوجُّهي، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تقلُّب المزاج العام للقذافي، وتأثُّر السياسة الخارجية لليبيا بهذا المزاج الحَدِّي الذي ينتقل من النقيض للنقيض بلا أية مبررات منطقية، ما بين السلم والحرب، والصداقة والعداء، والانفتاح والانغلاق... وهكذا. فبعـــد الانبهار والتأثر إلى حد المحاكاة والتقليد لنموذج عبد الناصر في مصر، تجد العداء والكراهية بل والشـــروع في عمل عســـكري ضد خَلَفه الرئيس أنور الســـادات، ومِن تذبذب وعـــدم ثبات في العلاقات مع مصر فـــي حقبة مبارك إلى دعم لمبـــارك أثناء الثورة المصرية بل وأســـف وحزن على الإطاحة به وبحكمه، ومع شـــعارات الوحدة العربية ومحاولات الاندماج في أطر وكيانات عربية جامعة كالاتحاد المغاربي، فإنك تجد انحرافاً عن هذه البوصلة بدعم جبهة البوليســـاريو الانفصالية، ومن ثَمَّ معـــاداة المملكة المغربيـــة الأمر الذي جمّد مـــن فاعلية الاتحاد المغاربي على مدى سنوات، وبعد صراع عسكري ممتد مع الجارة الجنوبية الإفريقية تشـــاد انتهى إلى تنفيـــذ حكم دولي بأحقية تشاد في إقليم (تيزى أوزو) المتنازع عليه، تتحول بوصلة القذافي مجدداً نحو الدعوة إلى إقامـــة الولايات المتحدة الإفريقية على غرار نمـــوذج الولايات المتحدة الأمريكية، والســـعي نحو تحويل منظمة الوحدة الإفريقية إلى الاتحاد الإفريقي ليكون نواة لذلك، وهـــو ما تحقق بالفعل في قمة ســـرت عـــام ٢٠٠١م، تلك التي شـــهدت ميلاد الاتحاد الإفريقي مؤسسةً إقليميةً لحفظ السلم والأمن في القارة السمراء.

---

(١) انظر تصريحات سيف الإسلام القذافي بهذا الشأن، الجزيرة نت: ٨/١/٢٠٠٤م.

(٢) Charles Hermann: «Changing Course: When governments choose to redirect foreign policy», International Studies Qua – terly, No ٣٤، ١٩٩٠، p. ٥.

الدوائر الإقليمية لليبيا ما بعد القذافي:

والسؤال الآن: ما مستقبل السياسة الخارجية لليبيا ما بعد القذافي إزاء محيطها الإقليمي (الدائرة المصرية، والدائرة المغاربية، والدائرة الإفريقية)؟ هناك ثلاثة عوامل أساسية قد تكون حاسمة في تشكيل الإجابة عن تساؤل من هذا النوع؛ وذلك في ما يُعرَف بمفهوم التغير في السياسة الخارجية Foreign Policy Change للدول[1]، وهي:

أولاً: مدركات وتصورات النخبة الجديدة الحاكمة (Perception of the new ruling elite) التي ستفرزها المرحلة الانتقالية الحالية وما بعدها، ومن ثَمَّ رؤية مكونات هذه النخبة الجديدة بشأن الدولة الليبية وقوَّتها المدركة (Perceived Power) ودورها في محيطها الإقليمي وحدود ذلك الدور، وكذلك رؤية النخبة الجديدة بشأن طبيعة النظام الدولي السائد International System وأطره ومكوناته وتفاعلاته وموقع الدولة الليبية من ذلك النظام وحدود التأثير فيه والتأثر به.

وثانياً: البدائل الإستراتيجية المتاحة لسياسات الدولة الليبية الحالية – وهي التي ورثتها البلاد عن حقبة القذافي – ومدى ملاءمة تلك السياسات لتصورات تلك النخبة الجديدة ومدركاتها ورؤيتها على النحو سالف البيان.

وثالثاً: ما يفرضه ذلك التغيير المراد من قِبَل النخبة الجديدة من تكلفة مادية ومعنوية ومدى قدرة الدولة على تحمُّل تبعات وضريبة ذلك التغيير.

لقد انزاحت الغمة عن الليبيين بسقوط نظام القذافي المثير للجدل، وإذا كان الشعب الليبي قد استطاع أن يقتلع نظام القذافي بعد اثنتين وأربعين سنة من الحكم الديكتاتوري الفردي، فإن التحدي الحقيقي بالنسبة لليبيا وشعبها هو مرحلة ما بعد القذافي[2]؛ التي ستكون حاسمة في تحديد معالم الدولة الليبية من حيث هياكلها ومؤسساتها وتوجهاتها الإستراتيجية، لقد ترك القذافي بلاده بلا دولة وبلا سياسة وبلا مؤسسات؛ إذ كانت السياسة الليبية (داخلياً وخارجياً) تدار بشكل شخصي، وعلى أهواء العقيد ومزاجه الحاد المتقلب... لذلك فمن المتوقع والمأمول خلال المرحلة الانتقالية أن ينعطف المجلس الانتقالي بعيداً عن شخصنة السلطة، وأن ينحو باتجاه مأسسة بنية الدولة الليبية بشكل هيكلي سليم وفعَّال، بما يمكِّنها من انتهاج سياسة خارجية متوازنة ومؤثرة في علاقاتها الدولية، قائمة على المصالح المشتركة بينها وبين محيطها الخارجي لا سيما دائرتها الإقليمية بتقاطعاتها الثلاثة.

وأخيراً: فلا يمكننا في هذا الإطار إغفال دور الجوار الإقليمي لليبيا الثروة، لا سيما في دائرته المصرية، في توجيه بوصلة النخبة الليبية الجديدة نحو قضايا الأمة؛ وذلك لئلا تجنح بعيداً عن السرب، بما يصب في مصلحة المتربصين بالثروات الليبية الهائلة من النفط، وخاصة من قوى الناتو التي تريد أن تقبض فاتورة دعمها العسكري واللوجستي للثوار الليبيين على مدى شهور الثورة بدعاوى إنسانية زائفة تخفي وجه الغرب القبيح المتعطش لجني ثروات هذا البلد عبر ثورته وجهاده. إنه على مصر ما بعد الثورة أن تضطلع بدورها القيادي تجاه ليبيا بشكل خاص، وتجاه محيطها الإقليمي العربي والإسلامي بشكل عام، وإذا كانت مصر – باعتبارها قائداً إقليمياً – قد عانت حالة من الانحسار النسبي لدورها إبان حقبة مبارك؛ حيث تراجع حضورها على صعيد ملفات دوائر اهتمامها التقليدية على المستويات العربية والإفريقية ومن ثَمَّ الإسلامية، فإن الدور المصري – لا سيما مع تصاعد الأجواء الثورية الشعبية التي تعيشها المنطقة – لا يزال يحمل بريقاً خاصاً تجد صداه في نفوس كثيرين من أبناء الأمة الإسلامية بما يسهِّل من عبء الاضطلاع بهذه المهمة؛ إذا أرادت مصر ذلك. فلتكن البداية عبر البوابة الليبية المفتوحة على مصراعيها، ومن يطرق الباب يوشك أن يفتح له.

أبرز محطات الثورة الليبية التي اندلعت أواسط فبراير 2011م:

4 فبراير

4/6	القذافي يدعو في رسالة إلى أوباما إلى وضع حدٍّ للحملة العسكرية ضد ليبيا، ويقول: إن الثوار من القاعدة.
4/11-10	القذافي يعلن قبوله خطة الوساطة الإفريقية في الأزمة الليبية، والثوار يرفضونها؛ لأنها لا تنص صراحة على تنحي القذافي وأسرته عن السلطة.
4/29	القذافي يحث الناتو على إنهاء هجماته متهماً إياه بقتل المدنيين الليبيين وتدمير البنية التحتية لليبيا.
4/30	النظام الليبي يعلن مقتل سيف العرب نجل الزعيم الليبي في غارة شنها الحلف الأطلسي على منزل في طرابلس.

■ جلال سعد الشايب

(١) Kjell Goldmann: Change and Stability in Foreign Policy، The Problem and Possibilities of Détente، New York، Harvester، ١٩٨٨، p. ٢٦.

(٢) انظر: أبرز التحديات التي تواجه ليبيا في المرحلة الانتقالية ما بعد سقوط القذافي: علي العنزي، «ليبيا ما بعد القذافي»، الحياة اللندنية: ٢٧/٨/٢٠١١م. وأحمد غلوم بن علي «تحديات ليبيا ما بعد القذافي»، السياسة الكويتية: ٣/٩/٢٠١١م.

الآن..

" من لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أُغلق عليه باب التدبر "

بدر
٠٥٠٨٩٤٨٩٤٧

الرياض ـ هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١

المشاريع ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

إسلاميو الثورة الليبية... الواقع والمآلات

أحمد عمرو
Ahmedamr2001@hotmail.com

من خلال نظرة مقارنة سريعة بين الثورات العربية التي نجحت في تغيير واقعها في كلٍّ من تونس ومصر وليبيا، تبقى التجربة الليبية ذات خصوصية تميِّزُها حتى عن باقي ثورات الربيع العربي، التي لم تنجح بعد كما في اليمن وسورية؛ ليس فقط لأنها الثورة الوحيدة التي دُعمَت عسكرياً من الغرب؛ لكن أيضاً لأن ظهور الإسلاميين فيها كان بشكل واضح بارز للعيان لا يستطيع أحد نكرانه أو تجاهله.

وهو الأمر الذي دعا عدداً من الصحف الغربية للحديث عن قلق غربي من وجود الإسلاميين بكثافة في الثورة الليبية والخشية من تعاظُم دورهم في رسم مستقبل ليبيا القادم.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هو: ما هو دور الإسلاميين في الثورة الليبية؟ وإلى أي حدٍّ يمكنهم التأثير على المشهد السياسي الليبي القادم؟

نظرة على واقع الإسلاميين في ليبيا قبل الثورة:

الواقع الليبي - كما هو شأن كثير من الدول العربية والإسلامية - تنوعت فيه مشارب العمل الإسلامي ما بين الدعوي والجهادي والعلمي؛ فظهر الإخوان المسلمون والجماعة الإسلامية المقاتلة إضافة إلى جماعة التبليغ والتيار السلفي.

إلا أن القمع الشديد لنظام العقيد القذافي يكاد يكون قد ترك البلاد صحراء جرداء من التيارات الإسلامية إلا من بعض الواحات والحالات المعزولة عن التواصل مع المجتمع.

الجماعة الإسلامية المقاتلة:

(تعتبر الجماعة الإسلامية المقاتلة من أهم وأقوى التنظيمات الإسلامية الليبية التي اعتمدت خيار التغيير بقوة السلاح، وخاضت مواجهات عسكرية مع قوات السلطة المتمثلة في الجيش، أو الشرطة، أو اللجان الثورية.

إن إرهاصات ميلاد هذه الجماعة كانت في أوائل ثمانينيات القرن الماضي؛ حيث تزامن مع بداية أعمال العنف التي نفذتها اللجان الثورية عام ١٩٨٠م، واستهدفت عشرات الشخصيات في داخل البلاد وخارجها، ووقعت عدة صدامات بالسلاح بين عناصر الجماعة، وقوات السلطة في داخل البلاد ما بين ١٩٩٥ و ١٩٩٨م، وتقدِّر بعض مصادر التنظيم أن خسائر الجماعة جراء تلك المصادمات بلغت حوالي مائة عضو.

وظل تنظيم هذه الجماعة يعمل بشكل سري في داخل البلاد وخارجها إلى ١٨ أكتوبر ١٩٩٥م؛ حيث صدر أول بيان بشأن الإعلان عن قيام الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا. ومنذ المواجهات التي وقعت بين عناصر الجماعة وقوات الدولة، والتي تصاعدت خلال عامَي ١٩٦٦ و ١٩٩٥، وقيام الأجهزة الأمنية

بتضييق الخناق عليهم، والتمكن من اعتقال العدد الأكبر منهم، انتهى نشاطهم داخل البلاد، ثم جرى اعتقال أميرهم ونائبه من قِبَل مخابرات دولية يعتقد أنها أميركية وسُلِّموا إلى السلطات الليبية عام ٢٠٠٦م. وهنا برز سيف الإسلام القذافي ساعياً لفتح قنوات الحوار عبر مؤسسة القذافي للأعمال الخيرية.

أبدت المؤسسة استعدادها ورغبتها - كما جاء في البيان الإعلامي في ١٥ / ٦ / ٢٠٠٥م - في فتح باب الحوار مع المنتمين لهذه الجماعة في حالة استعدادهم ورغبتهم بذلك الحوار. ثم بدأت الجمعية في سبتمبر ٢٠٠٦م في حوار بنَّاء مع بعض من هؤلاء الجماعات بهدف إقناعهم بالعدول عن العنف.

واستمرت الحوارات مع قيادات الجماعة، شاركت فيها عناصر من كبار ضباط الأمن. وصولاً إلى المراجعات الفقية وتخلِّي الجماعة عن العنف والقتال وأُفرِج عن عدد منهم، ومع بداية العام الجاري أطلق سراح آخر سجناء هذه الحركة، وكان عددهم يقدر بمائة وثلاثة عشر سجيناً تقريباً، وتقول تقارير غربية: إن جزءاً من الثوار الليبيين المشاركين في القتال هم من الجماعة الإسلامية المقاتلة.

حزب التحرير:

كانت بداية حزب التحرير في ليبيا مع حلقات الشيخ حسن عبد اللطيف أبو سلطان الذي كان مدرساً بمعهد التعليم العالي بمدينة بنغازي، وهو فلسطيني من مواليد عام ١٩١٨م. وجرى ترحيله من البلاد عقب الانقلاب عام ١٩٦٩م، وفي العقد السادس من القرن الماضي شهد التنظيم نمواً في أوساط المدارس الثانوية، وفي الكليات الجامعية في كلٍّ من طرابلس وبنغازي، وفي ذلك العام ١٩٧٣م اعتقلت السلطات الليبية جميع (أو جلَّ) قيادات وأعضاء الحزب، وبلغ عددهم نحو أربعين شخصاً ما بين عضو ودارس، وكثير منهم من الشبان الذين تراوحت أعمارهم ما بين السادسة عشرة، والخامسة عشرة بينما أُفرِج عن العدد الأكبر منهم في يوليو عام ١٩٧٤م وأغلبهم من الشبان الصغار، تم الإبقاء على قرابة عشرة من العناصر القيادية. وفي أبريل من عام ١٩٨١م جرى مرة أخرى اعتقال ثلاثين شخصاً من نشطاء الحزب في طرابلس وبنغازي وأجدابيا، وفي أبريل عام ١٩٨٢م جرت محاكمتهم أمام المحكمة الثورية التي حكمت بالإعدام حضورياً على عدد كبير منهم. وقد نُفِّذ حكم الإعدام فيهم جميعاً في إبريل عام ١٩٨٣م، إضافة إلى اغتيال عدد آخر من قيادات الحزب، ويعتقد أن الحزب فقد وجوده في ليبيا بعد حملة الإعدامات والاغتيالات تلك.

جماعة التبليغ والدعوة:

بدأت نشاطها في ليبيا منذ ستينيات القرن الماضي، ومن أشهر رموزها الشيخ مبروك غيث المدهوني، الذي وجد مقتولاً في موسم الحج عام ١٩٨٥م في مدينة جدة، وتقول أوساط المعارضة: إن المستفيد من قتله هو النظام الليبي. وأن عناصر من اللجان الثورية، أو من الأمن هي التي نفذت اغتياله. ويبدو أن نشاط جماعة التبليغ قد توقف في البلاد منذ أواخر ثمانينيات القرن الماضي)[1].

التيار السلفي:

وصل التيار السلفي إلى ليبيا من خلال رحلات الحج والعمرة وتأثر بعض الطلاب الليبيين بنقاء وقوة فكر الشيخ العلاَّمة محمد ابن عبد الوهاب، وفي العقد الثامن من القرن الماضي كانت السوق الليبية مغلقة أمام الكتب الإسلامية. وكان الشباب يبحث عن أي فرصة للحصول على الكتب الإسلامية، والأشرطة. وعندما يجد تلك الفرصة يشتري ما يستطيع، ويحاول إدخالها للبلاد لقراءته ونشره بين الأصدقاء. وكانت الكتب تهرَّب إلى داخل البلاد مثل أي سلعة ممنوعة ويجرِّمها القانون.

وبعد عام ١٩٨٨م تغيرت تلك الحالة نسبياً؛ فالسماح بالسفر للخارج بدون الحاجة إلى تأشيرة خروج سهَّل على القادرين على السفر عملية شراء الكتب وإدخالها إلى البلاد. كما جرى تسهيل دخول كميات من الكتب الإسلامية أثناء تنظيم بعض معارض الكتاب. أما الصحف والمجلات العربية والإسلامية والدولية فقد ظلت ممنوعة من الدخول والتداول بين الناس، وإن سُمِح لبعضها بالدخول فهي قليلة، ولفترات لا تطول.

كل هذا ساهم في ظهور التيارات السلفية في ليبيا؛ وإن كان بعضها قد استُقطِبَ من قِبَل النظام لإكسابه شرعية ولي الأمر، ومع انتشار المظاهر السلفية في ليبيا وُوجِهَت من قِبَل النظام بالعنف والتضييق الشديد؛ حتى إنه من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات وافية عن التيارات السلفية في ليبيا فضلاً عن باقي التيارات الأخرى.

(١) محمود الناكوع، كتاب الحركات الإسلامية الحديثة في ليبيا، (بتصرف).

أبرز محطات الثورة الليبية التي اندلعت أواسط فبراير 2011م:

5 مايو

5/11 الثوار يسيطرون على مطار مدينة مصراتة التي تحاصرها كتائب القذافي.

5/22 الاتحاد الأوروبي يعلن فتح مكتب له في مدينة بنغازي الواقعة تحت سيطرة المجلس الوطني الانتقالي الليبي.

■ جلال سعد الشايب

الإخوان المسلمون:

أدى التقـــارب الجغرافي بين مصر وليبيا إلى ســـرعة تعرُّف المجتمع الليبي على فكر جماعة الإخوان المسلمين خاصة مع فرار كثير منهم خارج مصر نتيجة الأوضاع السياســـية في مصر بعد الثورة واصطدامهم مع نظام عبد الناصر.

وعندما وقع الانقلاب العسكري في الأول من سبتمبر ١٩٦٩م وانتهى النظام الملكي: لم يكن هناك وجود فعلي للتجربة التنظيمية الإخوانية، ولم يتم حلها بصورة حاسمة من قِبَل اللجنة أو الأسرة القيادية.

ولكن في أوائل عام ١٩٧٣م جرى اعتقال قرابة ثلاثين شخصاً في طرابلس أثناء الإعلان عما ســـمي رســـمياً بالثورة الثقافية والإدارية. وكان في مقدمة من تم اعتقالهم اللجنة القيادية، ورغم البدء في إجراءات محاكمة تلك المجموعة؛ إلا أن المحاكمة توقفت بأمر سياســـي، وأفرج عن الجميع إثر خطـــاب للعقيد القذافي رئيـــس مجلس قيادة الثـــورة، قال فيـــه: إذا أراد الإخوان العمل للإســـلام فعليهم أن يعملوا له خارج ليبيا، وأن يتجهوا إلى جمعية الدعوة الإســـلامية، ويهتموا بنشر الإســـلام في إفريقيا وآسيا. وفور الإفراج طلبت المؤسســـة الأمنية (المباحث العامة) من عدد من الشخصيات الاتصال بجمعية الدعوة بطرابلس؛ وذلك تنفيذاً لقـــرار العقيد القذافي، وطلب منهم الســـفر للعمل خارج البلاد. وبذلك التطور تحدد مآل حركـــة الإخوان في ليبيا؛ حيث انتهى نشاط أعضائها، وأصبحت محظورة مثل كل الأحزاب الأخرى.

وفي عام ١٩٩٨م اكتشفت السلطات الأمنية التنظيم الذي كان يعمل بسرية بعد حظره، ونفذت حملة اعتقالات واسعة، وتم اعتقال قرابة مائة عضو، وحكم على المراقب العام ونائبه بالإعدام، وحكم على أعضاء مجلس الشورى بالمؤبد، وعلى أعداد أخرى بالسجن لعدد من الســـنوات. وبعد سلســـلة من الحوارات والاتصالات مع عدد من قيادات الإخوان في الخارج، وبعد حوارات مع المعتقلين، تم الاتفاق - بالتأكيد بعد موافقة العقيد القذافي - على الإفراج عن الإخوان؛ بشـــرط ألا يقوموا بأي نشاط تنظيمي ولا سياسي ولا اجتماعي عام، وأن يعيشـــوا مواطنين عاديين، وأن يمارســـوا حياتهم العادية.

لكن الجماعة حاولت تجميع صفوفها من الجديد وأعلنت عن قيادة تنظيمية جديدة لها في عام ٢٠٠٥م، واحتل المهندس سليمان عبد القادر موقع المراقب العام لكنه كان يقيم خارج ليبيا[1].

(١) راجع حوار صحيفة الأهرام المصرية مع مراقب الإخوان في ليبيا المهندس سليمان عبد القادر: http://www.ahram.org.eg/Journalist-reporters/News/٩٩٨٤٧.aspx

دور الإسلاميين في الثورة:

على الرغم مـــن حالة القمع الشـــديدة التي تعرضت لها التيارات الإســـلامية في ليبيا خاصة في عام ١٩٩٨م، والتي أدت إلى قتل كثير منهم والزج بالباقي داخل السجون والقلة القليلة استطاعت الفرار إلى الخارج، إلا أن مشاركة الإسلاميين لم تكن تخفى حتى على متابع غربي من أمثال (ماتيـــو غيدار). الذي قـــال: تضم المعارضـــة الليبية في صفوفها عدة تيارات إســـلامية، ومن الصعب التحدث عن كتلة إسلامية متجانسة. وبوسعنا الإشارة إلى ثلاثة فروع:

الأول: التيـــار الإســـلامي التقليدي (وريـــث جماعة السنوســـي): وهو تيار شـــعبي لديه نفوذ واسع خاصة في شرق البلاد، وكان هذا التيار شارك بنشاط في القتال ضد الاستعمار الإيطالي.

والثاني: هو الفرع الـــذي تأثر بمواقف حركة الإخوان المســـلمين في مصر، ولكنَّ شـــعبيته تراجعـــت بعد قبوله المصالحة مع السلطة.

ويضم الفرع الثالث عدداً من الجهاديين الإســـلاميين التابعـــين للجماعة الســـلفية المقاتلة قديمـــاً، وبالرغم من قلة عدد عناصر هذا التيـــار غير أنهم أثبتوا فعاليتهم في الميدان في الشـــهرين الماضيين، ويضم هذا الفرع بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ مقاتـــل، وهو عدد غير مرتفع مقارنة بقادة آخرين يقودون مجموعات تتجاوز ١٠٠٠ رجل؛ إلا أنهم استطاعوا أن يحققـــوا نجاحـــات كبيرة. من أبرز تلك الشـــخصيات الإسلامية (عبد الحكيم حصادي) وهو قائد للثوار بمنطقة

درنة، و (عبد الحكيم بلحاج) على رأس المجلس العسكري في طرابلس، وهو الذي دخل ضمن دائرة الاهتمام الإعلامي الكبير في الآونة الأخيرة. ومن هؤلاء أيضاً (إسماعيل الصلابي)، القائد العسكري لكتيبة ثوار ١٧ فبراير في بنغازي؛ تلك الكتيبة التي تضم نحو ٣٥٠٠ مقاتل، ولعبت دوراً بارزاً في حماية بنغازي، والصلابي يفضل وصف (محافظ) على (إسلامي) وينفي صلته بالجماعة الإسلامية المقاتلة وقد سبق له الذاهب إلى أفغانستان. إن الفروع الإسلامية الثلاثة هذه لا تتفق في ما بينها ولا تنتمي إلى جبهة مشتركة. وظهرت حالة من التوافق والتناغم بينهم لمواجهة عدوهم المشترك (معمر القذافي)[١].

وبالإضافة إلى انخراط بلحاج والمئات من عناصر الجماعة الإسلامية في القتال ضد القذافي، فقد لوحظ حضور مكثف في الجانب الإعلامي والإغاثي لرموز ليبية محسوبة على جماعة الإخوان المسلمين، لكن لا يُعرف حجم مشاركة عناصر الجماعة في القتال؛ حيث إنها تعرضت خلال سنوات حكم القذافي لعمليات قمع وتنكيل واسعة كما ذكرنا من قَبْل، وهو ما أدى لهجرة معظم قادتها للخارج، ولا توجد معلومات موثقة حول الثِّقل الحقيقي للجماعة على الأرض؛ إلا أن للجماعة حضوراً تقليديّاً بين الدعاة ورجال الأعمال وشيوخ القبائل، وهو ما يجعلها الأكثر قدرة على التناغم مع الطبيعة القبلية للمجتمع الليبي، كما أن وجود مئات من عناصرها بالخارج يجعلها الأكثر قدرة على الإنفاق المالي والحضور الإعلامي والتواصل الخارجي[٢].

ومما يؤشر أيضاً إلى أن الإسلاميين كانوا هم الشرارة الأُولَى في إشعال الثورة ما قامت به الحركة الإسلامية للتغيير التي تأسست في لندن يوم ١٥ فبراير ٢٠١١م الماضي، وأعلنت عن نفسها من خلال بيان تأسيسي أصدرته قبل انطلاق شرارة الثورة الشعبية بيومين؛ حيث دعت الحركة أبناء التيار الإسلامي لمشاركة كافة أبناء الوطن وشبابه في الإعداد ليوم الغضب.

(١) http://www.france٢٤.com/ar/-٢٠١١٠٨٣٠libya-i - lamic-rebels-muammar-gaddafi-regime-fighters-ntc-al-qaeda-abdelhakim-belhadj-Jihad-sinoussi

(٢) مصطفى عياط، إسلاميو ليبيا... «بعبع القذافي» الذي صدقه البعض، http://islamtoday.net/albasheer/htm.١٥٥٧٦٢-١٣-artshow

الإسلاميون ومستقبل ليبيا:

منذ عهد الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن ووزيرة خارجيته كوندليزا رايس، والغرب يرى أن الأنظمة الاستبدادية الدكتاتورية وإن كانت متحالفة مع سياسته، إلا أنها في النهاية أشد خطراً عليه؛ ذلك أن جميع إفرازات الإسلام الجهادي - ومنها أحداث الحادي عشر من سبتمبر - كانت نتيجة مباشرة للنهج الاستبدادي في تلك الدول. لذا يرى عدد من المحللين الغربيين أن الولايات المتحدة وأوروبا تتجه لإعطاء دور سياسي للحركات الإسلامية في الدول التي تخلصت حديثاً من الأنظمة البائدة كأي جهة سياسية أخرى، وأن الفشل في ضم أيٍّ من تلك الحركات ذات توجه الإسلامي في المرحلة المقبلة سيؤدي إلى عدم استقرار للنظام السياسي فيها، وسيُدخلُها في مرحلة أخرى من مراحل الاستبداد السياسي. لكن السعي الغربي في تلك المرحلة يتلخص في محاولة ضم من يوصَف بالاعتدال من تلك الحركات التي يمكنها أن تتفاعل بشكل مباشر مع القيم الغربية، وأن تؤمِّن بشكل مقبول احتياجات الغرب السياسية والاقتصادية.

أما على أرض الواقع فإن للروح الإسلامية قاعدة سياسية وشعبية واسعة في ليبيا؛ فليس للعلمانية والليبرالية جذور وأذرع ورموز وإعلام قوي يدافع عن مضامينها كما في بعض الدول العربية الأخرى.

لذلك يجب التأكيد على أنه يجب على الحركة الإسلامية أن تتصرف على أنها طليعة للأمة وليس بديلاً عنها، ولا تراهن على عدد ولا عدة؛ بل الواقع الليبي في حاجة إلى قدر كبير من التفاهم بين التيارات الإسلامية وغيرها من الحركات والتشكيلات السياسية في ليبيا من أجل الخروج بليبيا من عنق الزجاجة دون الدخول في صراعات وخلافات من شأنها تهديد ثمرة تلك الثورة المباركة.

في الآونة الأخيرة ظهرت تصريحات لبعض قادة الثوار الليبيين وهو الإسلامي (إسماعيل الصلابي) يطالب الحكومة الانتقالية بالاستقالة، معتبراً أنها «من بقايا النظام القديم». إن هذه الدعوات ليس محلها الآن؛ بل الحقيقة تستدعي تحركاً سريعاً من قِبَل القوى الإسلامية والسياسية المختلفة في ليبيا لمناقشة الخطوط العريضة للمستقبل السياسي في ليبيا؛ حيث توجد أولوية ملحَّة لعدد من القضايا الهامة، وهي: المصالحة الوطنية وإخماد نيران الانتقام، وإعادة بناء مؤسسات الدولة، وأن يحتضن الإسلاميون الشعب الليبي بكافة انتماءاته وأن يفوِّتوا الفرصة على من يريد عزلهم أو زرع الفرقة بينهم وبين الشعب الليبي.

ملامح النظام السياسي الجديد في ليبيا

زيـاد عقل مـوسـى(*)

اقترب الشـعب الليبي كثيراً من حسـم ثورتـه التي بدأت في منتصف فبراير الماضي، وباتت ليبيا على أعتاب نظام سياسي جديد قد يكون الأكثر تغيراً وتجدداً في البلدان العربية التي شهدت ثورات وانتفاضات منـذ بداية هذا العام. وعلى الرغـم من الأوضاع غير الإنسـانية التي مرَّ بها الشـعب الليبي في غِمَار ثورته، إلا أن هذه الأوضاع شـكلت نقطة النهاية للنظام السياسـي الذي عاشت ليبيا تحت ظله منذ سبعينيات القرن الماضي. لقد عانت ليبيا كثيراً تحت حكـم القذافي من غياب الدولة بمفهومها المؤسسـي المتعارف عليه في علم السياسـية، وانعكس غياب الحد الأدنى من المأسسـة سلباً على عدة أصعدة في ليبيا: كالبنية الأساسـية للدولة، ومعدل النمو الاقتصادي، والثقل السياسـي للدولة، ولكن في الوقت نفسـه كان لغياب مؤسسـات الدولة عن ليبيا دور في سرعة الانهيار السياسي للنظام وهو ما شـكل اليوم مدخلاً لبناء نظام سياسـي جديد يعيد إنتاج قوام الدولة بدلاً من أن يحاول إصلاح الكيان السـابق. ولهذا تُعَد فرص ليبيا أوفر من مصر وتونس في بناء نظام سياسـي جديد يختلف فـي هيكله وقوامه ونخبته عن النظام السياسـي الذي كان قائماً قبل الثورة.

بدأت معالم النظام السياسي الجديد في ليبيا تتبلور مع إعلان تأسـيس المجلس الوطني الانتقالي حين طرح رؤيته السياسية لمعالم ليبيـا ما بعد القذافي، وهي الرؤية التي اتسـمت بـروح الليبرالية ممزوجـة بقيم العدالة الاجتماعية فـي طرح يقترب كثيراً من فكرة دولـة الرفاه الاجتماعي. تضمنت هذه الرؤية الأولية ضرورة صياغة دسـتور يحدد اختصاصات مؤسسـات الدولة المختلفة ويفصل بين سـلطاتها الثلاث، كما تبنت مبادئ الانتخاب الحر والمباشر، وحرية الرأي والتعبير، وحق تكوين التنظيمات السياسـية، وضرورة مدنية الدولة. وبنظرة تحليلية للرؤية السياسـية المطروحة من قِبَل المجلس الوطني الانتقالي، نتوصل لملاحظتين رئيسيتين:

(*) خبير الشؤون الليبية في مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، القاهرة.

أبرز محطات الثورة الليبية التي اندلعت أواسط فبراير 2011

6 يونيو

6/1	الناتو يعلن تمديد عملياته في ليبيا لمدة تسعين يومًا جديدة، ووزير النفط في حكومة القذافي يعلن استقالته.
6/9	هيلاري كلينتون تقول إن أيام القذافي باتت معدودة، وأنه ينبغي الإعداد لما بعد القذافي.
6/14	رئيس جنوب أفريقيا جاكوب زوما يقول إن حلف شمال الأطلسي أساء استخدام قرار الأمم المتحدة حول حماية المدنيين الليبيين ليعمل على "تغيير النظام والاغتيالات السياسية والاحتلال العسكري لليبيا".
6/27	المحكمة الجنائية الدولية تصدر مذكرة اعتقال ضد معمر القذافي ونجله سيف الإسلام القذافي ورئيس المخابرات عبد الله السنوسي بتهم ارتكاب جرائم ضد الإنسانية.

■ جلال سعد الشايب

الأولى: أن هذه الرؤية يعوزها كثير من الهيكلة السياسية؛ فهي رؤية أولية ومبدئية تطرح توجهات عامة ومبادئ أساسية دون التطرق لسياسات تفعيلية أو آليات تنفيذية؛ فهذه الرؤية توضح أن النظام المقترح هو نظام جمهوري، ولكن الطرح لا يتطرق لصلاحيات رئيس الجمهورية أو دوره في النظام السياسي، كما أنه لا يتعرض لآلية محاسبة رئيس الجمهورية ولا يوضح حدود الرقابة البرلمانية المنوط بالمجالس النيابية المنتخبة ممارستها، ناهيك عن عدم تناول طبيعة الجمهورية المقترحة وماهيتها؛ سواء كانت رئاسية أم برلمانية. وعلى الرغم من القصور الذي شاب الطرح السياسي لطبيعة النظام المقترَح، فإن هناك ما يكفي من أعذار وتبريرات منطقية تفسر هذا القصور؛ فالرؤية السياسية للمجلس طُرحَت بعد أيام قليلة من إنشائه، وتبلورت أثناء محاربة المجلس الانتقالي على أكثر من جبهة (عسكرياً وسياسياً واقتصادياً). وفي اعتقادي أنها رؤية أولية استرشادية أكثر منها نهائية، كان الهدف الأساسي منها طرح توجُّه عام لكيان يسعى لاكتساب أرضية سياسية وشرعية محلية وإقليمية ودولية.

الملاحظة الثانية: هي تمسك هذه الرؤية بمدنية الدولة والتأكيد على إتاحة حق المشاركة السياسية الفاعلة لكل عناصر الطيف الوطني، وهو ما يعكس مراعاة للواقع المجتمعي في ليبيا الذي يهدده البعد القبلي بالتشرذم، ويهدده الاتساع الجغرافي بالتقسيم، كما يهدده غياب المأسسة السياسية بفرز تيارات وقوى على أسس تفريقية. وبشكل عام فإن الرؤية السياسية الأولية التي طرحها المجلس بدولة مدنية ديمقراطية، تنبئ وتشير للكثير من التشابهات بينها وبين الرؤى السياسية التي طرحتها القوى السياسية المدنية في كلٍّ من تونس ومصر في أعقاب ثورتيهما.

وفي اعتقادي أن عدم الخوض في كثير من تفاصيل النظام السياسي في الرؤية المطروحة من قِبَل المجلس الانتقالي كان له عدد من الفوائد: فمن خلال طرح مبادئ عامة للنظام السياسي، أكد المجلس الانتقالي على كونه سلطة مؤقتة لا تنتوي فرض إرادتها أو رؤيتها المفصلة على الشعب الليبي، فتركت ثنايا النظام السياسي لكي توضع من قِبَل البرلمان المنتخَب. وبالرغم من عدم تفصيل الرؤية السياسية المطروحة، إلا أن هناك بعض المؤشرات التي تتسق مع بعضها بعضاً لتعطي شكلاً محتملاً للنظام السياسي الجديد في ليبيا.

إن أُولَى المؤشرات هو النجاح الذي حققه المجلس الانتقالي في إدارة المعركة مع القذافي، وتسيير شؤون الشرق الليبي الخاضع لسيطرة المجلس، وهو ما أسفر عن شرعية جديدة اكتسبها المجلس ليس فقط على أنه كيان مناهض لحكم القذافي، ولكن على أنه كيان قادر على إدارة شؤون ليبيا في مرحلة من أكثر المراحل حرجاً. وسيكون لهذه الشرعية التي انعكست عملياً في صورة تأييد شعبي للمجلس الانتقالي دوراً في الترويج للرؤية السياسية التي طرحها المجلس.

وثاني المؤشرات: هو حجم الدعم الذي أظهره الغرب للمجلس الانتقالي وهو الدعم الذي بدا واضحاً أنه مرهون برؤية سياسية تفرز نظاماً ديمقراطياً في ليبيا.

وثالث المؤشرات: هو توافق القوى السياسية داخل ليبيا على المبادئ الأولية للنظام السياسي الجديد وإن كان لنا أن نتوقع ظهور اختلافات حول التفاصيل. ولهذا فإن النظام السياسي الجديد في ليبيا يتجه نحو النظام الجمهوري في ظل دستور ديمقراطي يكفل حقوق المواطنين ويحدد دور الدولة وحيز سلطاتها. كما لنا أن نتوقع دولة ذات نظام اقتصادي حر يقوم أساساً على تصدير النفط، وهو ما يتطلب قوانين تؤكد على حرية التجارة وتساعد على تهيئة المناخ للاستثمار. وسيتعين على النظام السياسي الجديد في ليبيا مراجعة السياسة الخارجية الليبية التي ألحق معمر القذافي بها كثيراً من الضرر، ويجب أن يتم تناول محاور السياسة الخارجية بما يتفق مع المصالح الإستراتيجية لليبيا دون النظر لتصفية الحسابات السياسية.

كما طور المجلس الانتقالي من أدائه السياسي كثيراً عندما

طرح خريطة طريق واضحة المعالـــم ومؤرِّخة للمرحلة المقبلة في ليبيـــا. وتقضي هذه الخريطة بتنصيب المجلـــس الانتقالي أعلى ســـلطة في الدولة لمدة لا تتجاوز الثمانية أشهر يتم خلالها إجراء انتخابات بإشراف دولي لاختيار مؤتمر وطني يكون بمثابة برلمان مؤقت، ويتخلى المجلس الوطني الانتقالي عن السلطة فور انعقاد أُولَى جلسات المؤتمر الوطني، ويقوم المؤتمر الوطني بتسمية رئيس وزراء يشكل حكومة تُطرَح للثقة داخل البرلمان وتتولى شؤون البلاد إلى حين انتهاء المؤتمر الوطني من كتابة الدستور، ثم تخضع ليبيا بعد ذلك لإجراءات العملية السياســـية التي حددها الدستور لكي تفرز النظام السياســـي لليبيا ما بعد الثـــورة. والوقت المتوقع أن تستغرقه هذه العملية السياسية يتراوح بين الستة عشر والثمانية عشر شهراً حســـب تصريحات المسؤولين بالمجلس الانتقالي، وإن كنتُ اعتقد أن هذا التقدير فيه كثير من التفاؤل وعدم الأخذ في الحســـبان عدداً من المعوقات التي من شـــأنها أن تؤثر سلباً على الجدول الزمني المطروح من قِبَل المجلس الانتقالي.

أولى هذه المعوقات التي قد تواجه هذه الخريطة: هي الأبعاد القبلية داخل المجتمع الليبي؛ فبالرغم من نجاح المجلس الانتقالي إلى الآن في كبح جماح المســـألة القبلية داخـــل ليبيا، إلا أنه من المتوقع أن يتحول الصراع في المرحلة المقبلة إلى صراع بين الثوار وبين قبائل بعينها تناصر القذافي وهو ما نشهده الآن في بني وليد وســـرت وسبها، وهو التحول الذي ســـيقتلع الخلاف من أرضيته الوطنية ليضعه على أرضية قبلية تفتح المجال للتمييز والتفضيل على أســـاس الانتماء القبلي والعشائري، وإذا ما استدرجت ليبيا لمســـتنقع القبلية فمن المتوقع أن تتعارض مصالح قبائل وعشائر ليبيا المختلفة مع المصلحة الوطنية المشتركة التي تعد حجر الزاوية لخريطة الطريق المطروحة.

وثانـــي المعوقات التي قد تحول دون الالتزام بخريطة الطريق المعلنة: هي التدخل الغربي في الشـــأن الوطني الليبي: فمن دون شـــك تحتاج ليبيا لكل المساعدات الأجنبية؛ سواء كانت عربية أم غربية، ولكن التحدي الأساسي في مسألة المساعدات هو التوازن بين تلقِّي المســـاعدات المطلوبة لبناء الدولـــة، وحجم التدخل في الشـــؤون السياســـية الذي قد ترتبط به تلك المساعدات، والذي من شـــأنه أن يشتت الطيف الوطني الليبي ويهدد شرعية المجلس الانتقالي سلطةً مؤقتةً.

ويبقى الســـؤال الأكثـــر أهمية هو: هل مـــن الممكن الالتزام بالجدول الزمني المعلَن، ومن ثـــم المضي قدماً في تنفيذ خريطة الطريق المطروحة؟ في اعتقـــادي أن الإجابة هي نعم، ولكن ذلك يتطلب وضع الدعائم المركزية للبنية الأساسية للنظام السياسي الجديد، ولن يتم ذلك إلا مـــن خلال تطبيق خطوات أربع؛ تتمثل في إطلاق حرية إنشـــاء الأحزاب والحركات السياسية ومنظمات المجتمع المدني، وإطلاق حرية إنشـــاء النقابات المهنية والاتحادات الطلابية، وضمان حرية الصحافة والإعلام، وكفالة اســـتقلالية القضـــاء. وبالرغم من أن المجلس الانتقالـــي أكد في تصريحات متعددة على نواياه الحسنه تجاه اتخاذ هذه الخطوات، إلا أنه من الضروري أن تصدر قوانـــين مؤقتة من المجلس الانتقالي بضمان هذه الحقوق حتى يتم التنســـيق بين إعادة بناء النظام السياسي وإطلاق حرية العمل والتنظيم السياسي داخل المجتمع الليبي.

وفي النهاية، فإن علينا أن ندرك أنه من غير الممكن أن ننتظر ظهور نظام سياســـي جديد من دون فرز نخبة سياســـية جديدة تقود هذا النظام وتترقى في عناصره. ونتوقع أن تســـتند النخبة السياسية الجديدة في ليبيا إلى خمس خلفيات:

الخلفية الأولى: هي المجلس الوطني الانتقالي وما يحتويه من عناصر منشـــقة عن نظام القذافي وبعض المعارضين الناشطين تحت حكم معمر القذافي.

والخلفيـــة الثانية: هي الخلفية العســـكرية التي أفرزت قادة ميدانيين خلال الثورة من المتوقع أن يكون لهم دور سياســـي بارز في المرحلة المقبلة: كعبد الكريم بلحاج وأحمد باني.

ثالث خلفية هي الخلفية الإســـلامية التي ستنشط في ليبيا بحكـــم وجود تنظيمات لها منـــذ ثمانينيات القرن الماضي وبحكم ارتباط الهوية الليبية ارتباطاً وثيقاً بالإسلام، وإن كان لنا أن نتوقع نموذجاً مختلفاً لتنظيمات الإسلام السياسي داخل ليبيا.

رابع الخلفيات: هي خلفية معارضـــة المهجر التي تتميز عن غيرها من النخب بامتلاكها لرؤية سياســـية أكثر تفصيلاً بالرغم من بعض القصور الذي يشوب رؤاها في ما يتعلق بالمستقبل؛ إذ إن أغلب برامج المعارضة الليبية في المهجر تمحور منذ سنوات حول التخلص من القذافي دون تناول ما يأتي بعده سوى بمبادئ عامة، ولكنها في النهاية معارضة مسيَّســـة وعلـــى درجة من التنظيم. وأخيراً لنا أن نتوقع ظهور نخبة سياسية ذات خلفية قبَلية تسعى لإثبات وجودها على الساحة السياسية.

وفـــي الختام، ليـــس منطقياً أن تنصور أن ليبيا ســـتتخلص من الدمـــار الذي خلفه بها معمر القذافي بلداً وشـــعباً بين ليلة وضحاها، بل ستحتاج لعملية بناء دولة وبناء مجتمع تتطلب تكاتف الشعب الليبي ليكمل ما بدأه في منتصف فبراير الماضي، ويصنع نموذجاً ديمقراطياً يحتاجه العالم العربي بشدة.

الرضيع

طفلي الرضيع

خصائصة ـ صحته ـ تربيتة

مشروعنا
وظف مختلف
المتخصصين

مشروعنا:

- بناء علمي منهجي.
- تنويع في شكل المعلومات.
- توظيف المتخصصين بكافة مجالاتهم في مراحل المشروع.
- توسيع دائرة المشرفين في منتجات المشروع.
- تنويع بيئات المشاركين وتجاربهم.

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

الدور العربي في ليبيا... «محلل» للتدخل الأجنبي!

تحليل: محمد جمال عرفة

لم يختلف اثنان من المحللين الغربيين في تناولهم للثورات العربية التي أندلعت أولاً في تونس ثم مصر وامتدت إلى ليبيا واليمن وسوريا، على أن هذه الثورات الشعبية سوف تؤثر على المصالح الغربية في هذه الدول؛ ولذلك انحصرت المخاوف تحديداً في احتمالات صعود الإسلاميين في هذه الدول عقب الثورات العربية للسلطة أو لعبهم دوراً أكبر في الحياة السياسية مستقبلاً.

أما الأهم من صعود أسهم الإسلاميين والوطنيين للسلطة فهو تأثيرات هذا الصعود مقابل غياب الأنظمة التي كانت تقدِّم خدمات للغرب ويعتبرونها كنزاً إستراتيجياً. ومخاطر هذا على المصالح الإستراتيجية لأمريكا والغرب في المنطقة عموماً سواء من جهة نهب ثروات هذه البلدان العربية أو للسيطرة على منافذ وطرق إستراتيجية.

وكان أخطر ما واجهه الغرب في ما يخص الثورة الشعبية في ليبيا هو مصير الثروة النفطية الليبية من جهة، والموقع الإستراتيجي لليبيا عبر البحر المتوسط قبالة أوروبا من جهة أخرى، هو

الذي دفع إيطاليا الفاشية في زمن سابق للقفز على ليبيا واحتلالها باعتبارها أشبه ببوابة أمنية لأوروبا تمنع الهجرات الشبابية العربية غير الشرعية، ومدخل لإفريقيا. ومطلوب تعاون أي نظام بها لتأمين البحر المتوسط ضد أي أعمال إرهابية تنتقل من إفريقيا إلى أوروبا.

من هنا كان التعامل الغربي مع الثورة الليبية مختلفاً مثلاً عن الحالة السورية، ذات الخصوصية المتعلقة بالصراع (العربي - الصهيوني)، وتشير التحركات الغربية لتفضيلهم استمرار حكم بشار الاسد؛ لأنه يحافظ على الهدوء وأمن إسرائيل، وجاء التدخل سريعاً ببلورة قرار عبر مجلس الأمن في غضون ٢٤ ساعة يسمح بتدخُّلهم في ليبيا عسكرياً.

ولكن خطورة هذه التحركات الأمريكية والغربية أنها سعت لسرقة الثورة من شعب ليبيا، وإسناد الفضل في انهيار حكم القذافي للغرب - كما فعلوا مع صدام حسين - وليس الشعب، وهو ما قد يعطي صورة سلبية عن الثورة الشعبية الليبية؛ باعتبار الثوار هم حصان طرواده الغرب من جهة. ومن جهة ثانية تشوية صورة الثورات الشعبية في بلدان عربية أخرى - مثل سوريا - وإعطاء الحكام سلاحاً وهمياً في أيديهم هو التحذير من التدخل الأجنبي والاستقواء بالكراسي بدعاوى أنها ليست ثورة وإنما هي تدخُّل ومؤامرات غربية!

وبعبارة أخرى فقد سعت أمريكا والغرب عقب الثورات المصرية والتونسية التي فاجأتهم للتفكير في كيفية ضبط الثورات العربية الأخرى؛ حتى لا تصل هذه الثورات إلى نتائج لا ترضاها هي ولا إسرائيل؛ أي البحث عن كيفية السيطرة على الثورات دون وقفها كي لا يتصادموا مع التيار الشعبي الرافض للقمع وغياب الحريات ويظهروا بمظهر المنافقين لمبادئهم في ما يتعلق بالحرية والديمقراطية؛ ولكنْ المشروطة بعدم تصادمها مع مصالح الغرب.

أين الدور العربي؟

إن المشكلة أن الدور العربي في هذه الأزمة الليبية اقتصر (رسمياً) على إعطاء الغرب صك التدخل في ليبيا دون أن يضع ضوابط أو قيوداً عليه. وحتى عندما انحرف الغرب بهذا التفويض لقتل المدنيين في طرابلس وإرسال خبراء أجانب على الأرض بدعاوى تدريب ومساندة الثوار لم تسحب الجامعة هذا التفويض؛ وإنما اتبعت أسلوب العجز الرسمي نفسه؛ المتمثل في الشجب والإدانة لقتل المدنيين دون إدراك أن من حق الجامعة العربية سحب هذا التفويض للغرب وطائراته في ليبيا.

وبالمقابل كان الدور الشعبي العربي عبر منظمات الإغاثة هو الأكثر فاعلية في التعامل مع الأزمة في ليبيا؛ فقد قوبلت القافلة الإنسانية المشتركة لجامعة الدول العربية والمؤتمر الإسلامي التي زارت ليبيا بحفاوة بالغة من قِبَل الشعب الليبي وكافة قيادته - سواء القبيلة أو في المجتمع المدني أو المجلس الوطني الانتقالي - في طبرق والقبة وبنغازي والبيضاء وغيرها.

وأينما ذهبتَ في المناطق التي حررها الثوار فسترى عربات تحمل مساعدات إنسانية أتت من دول عربية؛ خاصة مصر ودول الخليج، كما أرسلت قطر والإمارات سفناً لإجلاء اللاجئين من مدينة مصراتة، وأعلام كثير من الدول العربية ترفرف في ساحات المناطق الخاضعة للثوار خاصة مصر وقطر، ولكن هذه الحفاوة بالإغاثة الشعبية العربية الإسلامية كانت تتغلف برغبة جامحة من قِبَل الثوار الليبيين في مزيد من الدعم العربي، الذي يرون أن ذوي القربى من العرب والمسلمين أحق به من أي أحد؛ فآمال الثوار الليبيين المعلقة بالعرب لا تقتصر على الاعتراف بالمجلس الوطني الانتقالي وعلى النواحي الإنسانية؛ ولكنها تمتد أيضاً إلى ضرورة تلبية الحاجة الماسة إلى المساعدات اللوجستية، كما يلمِّحون إلى ضرورة أن يقدِّم لهم الأشقاء العرب دعماً في المجال العسكري لمواجهة تفوُّق قوات القذافي في مجال السلاح والعتاد؛ إذ يؤكدون أن سلاحهم الرئيسي هو الروح المعنوية الهائلة، في حين تمتلك كتائب القذافي، مدفعية ثقيلة وصواريخ غراد، ودبابات تي ٩٢ الحديثة.

التوجس من الغرب:

وقد أكد بعض الثوار أنهم مضطرون لقبول التدخل الغربي عبر القصف الجوي؛ لأنه كان الوسيلة الوحيدة لمنع وقوع مذبحة حقيقية من قِبَل كتائب القذافي، ولكنهم شددوا على رفض أي وجود أجنبي على أرض بلادهم، وأن أحفاد عمر المختار لن يقبلوا يوماً بوجود أقدام أجنبي على هذه الأرض التي يقولون: إنها «ودودة حنونة مع الخيِّرين وشرسة مع الأشرار».

وبقدر ما عبر ثوار ليبيون عن الامتنان إزاء قرار مجلس الجامعة العربية الذي دعا مجلسَ الأمن إلى فرض الحظر الجوي على ليبيا - وهو ما أنقذ المناطق الخاضعة للثوار في الجنوب من السقوط في أيدي نظام القذافي، بعدما هدد سيف الاسلام بإكتساحها خلال ٢٤ ساعة - فقد بدؤوا يُظهِرون مخاوفهم من نوايا الغرب تجاه بلادهم لأنهم يدركون أن أهداف الغرب هي النفط والموقع الإستراتيجي لا خدمة الثورة.

ويدلِّلون على هذا بما تم العثور عليه من وثائق في مبنى تابع للحكومة الليبية أظهرت تعاوناً وثيقاً ربط وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) والاستخبارات البريطانية بمخابرات نظام معمر القذافي، بما في ذلك نقل مشتبهين بالإرهاب إلى ليبيا لاستجوابهم.

فالوثائق التي تم العثور عليها في مقر للهيئة الليبية للأمن الخارجي كشفت أن الـ (CIA) نقلت في ظل إدارة الرئيس جورج دبليو بوش متهمين بالإرهاب إلى ليبيا واقترحت أسئلة بعينها يوجهها المحققون الليبيون للمشتبهين، كما عمدت الـ

أبرز محطات الثورة الليبية التي اندلعت أواسط فبراير 2011

7 يوليو

7/14	القذافي يدعو أنصاره في خطاب تلفزي إلى الزحف نحو مدينة بنغازي "لتحريرها"
7/27-15	الولايات المتحدة وبريطانيا تعترفان بالمجلس الوطني الانتقالي سلطة شرعية في ليبيا.
7/28	المجلس الانتقالي الليبي يعلن مقتل قائد قوات الثوار اللواء عبد الفتاح يونس.

■ جلال سعد الشايب

(CIA) في عام ٢٠٠٤م إلى تأسيس وجود دائم لها في البلاد، بحسب مذكرة للموظف البارز في الـ (CIA) ستيفن كابس وجَّهها إلى رئيس الاستخبارات الليبية وقتها موسى كوسا.

فبحلول عام ٢٠٠٤م اقنعت الولايات المتحدة الحكومة الليبية بالتخلي عن برنامجها للأسلحة النووية والمساعدة في منع الإرهابيين من استهداف الأمريكيين؛ سواء في الولايات المتحدة أو خارجها. ومنذ ذلك الحين رضي الغرب عن القذافي وبدأ تعاون استخباري وثيق بين الطرفين لمحاربة التيارات الإسلامية في ليبيا والمنطقة عموماً؛ بحجة مكافحة الإرهاب ونقلت الاستخبارات الأمريكية مشتبهين بالإرهاب ثماني مرات على الأقل لاستجوابهم في ليبيا على الرغم ما هو معروف عن ليبيا من انتهاج التعذيب.

والحقيقة أن الخلل في الموقف العربي عموماً تجاه ما يجري في ليبيا جاء نتيجة حالة عدم الاتزان التي تعيشها المنطقة العربية منذ اندلاع الثورات الشعبية، ولكن التدخل لفرض منطقة حظر جوي - كما طالب العرب في قرار تبنَّته الجامعة العربية - أعطى حلف الناتو وأمريكا المبرر للتدخل العسكري في الصراع بصورة مبالغ فيها أدت لاستهداف مدنيين قيل: إن ١٥٠٠ منهم على الأقل قتلوا بضربات حلف الناتو في طرابلس.

وقد حاولت الجامعة العربية منع طيران القذافي من إبادة المعارضة في الشرق - خاصة بعدما تبرَّأ نجله من العرب وقال: إن ليبيا ستطرد كل العرب وتجلب عمالاً من الهند وآسيا - بالحديث عن فرض حظر جوي على ليبيا بالتعاون مع الاتحاد الإفريقي، وهو ما لم تظهر بوادر مشجعة عليه؛ لأن الدول العربية المجاورة لليبيا لم تتحمس لهذا ومنها مصر، كما أن كثيراً من دول إفريقيا على علاقة جيدة مع القذافي رفضت الفكرة؛ بل لا تزال ترفض الاعتراف سوى بالقذافي.

وعلى الرغم مما قاله عمرو موسى (أمين عام الجامعة العربية السابق) من أن الحظر الجوي الذي تطالب به الجامعة هو - أساساً - «عمليات تشويش على الطيران الليبي على مساحة ١,٨ مليون كلم مربع تمنع اصطياد المدنيين وأن هذا الحظر الجوي «إجراء وقائي وليس إجراء عسكرياً». رغم هذا فقد استغل الناتو هذه الرخصة العربية في تحقيق أهداف الغرب في ليبيا ولو بتدمير منشآت ليبية واستهداف مدنيين لتنتصر الثورة الليبية في النهاية ولكن بطعم الناتو.

أبرز محطات الثورة الليبية التي اندلعت أواسط فبراير 2011

8 أغسطس

8/9 رئيس المجلس الانتقالي الليبي مصطفى عبد الجليل يعلن حل المكتب التنفيذي للمجلس المكون من 14 عضوًا.

8/12 ثوار ليبيا يدفنون قتلى كتائب القذافي على الطريقة الإسلامية في كثبان مصراتة.

8/14 الثوار الليبيون يسيطرون على مدينة الزاوية الواقعة غرب طرابلس على الطريق إلى تونس ليقطعوا بذلك آخر طرق النظام الليبي مع الخارج.

8/15 خطاب جديد للقذافي يبثه التلفزيون الليبي يدعو فيه الليبيين إلى مقاومة زحف الثوار ويتوعد الحلف الأطلسي بالهزيمة.

8/16 الثوار يحكمون الطوق على العاصمة طرابلس من خلال السيطرة على أبرز الطرق الرئيسية المؤدية إليها.

8/17 ثوار ليبيا يضيقون الخناق على قوات القذافي ويتقدمون غرباً وجنوباً.

8/19 القذافي يتهم فرنسا بمحاولة سرقة نفط ليبيا في خطاب صوتي جديد.

8/20 الثوار يدخلون بعض أحياء العاصمة طرابلس التي شهدت انتفاضة شعبية في عدد من أحيائها على غرار فاشلوم وتاجوراء.

8/21 الثوار يدخلون العاصمة طرابلس ويسيطرون على معظم أحيائها، ومطالبات للامم المتحدة بالتحقيق في انتهاكات لحلف الاطلسي.

8/22 ليبيا: مصير القذافي مازال مجهولا.
أوباما يعد بمساعدة ليبيا بعد القذافي.

8/23 ثوار ليبيا يطاردون القذافي "زنقة زنقة".
24 ساعة يدعو فيها الليبيين للمقاومة، ورئيس المجلس الانتقالي مصطفى عبد الجليل يؤكد اعتقال سيف الإسلام نجل الزعيم الليبي معمر القذافي.
ترحيب بمؤتمر باريس بشأن ليبيا.

8/26 عشرون دولة أفريقية تعترف بانتقالي ليبيا.

8/29 لأول مرة منذ 4 عقود.. ليبيا تحتفل بالعيد غداً مع الثوار بدون القذافي.

■ جلال سعد الشايب

تسديد الحساب للناتو:

والسؤال الأن بعد انتصار الثوار بدعم عسكري غربي هو: ما هو الثمن الذي سوف يطلبه الغرب مقابل هذه الخدمات التي قدمها لصالح انتصار الثوار من أرصدة الاستثمارات الليبية الخارجية التي تتضمن أصولاً بأكثر من ٦٥ مليار دولار تُسيل لعابَ عشرات الدول الغربية للتكالب عليها، علاوة على تكدس الأموال بين ٣٠٠ و ٤٠٠ مليار دولار خلال سنوات الحصار على ليبيا.

وهناك مخاوف أن يجري تقسيم الغنائم على الطريقة العراقية عبر مكافأة دول الناتو الغربية بصفقات تجارية ضخمة وبامتيازات نفطية أيضاً، أما في الداخل فستسير الأمور وَفْق طريقة توزيع واقتسام الغنائم بين القوى التي شاركت في الثورة بدرجات متفاوتة.

فالمجلس الأعلى المؤقت الذي يدير شؤون ليبيا حالياً سيكون مكبلاً بدفع ثمن لهذا الجميل وهذا الدور الذي لعبته طائرات الناتو لتحقيق هذا الانتصار. وهنا لا نستبعد أن تسعى أمريكا وأوروبا لتنفيذ مخططاتها في ليبيا وهي التي تدور حول الحصول على مليارات الدولارات مقابلاً لـ «كعكة إعادة تنظيم وبناء وتسليح القوات الليبية»، و «كعكة إعادة إعمار البلاد»، و «كعكة حصص النفط وتوزيع العقود على شركات النفط الغربية»، فضلاً عن السعي للتدخل في الشؤون السياسية لليبيا وتحديد سياستها المستقبلية والتدخل في صياغة نظامها السياسي المقبل عبر دعم القوى الليبرالية الداخلية على حساب غيرها.

ولا ننسى هنا أن زيارة السناتور الأميركي جون ماكين إلى بنغازي (معقل الثوار الليبيين) وكذا زيارته وهو المرشح الجمهوري للانتخابات الرئاسية السابقة عام ٢٠٠٨م جاءت رسالةً للثوار أن الدعم قادم مقابل امتيازات مستقبلية.

إن حصاد الأزمة الليبية يبدو بناءً على ذلك نتاجاً لتراكم أخطاء عربية يسعى لصوص النفط في الغرب لاستغلالها؛ فالرئيس الليبي أخذته العزة بالإثم ولم يقبل أن يطالبه شعبه بالرحيل بعدما جلس على كرسي السلطة ٤٢ عاماً حتى صار أقدم حكام العرب وإفريقيا معاً، ولو قَبِل التنحي منذ البداية لجنَّب شعبه ويلات الحروب والشهداء.

والجامعة العربية أخطأت حينما أعطت الغرب صك التدخل العسكري في ليبيا، ولم تحاول التدخل أو رفض تجاوزِ التصرفات الغربية سقف الصك العربي، وتركت الغرب يقسم الغنائم بين دوله المختلفة في ما يخص نفط ليبيا.

ولكن الأمر الملِحَّ حالياً هو ضرورة مسارعة الجامعة العربية ومنظمات عربية شعبية مختلفة لتدارك هذه الأخطاء العربية في ليبيا وعدم ترك البلاد تقسَّم حسب المصالح الغربية. فالثوار هناك – شانهم شأن باقي الثورات العربية – إسلاميون وليبراليون ويساريون، والغرب يمد يده لليبراليين ويشيع الرعب من صعود الإسلاميين، وما لم يكن هناك تدخُّل عربي لطرح حلول تجميعية توحيدية تنقل ليبيا لمرحلة أعلى (عربياً واسلامياً) فسوف تقع ثمرة ناضجة في جحر الغرب ويضيع جهد الثورة الشعبية، ويصبح العرب هنا – على طريقة «الزوج التيس» – مجرد «محلِّل» للزواج الغربي من ليبيا.

القبائل الليبية ودورها في تقرير مصير البلاد...

«بين الحقيقة التاريخية والرؤية المستقبلية»

أنور محمود زناتي(*)
anwer1122@yahoo.com

يعتبر النظام القبلي من أبرز العوامل التي أثرت في تشكيل الحياة السياسية في ليبيا، وتُعَد القبيلة عنصراً أساسياً من مكونات المجتمع الليبي. ويؤكد سنوسي الفكري (صاحب كتاب «النظام السياسي الليبي») على أن «الولاء القبلي يلعب دوراً كبيراً في النظام السياسي الليبي»، وقد استشرى النفوذ القبلي في العملية السياسية، وإن كان بشكل غير رسمي في المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية، من خلال عمليات التصعيد والاختيار الشعبي منذ عام ١٩٧٧م. وقد تم تعريفها بأنها «المظلة الوطنية الرئيسية» لجميع القوى داخل ليبيا، مع التركيز عملياً على القيادات القبلية في كل منطقة، ومع خلق قيادة شعبية اجتماعية تغطي المنطقة اجتماعياً وجغرافياً[١].

وقد لعب القذافي خلال فترة حكمه على هذا العنصر لتثبيت أركانه من خلال تقريب قبائل ذات ثقل معيَّن من حاشيته وإغداق العطايا عليهم لضمان ولائهم له[٢]؛ فقد أشارت الوثائق الدبلوماسية التي نشرها موقع «ويكيليكس» إلى أن القذافي «مخطط محترف تمكن من السيطرة على بلاده وقبائلها المتعددة لمدة أربعة عقود من خلال التحكم بنجاح بجميع المحيطين به»[٣].

وفي دولة تعيش منذ نحو أربعة عقود من دون دستور وفي قبضة رجل واحد – تقريباً – هو معمر القذافي الذي ينتمي لقبيلة القذاذفة، اعتمد غالبية الليبيين على قبائلهم لإيجاد الحماية وتحصيل الحقوق، والحصول على وظيفة في أجهزة الدولة، كلٌّ حسب قوة قبيلته أو درجة قربه أو ولائه للنظام الحاكم.

ولا بد في البداية من تشريح التركيبة السكانية للشعب الليبي قبل الخوض في المسألة؛ حيث تتوزع هذه القبائل في ليبيا على الشكل التالي[٤]:

قبيلة الورفلة: وتُعَد أكبر القبائل الليبية عدداً وانتشاراً جغرافياً ويبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة، وتتميز علاقات أفرادها بترابط اجتماعي وولاء قَبَلي متين وتتركز – خاصة – في غرب ليبيا.

قبيلة القذاذفة: وهي القبيلة الأساسية المهيمنة على السلطة في ليبيا ومنها ينحدر معمر القذافي، ومركزها الرئيسي في منطقة سبها وسط ليبيا التي يفوق عدد سكانها ١٢٦ ألف نسمة، وتُعَد من أكثر القبائل تسليحاً.

قبيلة المقارحة: وهي ثالث أهم قبيلة في ليبيا وتتركز في المنطقة الغربية.

وإلى جانب القذاذفة والورفلة والمقارحة، يوجد كثير من القبائل الأخرى من الأقل عدداً وتأثيراً على غرار قبائل الطوارق في الجنوب، وكذلك قبيلة الزنتان[٥].

(*) كاتب وأكاديمي مصري، كلية التربية – جامعة عين شمس، تخصص في التاريخ الإسلامي.

(١) راجع رولا الخطيب في تحليلها على موقع قناة العربية على الرابط التالي:
http://www.alarabiya.net/articles/٢٠١١/٠٢/٢٢/١٣٨٦٧٣.html

(٢) للمزيد راجع عوض يوسف الحداد: البعد الجغرافي للفساد في ليبيا، الشركة العربية المتحدة، ط١، ٢٠١١ م.

(٣) راجع الخبر على موقع روسيا اليوم على الرابط التالي:
http://forum.rtarabic.com/showthread.php?t=٨٦٤٤٢

(٤) للمزيد راجع محمود السيد : تاريخ دول المغرب العربي «ليبيا – تونس – الجزائر» مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٠م

(٥) للمزيد راجع يحيى مرسي عيد: دراسات أنثروبولوجية في المجتمع الليبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، ط١، ٢٠١٠م.

القبلية عامل استقرار أم عامل اضطراب؟

ومنذ أربعة عقود من حكم القذافي يوجد فراغ سياسي في ليبيا وليس بها أحزاب أو نقابات، وبالطبع ستواجه ليبيا مرحلة صعبة بعد نظام القذافي، ولكن هل ستكون القبيلة عامل استقرار أم عامل اضطراب في ليبيا في ظل السعي نحو حكم ديمقراطي في البلاد؟

إذا كان القول الفصل للنخبة السياسية والعسكرية القوية في تحديد مصير الثورة في كلٍّ من مصر وتونس، فإن الوضع مختلف في ليبيا؛ حيث التركيبة القبلية هي التي يمكن أن يكون بيدها تحديد مآل الأحداث هناك[١].

وتؤكد (عاليا براهيمي) رئيسة برنامج شمال إفريقية في كلية لندن للاقتصاد على أنه «في ليبيا النظام القبلي هو الذي سيكون في يده توازن القوى وليس الجيش»[٢]. ويستبعد عدد كبير من المحللين تقسيم ليبيا إلى دويلات أو إلى شطرين، ولكن من المتوقع أن يحدث فراغ سياسي بعد سقوط القذافي الكامل وهنا يأتي دور زعماء القبائل والعشائر الذين سيتولون الإمساك بزمام الأمور في فترة انتقالية، قد تشوبها حالة من الفوضى السياسية؛ وخاصة أن القذافي قد «عمل خلال فترة حكمه على حظر الأحزاب ومنع جميع المنظمات والجمعيات المستقلة عن الحكومة»[٣].

ومستقبل ليبيا قد تحدده «حقبة ما بعد القذافي والقوى السياسية التي ستظهر على الساحة السياسية الليبية، وقد تنجح هذه القوى في إيجاد منظومة توافقية بين مختلف القبائل والمصالح بطريقة تضمن توزيعاً عادلاً للثروات في البلاد؛ وخاصة منها عائدات النفط، وبطريقة تمثل مختلف فئات المجتمع الليبي، وتحول دون أن تستولي أقلية على السلطة والثروات في البلاد». وقد يشكل هذا السيناريو المبني على «الأساس العشائري القبلي» البديل لنظام القذافي. وقد يشكل ذلك بديلاً لفترة انتقالية تمهد لتأسيس دولة لا تقوم على أساس «الرابط العشائري».

وليس بالضرورة تأكيد المؤشرات التي تقول بحدوث حرب أهلية؛ حيث ظهر توافق شديد بين مختلف القبائل والعشائر داخل ليبيا. ومن الواضح أن هناك رؤية واضحة منسَّقة بين هذه القبائل لإسقاط نظام القذافي وللإبقاء على وحدة التراب الليبي من خلال الأسس العشائرية الموجودة في هذا المجتمع، وهو ليس على شفا حرب أهلية.

وقد تشهد ليبيا مرحلة فوضوية ولكنها ليست حرباً أهلية بأي شكل من الأشكال[٤]. ويرى برهان غليون[٥] أن نظام القذافي هو مَن خلق حالة الفوضى وأطلق فزَّاعة الانقسام القبلي؛ بهدف مواصلة سيطرته على الشعب الليبي. وقال: إن غياب أحزاب في ليبيا، ربما يجعل مهمة الشعب الليبي صعبة قياساً لحالتي تونس ومصر، ولكنه سيتمكن بفضل نُخَبه وقياداته من القيام بها.

وفكر القبيلة لا يعني بالضرورة العداء والتعارض مع الدولة؛ فالقبائل تتفاهم وتتعاقد على قيام الدولة، ويرى غليون أن الليبيين قادرون بفضل نخبهم الواعية، وبفضل التعاون مع زعماء القبائل والعشائر أن يقودوا جميعاً حملة بناء مؤسسات الدولة، وَفْق معادلة تفاهم وتعاقد، يتم في إطارها تلبية مطالب العشائر والقبائل وهي تتلخص في تحقيق التنمية والعدالة وتوفير الخدمات ومرافق الصحة والتعليم ورفع مستوى معيشة أبناء القبائل، وهم لا يطالبون بتولي الحكم. وقد انتهى العصر القبلي، وما يتردد هو مجرد فزَّاعة تم تضخيمها للتستر على الكارثة الاجتماعية التي ارتكبها القذافي في حق بلده لأنه نظام أفرغ الدولة من كل مضمون[٦].

وفي ليبيا يمكن للجيش أن يلعب دوراً مع بقية أطراف المجتمع والقوى السياسية والقبلية، من أجل إعادة بناء الدولة. وهذه مهمة لن يجد الشعب صعوبة في تحقيقها طالما هو متماسك وموحد حول رفضه لحالة الفوضى التي كانت الهدف والشرط الأساسي من أجل استمرار حكم القذافي وعائلته.

---

(١) للمزيد راجع المولدي الأحمر: الجذور الاجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا: الفرد والمجموعة والبناء الزعامي للظاهرة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٩م.

(٢) راجع التقرير على موقع قناة العربية على الرابط التالي:
http://www.alarabiya.net/art - cles/١٣٨٩٢٢/٢٣/٠٢/٢٠١١.html

(٣) راجع شمس العياري مصير القذافي رهن بتوافق القبائل الليبية ، على الرابط التالي:
http://www.masrawy.com/News/Writers/Gene - kazafidw.aspx/١/March/٢٠١١/al

(٤) راجع آراء الدكتور زياد عقل على موقع دويتشه فيله على الرابط التالي:
http://www.dw-world.de/dw/article/٠,,١٤٨٦١٠٢٤,٠٠.html

(٥) مفكر عربي وأستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة السوربون في باريس.

(٦) راجع التقرير على موقع دويتشه فيله على الرابط التالي:
http://www.dw-world.de/dw/art - cle/٩٧٩٩/٠,,١٤٨٥٩٠٠٧,٠٠.html

ليبيا: فرنسا لتنصيب حكومة موالية

عامر عبد المنعم
aamermon@alarabnews.com

دخول الثوار الليبيين بيت العزيزية والسيطرة على كامل طرابلس وإنهاء حكم العقيد القذافي ليس هو نهاية الحرب في ليبيا؛ بل هناك معركة جديدة أكثر تعقيداً تقودها قوى أخرى متربصة، لن تقل ضراوة عن المعارك مع كتائب القذافي؛ إنها معركة فرنسا ودول الغرب للهيمنة على عملية تشكيل النظام السياسي الجديد والعمل على إيجاد نظام حكم موالٍ يخدم المصالح الغربية.

وعلى الرغم المحاولات المستميتة من فرنسا وأمريكا وبريطانيا للعب دور محوري في صناعة القرار داخل المجلس الانتقالي فإن الأوضاع على الأرض تشير إلى أن السعي الغربي لن يحقق أهدافه كما يرجو. فالقادة العسكريون في بنغازي وطرابلس شخصيات إسلامية معروفة يصعب احتواؤها، والشعب الليبي شعب مسلم يرفض التبعية، ولم يخرج في ثورته ليستبدل نظام القذافي بنظام عميل تابع لفرنسا والغرب.

فرنسا لا تملك وحدها الأوراق التي تؤهلها للتحكم في الشأن الليبي ولا الولايات المتحدة ولا بريطانيا (منفردين أو مجتمعين) ولذلك عقدت فرنسا فور دخول الثوار طرابلس والسيطرة عليها مؤتمراً دولياً في قصر الإليزيه بباريس باسم «أصدقاء أمريكا» حضره قيادات من ٦٠ دولة، كان الهدف منه تدويل الشأن الليبي والحصول على مشروعية دولية لإدارة الشأن الليبي وفرض هذا التدخل على المجلس الانتقالي.

أبرز محاور التحرك الغربي للسيطرة على ليبيا وهي التي كشف عنها مؤتمر فرنسا، ما يلي:

١ محاولة إغواء المجلس الانتقالي لتنفيذ الأجندة الغربية بالمال والإعلان عن الاستعداد لفك تجميد ١٥ مليار دولار من الأموال الليبية المجمدة.

٢ استخدام الأمم المتحدة واجهةً للدول الغربية في إدارة الشأن الليبي، وإرسال بعثة مفوضة من مجلس الأمن للبقاء في ليبيا بزعم إصلاح نظام الشرطة والقضاء والإشراف على عملية الانتخابات، وأن تقوم بعثة الأمم المتحدة بممارسة الحكم فعلياً من خلال الإشراف على أوجه الإنفاق من الأموال الليبية التي سيتم رفع التجميد عنها؛ حيث سيشرفون على صرف رواتب الموظفين في الدولة والعاملين في الشرطة وكل المؤسسات القائمة.

٣ السيطرة على المجلس الانتقالي من خلال توسيعه بضم عناصر جديدة وتلميع بعضهم القريب من الغرب وتجاهل العناصر التي تشكل عوائق أمام المشروع الغربي.

٤ التحريض ضد الإسلاميين والمطالبة باستبعادهم من المناصب القيادية، وربط فك تجميد الأموال بتحقيق تقدم في استبعاد الشخصيات المغضوب عليها من الغرب.

٥ إغواء دول العالم بالمنافع الاقتصادية، بالمشاركة في عمليات الأعمار واقتسام النفط الليبي، وضمان عدم معارضة هذه الدول للتخطيط الفرنسي البريطاني الأمريكي.

في المقابل فإن الوضع على الأرض يغلق الطرق أمام الطموحات الغربية، ولم يعد أمام الدول الغربية بدائل أخرى للتعامل مع تطورات الوضع الليبي والتحكم فيه.

ويمكن تلخيص العقبات التي تواجه التخطيط الغربي في الآتي:

١ العناصر الموالية للغرب في المجلس الانتقالي ليست أغلبية وحتى بعد توسيع المجلس فإنه لن يستطيع أن يتخذ قرارات صادمة للشعب الليبي الرافض للهيمنة الغربية.

٢ الذين قادوا العمل العسكري وأجهزوا على نظام القذافي ينتمون للحركة الإسلامية فالقائد العسكري للثوار في بنغازي إسماعيل الصلابي الإسلامي البارز وهو الذي حرر شرق ليبيا، وقائد المجلس العسكري لطرابلس عبد الحكيم بلحاج أمير الجماعة الإسلامية المقاتلة، وهو الذي أنهى حكم القذافي وحرر العاصمة. كذلك فإن قادة مجموعات الثوار في غرب ليبيا من الإسلاميين غير المعروفين إعلامياً. وهؤلاء القادة وجنودهم يصعب احتواؤهم في مشروع معادٍ للأمة؛ بل إن عبد الحكيم بلحاج له خصومة مباشرة مع المخابرات الأمريكية التي اعتقلته في تايلاند وقامت بتعذيبه ثم سلمته للقذافي الذي سجنه وعذبه.

٣ ليس للغرب طابور خامس له أهمية في ليبيا يعتمد عليه؛ فالقذافي كان هو خادم الغرب؛ خاصة بعد استسلامه عقب إعدام صدام حسين وتسليم برنامجه النووي لأمريكا، ومع زواله ونظامه خسر الغرب أهم أعوانه.

٤ البيئة الليبية التي تغلب عليها القبلية أكبر ضامن ضد التغريب فهذه البيئة التي تغلب عليها الفطرة تستعصي على المغرِّبين.

٥ بعض العناصر المنفصلة عن دينها من الليبيين التي يراهن عليها الغرب الذين عاشوا وتعلموا في الغرب ليس لديهم تأييد محلي يمكِّنهم من لعب دور مؤثر في المرحلة القادمة.

٦ ليس من مصلحة الغرب أن تطول فترة عدم الاستقرار حتى وإن خسروا ليبيا؛ فهناك مخاوف غربية من اتساع دائرة القلاقل في الدول المجاورة بسبب السلاح الليبي الذي قد يتسبب في تغييرات إستراتيجية كبيرة في المنطقة المحيطة خاصة في منطقة الصحراء.

٧ الغرب لن يستطيع فرض سياسته بالقوة طالما أنه لا يملك قوات برية على الأرض الليبية، وواضح أن أمريكا تابت وأنابت بعد انكسار جيوشها في العراق وأفغانستان كما أن حلف الناتو لم يعد مستعداً للتضحية بأبناء الأوروبيين مرة أخرى في أراضي المسلمين. كما أن فرنسا التي تراودها أحلام الزعامة الغربية ليس لديها الموارد الاقتصادية والإمكانات العسكرية التي تساند هذه الأوهام.

إن إسقاط نظام القذافي ليس نهاية المعركة في ليبيا؛ فالمعركة من أجل الاستقلال تحتاج إلى وقت، ومعركة ليبيا ليست منفصلة عن تطورات الأوضاع بالمنطقة؛ وإنما هي نموذج يجب أن ندرسه ونستفيد منه لنعلم حقيقة المكر المعادي لتنبيه الليبيين وباقي الشعوب الثائرة التي تبحث عن الخلاص.

فالغرب بعد الصدمة التي أربكته في ثورة تونس ومصر أراد أن يستعيد زمام المبادرة في ثورات ليبيا واليمن وسوريا؛ ذلك ليضمن أن تستمر هذه البلاد في التبعية وتخضع الحكومات الجديدة للهيمنة. وفرنسا ومن معها هم من أطالوا أمد الحرب بين الثوار وكتائب القذافي بحثاً عن العناصر التي تعينهم على تشكيل الحكم الذي يحافظ على مصالح الغرب لكن الوقت لم يسعفهم وأجهز الثوار على المخطط المعادي باقتحام باب العزيزية؛ ولهذا لم يسمع مجاهدوا ليبيا للدعوات التي طالبتهم بتأخير اقتحام باب العزيزية، كما لم يسمعوا للدعوة التي صدرت أثناء مؤتمر باريس وطالبت الثوار في طرابلس بالعودة إلى مدنهم.

الثوار وحدَهم هم أصحاب القرار في ليبيا الآن، والثوار ومعهم الشعب سيبنون ليبيا الجديدة، وكل محاولات الغرب ستنتهي بإذن الله إلى لا شيء.

أبرز محطات الثورة الليبية التي اندلعت أواسط فبراير 2011

9 سبتمبر

9/1 روسيا تعترف بانتقالي ليبيا، وباريس تستضيف "أصدقاء ليبيا".

9/2 بلغاريا تطالب ليبيا بدين مشطوب، وتحرك دولي لمساعدة ليبيا إنسانيا.

9/8 ليبيا ترسل وفدا للنيجر لتقصي القذافي، ورئيس المجلس العسكري للثوار الليبيين في طرابلس: ليبيا لن تكون عراقا ثانيا.

■ جلال سعد الشايب

مرصد الأخبار

جـــلال ســـعـــد الـــشـــايـــب
galal_elshayp@hotmail.com

حقوقي سوري: النظام السوري «مجبولٌ على الكذب»

قال رئيس المنظمة الســورية لحقوق الإنســان (عمار القربي) في حديث خاص لقناة «العربية»: إن النظام السوري «مجبول على الكذب»؛ في ما يتعلق بإعلانه وقف العمليات العسكرية ضد المتظاهرين، واستدل القربي على ذلك بأن الاعتقالات لا زالت مستمرة وتشمل كافة النشطاء، وأن إطلاق النار على المتظاهرين يتواصل في ريف دمشق ودير الزور وحماة وحمص حتى الآن.

ويذكر أن الأمين العام للأمم المتحدة (بان كي مون) كان قد اشــتكى من أن الرئيس السوري تجاهل عدة اتصالات هاتفية قام بها، ورفض الرد عليها.

وقــال: إن المتظاهرين يواجهون ظروفــاً صعبة للغاية تتمثل في الاعتقالات، والرقابة الشــديدة المفروضة على الهواتف، وانقطاع الإنترنت.

[موقع قناة العربية ٢٠١١/٨/١٩م]

«أغسطس» الشهر الأسوأ للأميركيين في أفغانستان

اعتبرت الإدارة الأمريكية شهر أغسطس الماضي هو الأســوأ بالنسبة لقواتها في أفغانستان؛ حيث الخسائر البشــرية التي وصلت إلى قتل ٦٩ جندياً، بالمقارنة مع شهر يوليو من العام الماضي الذي شهد مصرع ٦٥ جندياً بينهم نخبة من القوات البحرية الأمريكية الخاصة.

ووَفْقاً للبيت الأبيض فــإن ١٦٤٣ جندياً أمريكياً قُتِلوا خلال الحرب الدائرة في أفغانســتان منذ ما يقارب عشرة أعوام.

ويأتي ارتفاع الخسائر البشرية في صفوف القوات الأمريكية وســط تراجع مطرد للتأييد الشعبي للحرب في الولايات المتحدة وتنامي القلق في أوساط المشرعين بخصــوص فاتورة الحــرب طويلة الأمــد ضد حركة طالبان.

ومن المقرر أن يغادر عشرة آلاف من القوات الأمريكية أفغانســتان هذا العام في إطار خفض تدريجي يستمر إلى غاية ٢٠١٤م.

[شبكة الجزيرة عن وكالات ٢٠١١/٩/٢م]

بلير: حربنا ضد التطرف الإسلامي لم تنتهِ

صرح توني بلير (رئيس وزراء بريطانيا الأســبق) - ويشــغل حالياً منصب مبعوث اللجنــة الرباعية لعملية السلام في الشرق الأوســط - عن اعتقاده أن الحملة الدولية لاحتواء خطر التطرف الإسلامي أبعد ما تكون عن نهايتها رغم مرور عشــر ســنوات على انطلاقتها ومقتل الزعيم السابق لتنظيم القاعدة (أسامة بن لادن).

وقد أكد بلير خلال مقابلة أجرتها معه وكالة أسوشــيتد برس قبيل احتفال الولايات المتحدة بالذكرى العاشرة لأحداث ١١ ســبتمبر على أنه من الخطأ بمــكان اعتقاد أن الصراع الدائر لدحر أيديولوجية التطرف انتهى إلى نصر.

وتابع قائلاً: انظر إلى لبنان - على ســبيل المثال - وكيف دانت الســيطرة هناك لـحزب الله، وانظر إلى نشــاطات حركة حماس، أما اليمن فهي قضية أخشى أن يكون الطريق إلى حلها طويلاً.

مؤكداً على أن الصراع على أية حال لم ينته، «لكنه صراع يستحق خوض غماره».

[وكالة أسوشيتد برس ٢٠١١/٩/١٠م]

اعتراف عالم بـ «ناسا» بمحاولة بيع أسرار عسكرية أمريكية لإسرائيل

أقرَّ ستيورات ديفيد نوزيت (العالم السابق في وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» والمتهم بمحاولة بيع معلومات سرية خطيرة إلى إسرائيل تتعلق بالأقمار الصناعية العسكرية الأمريكية) بأنه مذنب في التهم الموجهة إليه؛ وذلك مقابل تخفيف الحكم عليه إلى ١٣ سنة بدلاً من مدة تتراوح بين٣٠ سنة ومدى الحياة.

وقد جاء في المذكرة بحق نوزيت أنه عمل بين عامي ١٩٩٨ - ٢٠٠٨م مستشاراً فنياً لمؤسسة فضائية تملكها الحكومة الإسرائيلية بالكامل، وكانت المؤسسة تستفيد من خدماته الاستشارية بصورة شهرية وتحصل منه على ردود على استفساراتها مقابل مبالغ مالية.

ويذكر أن نوزيت صُنِّف على أنه حامل أسرار رفيع المستوى، وعمل سابقاً في البيت الأبيض في مجلس الأمن القومي إبَّان ولاية جورج بوش الأب، كما عمل بين عامي٢٠٠٠ - ٢٠٠٦م في مجال الأبحاث والتطوير لمصلحة هيئة المشاريع الدفاعية المتطورة ومختبر الأبحاث الملاحية ومركز التحليق الفضائي التابع لناسا.

[وكالة سانا السورية، و CNN ٢٠١١/٩/٨م]

الاحتلال يغلق حضانة فلسطينية لـ «دواعٍ أمنية»

أغلقت سلطات الاحتلال الإسرائيلية حضانة فلسطينية في (أبو طور) بالقدس المحتلة بذريعة وجود دواعٍ أمنية وتخوفاً من أن تصبح مقراً للإرهابيين!

وذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية أنه رغم بدء الدراسة في مدارس القدس، لم يتوجه ٦٤ طفلاً فلسطينياً إلى حضانتهم الواقعة في (أبو طور) بالقدس، وذلك بعد أن أغلقتها الشرطة الإسرائيلية لدواعٍ أمنية.

ونقلت الصحيفة عن بيان أصدرته شرطة الاحتلال قوله: إن المبنى الذي توجد فيه الحضانة، يستخدم من قِبَل ميليشيات «حماس» لذا كان من الضروري إقفاله حتى الرابع من أكتوبر المقبل.

وتدير مؤسسة «نجاة» الفلسطينية هذه الحضانة، وهي مسجلة لدى وزارة الداخلية مؤسسة غير ربحية، كما نشرت الصحيفة الإسرائيلية أن اثنين من مؤسسي «نجاة» يملكون تاريخاً إرهابياً على حد زعمها؛ فأحدهما قضى عدة سنوات في السجن لانتمائه لحركة حماس.

[وكالة أنباء البحرين ٢٠١١/٩/٨م]

رام الله: تصريحات نجاد تخدم اليمين الإسرائيلي بشدة

نشرت وكالة الأنباء الفلسطينية عن «الناطق الرسمي باسم السلطة الوطنية الفلسطينية» قوله: «نقلت وكالات الأنباء تصريحات للرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد زعم فيها أن إقامة دولة فلسطينية ستكون مجرد خطوة أولى على طريق محو إسرائيل من الوجود».

مضيفاً: «وإذا كنا نرفض هذه الأقوال فإننا ننظر لها بريبة؛ حيث إنها لا تخدم إلا أهداف اليمين الإسرائيلي الذي يعارض توجهنا للأمم المتحدة والتشكيك بالنوايا الفلسطينية وصدق التزامنا بحل الدولتين على حدود عام ١٩٦٧م».

واعتبر الناطق الفلسطيني أن تصريحات نجاد متناقضة مع المبادرة العربية للسلام، وهي «لا تخدم مسيرة السلام في المنطقة بقدر ما يعطي قوى اليمين الإسرائيلي مادة تسانده في دعاويه بالتشكيك في صدق نوايانا وتساعده في ترويج مزاعمه لرفض التوجه الفلسطيني للأمم المتحدة».

وذكر الناطق الفلسطيني في بيانه أن مواقف نجاد: «لا تخدم المصالح العليا للشعب الفلسطيني؛ وإنما تؤكد مرة أخرى تطابق المصالح وتقاطع الأهداف بين ما يعلنه الرئيس الإيراني وما تتبناه حكومة (نتنياهو - ليبرمان) اليمينية كمادة لاستمرار سياستها الاستيطانية والتهرب من استحقاقات السلام، وهو ما افتُضِح مؤخراً من خلال الاتفاقيات التجارية والاقتصادية بين شركات إسرائيلية وإيرانية على جميع الأصعدة».

[موقع شبكة السي إن إن العربية ٢٠١١/٨/٢٨م]

بريطانيا تحارب «القنابل العنقودية» بتمويل صناعتها!

أكدت صحيفة الإندبندنت البريطانية على صفحتها الرئيسية أن عدداً كبيراً من بنوك بريطانيا، تستثمر مئات الملايين من الجنيهات في شركات تقوم بتصنيع القنابل العنقودية على الرغم من الحظر العالمي على إنتاج وبيع هذه القنابل.

كما ذكرت الصحيفة أن بنوك «رويال بنك أوف سكوتلاند» و «لويدز تي إس بي» و «باركليز بنك» و «إتش إس بي سي بنك» جميعها توفر التمويل اللازم للشركات التي تصنع القنابل العنقودية التي أصبح الرأي العام الدولي يكافح من أجل القضاء عليها.

ومن المثير للسخرية أن بريطانيا أصبحت شريكاً نشطاً في اتفاقية «الذخائر العنقودية» وهي معاهدة دولية وقَّعت عليها حتى الآن ١٠٨ دول تحظر استخدام وإنتاج وتخزين ونقل القنابل العنقودية.

كما أنه حتى الآن لم تبذُل الحكومة البريطانية أدنى جهد لكبح جماح البنوك التي لا تزال تموِّل الشركات المعروفة لتصنيع هذا النوع من الأسلحة.

ونتيجة لذلك طالبت منظمة العفو الدولية بإطلاق حملة قومية تدعو الحكومة البريطانية إلى إصدار تشريعات ضد أي استثمار (مباشر أو غير مباشر) في صنع الأسلحة العنقودية. [جريدة اليوم السابع المصرية ٢٠١١/٨/١٦م]

حرية التعبير لهم وعلينا!

قال ممثلون للادِّعاء العام في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة: إن عشرة طلاب مسلمين خرقوا القانون عندما رددوا شعارات انتقادية أثناء إلقاء سفير إسرائيل في واشنطن (مايكل أورين) كلمة في جامعة جنوب كاليفورنيا، وهي قضية أثارت جدلاً واسعاً بشأن حرية التعبير في البلاد.

وتعود القضية إلى فبراير ٢٠١٠م عندما احتج عشرة طلاب مسلمين على كلمة السفير (مايكل أورين)، ويواجه أولئك الطلبة إمكانية الاتهام بالتآمر من أجل التشويش على اجتماع وفي حال إدانتهم فإنهم يواجهون عقوبات تتراوح بين الإبقاء تحت المراقبة مع دفع غرامة، والسجن لمدة عام.

ويقول ممثلو هيئة الدفاع: إن الطلبة المعنيين خططوا لاحتجاجهم في إطار الحدود التي وضعها القانون؛ ومن الشعارات التي تم ترديدها «أنت مجرم حرب» و «الترويج للقتل ليس تعبيراً عن حرية الرأي».

ومن جانبه قال معتز حرز الله – وهو من أصل فلسطيني ووالد أحد الطلبة الملاحقين – إنه لم يسمع أبداً بأن طلبة أميركيين يحاكَمون لأنهم قاموا بالاحتجاج، مذكراً بأنه قَدِم إلى الولايات المتحدة بحثاً عن السلام وحرية التعبير والكرامة والشرف.

[موقع الجزيرة نقلاً عن وكالة أسوشيتد برس ٢٠١١/٩/٧م]

منع الاختلاط في صلاة العيد «سنة غير حسنة»!

انتقد «المركز المصري لحقوق المرأة» قرار محافظ الجيزة المتعلق بفصل الرجال عن النساء في صلاة عيد الفطر بميدان مسجد مصطفى محمود الشهير بالجيزة، واصفةً القرار بأنه «سُنة غير حسنة».

ورأى المركز في القرار «محاولة لمغازلة بعض التيارات المتشددة دون فهم لثقافة المصريين وطرق احتفالهم بالعيد؛ حيث كان الميدان لأكثر من عقدين من الزمان ملتقى لأداء الفريضة والاحتفال في آن واحد».

ويذكر أن الاختلاط في صلاة العيد قد أثار جدلاً العام الماضي إبَّان حكم الرئيس المخلوع حسني مبارك؛ وهو ما دفع بوزارة الأوقاف إلى نفي مسؤوليتها عن اختلاط الرجال بالنساء في بعض المساجد؛ موضحة أن «المحافظة هي التي تنظم الساحة للصلاة، والمديرية دورها يقتصر فقط على دعوة الإمام والخطيب».

وقد حسمت المحافظة موقفها تجاه هذا الأمر (قرار فصل الرجال عن النساء)؛ متعجبة أن يُقابَل القرار بهذا الانتقاد الشديد من قبل المركز المذكور. [المفكرة ٢٠١١/٨/٢٨م]

كشف تحقيق أجرته صحيفة (تايمز) أن صادرات الأسلحة من بريطانيا إلى المنطقة العربية، ارتفعت بنسبة ٣٠ ٪ منذ ذروة (الربيع العربي).

وتقول الصحيفة: إنه تم تصدير أسلحة بقيمة ٣٠,٥ مليون جنيه لدول في الشرق الأوسط في فترة ما بين فبراير ويونيو الماضيين مقارنة بـ ٢٢,٢ مليون جنيه للفترة نفسها من عام ٢٠١٠م.

وذكر التقرير أن صادرات الأسلحة شملت الأسلحة التي يمكن استخدامها في القمع الداخلي مثل ذخيرة الأسلحة الصغيرة وبنادق قنص وبنادق الرش ومدافع رشاشة.

[موقع الإسلام اليوم ٢٠١١/٨/٢٩م]

كشفت لجنة شكَّلها باراك أوباما أن تجارب طبية قام بها علماء أميركيون على مئات من سكان غواتيمالا بدون علمهم في أربعينيات القرن الماضي، أدت إلى موت ٨٣ شخصاً على الأقل.

وكان العلماء قد حقنوا عمداً ١٣٠٠ شخص بدون علمهم بجراثيم أمراض الزهري والسيلان الأبيض.

وأجريت هذه التجارب بين عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٨م وموَّلتها معاهد وطنية أميركية للصحة، وكانت تهدف إلى معرفة مدى فائدة البنسلين لمنع هذه الأمراض.

وقامت اللجنة في نوفمبر بدراسة ١٢٥ ألف وثيقة ذات الصلة بهذه التجارب ومن المقرر أن تقدم استنتاجاتها النهائية في سبتمبر الحالي.

[الفرنسية ٢٠١١/٨/٣٠م]

بيَّنت صحيفة كريستيان ساينس مونيتور الأمريكية، أن تقريراً صدر حديثاً أكد على أن «نحو ٨ ملايين طفل يعيشون مع أحد الأبوين الذين يبحثون عن عمل، وكانوا بدون عمل في عام ٢٠١٠م، وهذا ضِعْف العدد الذي كان قبل ثلاث سنوات».

وأضاف التقرير أنه في كل الولايات المتحدة يعيش نحو ١٥ مليون طفل (٢٠٪) في حالة فقر، وهناك تحديد عام لمستوى الفقر وهو ٤٣,٥١٢ دولاراً في السنة لعائلة من أربعة أفراد، وهو الحد الأدنى الذي تحتاجه أغلب العائلات لتوفير حاجاتها.

وذكر المركز الوطني للطفولة التابع لجامعة كولومبيا أن نِسَب فقر الأُسر التي لديها أطفال صغار أعلى منها لدى الأسر التي فيها أطفال كبار؛ حيث يعيش ٤٣٪ من الأطفال الذين أعمارهم أقل من ست سنوات لدى عائلات فقيرة، مقابل ٣٧٪ من الأطفال الذين تزيد أعمارهم عن ست سنوات.

كما كشفت الصحيفة أن رقم البطالة القياسي وهو ١٢,١٪، ونسب غلق المساكن جعلت ولاية نيفادا تشهد زيادة بنسبة ٣٨٪ في فقر الأطفال، وتضرر ١٣٪ من الأطفال بسبب غلق المساكن، وهي أعلى نسبة بين باقي الولايات.

[صحيفة كريستيان ساينس مونيتور الأمريكية - ترجمة الجزيرة ٢٠١١/٨/١٨م]

أكد العقيد هشام أبو حجر قائد القوات المناهضة للقذافي في ليبيا أن زهاء ٥٠ ألف شخص قتلوا منذ اندلاع الانتفاضة الليبية لخلع معمر القذافي قبل ستة أشهر، كما أضاف: إن ما بين ١٥ - ١٧ ألف شخص قتلوا في مصراتة وزليتن وأن جبل نفوسة (الجبل الغربي) شهد سقوط كثير من الضحايا.

وتابع: إن مقاتلي المعارضة حرروا نحو ٢٨ ألف سجين، مؤكِّداً على أن هذه الأرقام تشمل أولئك الذين لقوا حتفهم في القتال بين قوات القذافي ومعارضيه وأولئك الذين أصبحوا في عداد المفقودين خلال الأشهر الستة الأخيرة.

[جريدة الأهرام المصرية ٢٠١١/٨/٣٠م]

الإسلام في نيبال

د. أحمد محمود السيد
mr.ah54@hotmail.com

العاصمة: كاثماندو.

اللغة الرسمية: النيبالية.

المساحة:١٨١,١٤٧ كم٢.

عدد السكان: تسعة وعشرون مليون نسمة تقريباً؛ حسب (تقديرات يوليو ٢٠٠٧م)

الديانات: الهندوسية ٧٣,٦ ٪ ، البوذية ١٠,٧ ٪، المسلمون ١٢٪ حسب الإحصائية الإسلامية، كيرانت ١,٦ ٪ ، غير ذلك ٠,٩ ٪. (عدد المسلمين ٢,٨٠٠٠٠٠ نسمة).

الموقع: تقع في جنوب وسط آسيا؛ حيث تغطي جبال الهملايا، التي تعد أعلى سلسلة جبلية في العالم، والتلال والوديان نحو ٨٠ ٪ من هذه المملكة كما يغطي التاراي أو التيراي، وتجاورها التبت التابعة للصين من الشمال، وتحدها الهند من الشرق والجنوب والغرب وطول البلاد يمتد من الغرب إلى الشرق.

أهم المدن: بوكهرا، بهيرهوا، بتول، بيرات نغر، بير غنج، دهران، جنكفور دهام.

التوزيعة السكانية: ينتمي سكان نيبال إلى جنسيات كثيرة، وفيها حوالي ٤٠ لغة، فهناك لغة مغولية يتحدث بها سكان نيبال القاطنون في المناطق الجبلية المرتفعة من الهملايا شمال البلاد (لغة التبت)، وهناك عدة لغات هندية، وإلى جانب هذا في الغرب يتحدث السكان لغة أهل كشمير، وتنتشر لغة البوماوية والأردية، وهكذا تتعدد العناصر في نيبال، وحوالي ٦٠٪ من سكان البلاد يعيشون في الأودية الجبلية، وقرابة ٤٠٪ من السكان ينتشرون في إقليم تيراي.

وتعتبر نيبال دولة فقيرة ومتخلفة وتنتشر فيها الأمراض والأمية بدرجة كبيرة.

بعض المعتقدات الموجودة في نيبال:

الهندوسية: هي الديانة الأرضية السائدة في البلد، وكانت لها السيادة الرسمية في النظام الملكي قبل الديمقراطية، التي جاءت فألغت رسمية الديانة وجعلت لكل شخص حرية التدين بما شاء. والهندوس نسبتهم ٧٥٪ من العدد الكلي للسكان البالغ (٢٨ مليون نسمة).

البوذية: هي الديانة الأرضية التي جاء بها بوذا، وتاريخها قديم، وهي الآن تتبع الهندوسية في كثير من عباداتها وعاداتها ونسبتهم ١٢٪

النصرانية: تنصر ٣ ٪ من سكان النيبال.

الإسلام: من روايات وصول الإسلام إلى نيبال: أنه دخل عبر محورين: (غربي) جاء إليها من كشمير، و (جنوبي) أتى إليها عن طريق شبه القارة الهندية الباكستانية، عن طريق التجارة.

ويذكَر أن صلة المسلمين زادت بنيبال في عهد الإمبراطور المغولي أكبر، الذي أرسل البعثات الإسلامية إلى البلاد وكان ذلك في عام ١٤٩١م، فالإسلام قديم في نيبال.

جغرافية المسلمين هناك:

المسلمون منقسمون حسب المناطق إلى قسمين: وفي التقسيم الجغرافي حسب مناطق المسلمين أن نيبال منقسمة جغرافياً إلى قسمين :

الأول: القسم الجبلي: المسلمون في المناطق الجبلية قليلو العدد، كما أن التنقل صعب في هذه المناطق ويتم مشياً على الأقدام، وهؤلاء يشبهون صينيي التبت في المشرب والمأكل والملبس. وقامت إحدى الجمعيات الإسلامية بفتح المدارس الإسلامية والمراكز الدعوية؛ وذلك ببناء المساجد في القرى والمدن، وتعيين دعاة وأئمة لها ليقوموا بالتدريس والدعوة مع قيامهم بدور الإمام والخطيب كما تسعى الجمعية لإخراج نخبة من طلبة المناطق الجبلية أئمة ودعاة؛ وذلك بإرسالهم إلى الهند والمملكة العربية السعودية للدراسة ليتمكنوا من تكملة دراستهم هناك.

الثاني: القسم السطحي: وفي هذا القسم يوجد فيه المسلمون أكثر من المناطق الجبلية، وفيهم بعض الفرق مثل «القاديانية» و «البريلوية». ومسلمو هذه المناطق يشبهون ساكني الهند مأكلاً ومشرباً.

ويمارس المسلمون شعائر دينهم بحرية بالرغم من التحديات الضئيلة من جانب الهندوس. وهم منتشرون في كافة أنحاء البلد ولهم مراكزهم الدعوية والمدارس الإسلامية والمساجد المنتشرة بأعداد كبيرة كما لهم دعاة ومفكرون إسلاميون، وهي الديانة الثابتة التي يزيد عدد معتنقيها يوماً بعد يوم.

المصادر:

- رسالة الماجستير «الأقلية المسلمة في نيبال ومشكلاتهم» للباحث محفوظ عالم الفلاحي بالجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ (بنغلاديش).
- موقع المعرفة.
- موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- موقع مفكرة الإسلام.

أوراد

أهل السنة والجماعة

من القرآن الكريم وصحيح السنة والنبوية

قال شيخ الإسلام: (فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان).

في هذا الكتاب..

الثناء • الصلاة على الحبيب • الاستغفار • السؤالات • الاستعاذات
تفريج الكرب والهم • الرقية الشرعية • أذكار الصباح والمساء

للتوزيع الخيري والمبيعات في المملكة العربية السعودية - اليمن - السودان
دار رسالة البيان للنشر والتوزيع - هاتف : ٤٥٤٦٨٦٨ - تحويلة ٥٠٢/٥٠٠ - جوال : ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
المنطقة الغربية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ - المنطقة الجنوبية : ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨ - القصيم : ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦
الشرقية : ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ - مكة : ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠

آفاق وأبعاد تدهور العلاقات الصهيونية التركية

د. عدنان أبو عامر(*)
adnanaa74@hotmail.com

ذكرت مصادر صهيونية أنه بعد التهديدات التي أطلقتها تركيا بإرسال أسطولها البحري قرب قبرص لحماية السفن – ومن ضمنها سفن المساعدات لقطاع غزة – قررت قيادة الجيش بالتشاور مع وزير الحرب «إيهود باراك» إجراء مشاورات أمنية على ضوء التهديد التركي، وقال ضابط رفيع المستوى خلال اجتماع مغلق: إنه إن نفذ الأتراك تهديدهم، وأرسلوا أسطولهم البحري ليجوب مقابل شواطئنا، فسيترتب على ذلك تداعيات خطيرة.

وقد عبَّرت أوساط عسكرية عن توجه تركي يقضي بزيادة وجودها العسكري في شرقي البحر المتوسط من فرقاطة إلى ٤ فرقاطات، في ضوء امتلاكها لأطول حدود بحرية عليه، وتسعى للقيام بدور كبير (إقليمي ودولي)، في سلوك مشابه لما تقوم به في المجال الجوي في بحر «إيجه» مع اليونان، وهو ما يعني أن سلاح البحرية التركي لن يسمح لأي قطعة حربية صهيونية بالاقتراب من سفنه لأكثر من ١٠٠ متر.

مواقف منتقدة:

في الوقت نفسه خرجت مواقف منتقدة للحكومة العبرية، ومطالبة بإصلاح العلاقات مع تركيا:

البروفيسور «أمنون روبينشتاين»، الحائز على جائزة «إسرائيل» في القانون، وعضو هيئة التدريس بمدرسة «رادزينر» للقانون بمركز هيرتسيليا متعدد التخصصات: انتقد الحكومة العبرية بشدة، وطالبها بالاعتذار للأتراك، والاستعداد لدفع تعويضات، لمنع تدهور آخر في العلاقات، بسبب الأهمية الهائلة لتركيا، والعلاقات معها بالنسبة لأمن «إسرائيل»؛ نافياً أيَّ معنى قانوني للاعتذار.

وأكد أن الحكومة الصهيونية والسلطات الأمنية أخطؤوا بشكل كبير للغاية حين صمموا على السيطرة على السفينة بواسطة وحدة عسكرية من النخبة، وليس وحدة شُرَطية؛ لذا لم يتمكن جنود الكوماندوز من الاستعانة بأسلحة غير قاتلة لتفريق التظاهرات، وكان من شأنها منع مقتل بعض العناصر على السفينة، وكان من الممكن التغلب عليهم بواسطة خراطيم المياه والغاز المسيل للدموع.

وأضاف: في الجانب السياسي، شكَّل العمل على متن السفينة نموذجاً للإهمال لا مثيل له؛ لأن الأمر تعلق برعايا دولة مهمة للغاية لوجود «إسرائيل»، وتشكِّل قوة عسكرية إقليمية، والويل لنا لو أصبحت دولة عدوة، متوقِّعاً أن يكون طرد السفير من أنقرة خطوة أُولَى في عمل معادٍ آخر، مطالباً ببذل جهود بمساعدة الإدارة الأمريكية كي لا تتفاقم الأوضاع.

أما المحلل الصهيوني «يسرائيل زيف» فقد رأى أن التصعيد الخطير في العلاقات مع تركيا ينبغي أن يقلق

(*) كاتب فلسطيني.

القيادة الإسرائيلية. فالخريطة الإستراتيجية تغيرت وإسرائيل لا يمكنها أن تبقى على حالها، ومسألة الاعتذار ليست فقط مسألة من هو المحق (نحن أم الأتراك)؟ بل تتعلق بمسألة أوسع بكثير لطبيعة علاقاتنا الإقليمية.

وأضاف: في الأيام العادية قد لا يكون سليماً أن تفكر إسرائيل بالاعتذار عن عملية شرعية ضد الأسطول، ولكن في الوضع الإقليمي القائم على إسرائيل أن تنظر إذا كان من الأهم التقرب إلى تركيا التي تشكل القوة الصاعدة في المنطقة، وإيجاد السبيل إلى قلبها، وهو الأمر الذي سيسهل بقدر كبير مهمة الولايات المتحدة في المنطقة بل ربما يسمح بخطوة اللحظة الأخيرة لتجنيد الأتراك، والدول التي تسمى «دولاً نوعية» في محاولة أخيرة لصد الخطوة الفلسطينية أو التأثير على التصويت المرتقب في نهاية الشهر؛ على أي حال زمن التردد نفد، والحاجة إلى القرار باتت هنا».

وأما المحلل السياسي الصهيوني البارز، «عكيفا إلدار»، فقد تناول أبعاد الأزمة التي تواجهها «إسرائيل» مع تركيا باعتبارها «ضوء تحذير أحمر» ينذر بهجمات ستتعرض لها على الجبهات الدبلوماسية والأمنية والاقتصادية، محذراً من تقليد مصري وأردني للسلوك التركي في استدعاء سفرائهما من تل أبيب.

وأما رئيس ديوان رئيس الحكومة الأسبق «إسحاق رابين» «إيتان هابر»، فقد حدد معالم الخسارة الصهيونية لتركيا بقوله: إنها كانت ستصبح لاعباً هاماً للمنظومة الإستراتيجية الصهيونية في الشرق الأوسط؛ حيث وصلت علاقات البلدين إلى أبعد مما كان متوقعاً، وسجل لنا ربح هائل في الميزان السياسي، والآن لم يتبقَ لنا سوى «البكاء على الحليب المسكوب»؛ لأنه كان بوسع تل أبيب ألا تعطي «أردوغان» سبباً وجيهاً لسلوكه المعادي ضدها، وهو ما يحتم عليها في هذا الوقت بالذات أن تعيد ارتباطها من جديد وبقوة بمصالح واشنطن في المنطقة؛ لأنها ليست لحظة سهلة لـ «إسرائيل».

الخسائر العسكرية:

محافظ البنك المركزي الصهيوني البرفيسور «ستانلي فيشر» حذر من عواقب تدهور العلاقات مع تركيا؛ لأنها شريك تجاري جدي لـ «إسرائيل»، وتبعات الأضرار في التجارة معها ستكون خطيرة بالنسبة للأخيرة، كما أن ناتجها القومي يزيد عن ٧٠٠ مليار دولار، وهو ما يجعلها الدولة الأكبر اقتصادياً في المنطقة، وتقترب لتصبح دولة اقتصادية كبيرة بمصطلحات عالمية، وهي تعيد بناء مكانتها على أنها جهة مركزية في التجارة الإقليمية؛ سواء مقابل دول آسيا أو أوروبا أو الشرق الأوسط.

ورئيس اتحاد الغرف التجارية «المحامي أورئيل لين» أعلن أن تفاقم الخلاف مع تركيا سيُلحِق أضراراً فادحة بالصناعة «الإسرائيلية»؛ لأنه إذا قررت تركيا المساس بالعلاقات التجارية مع «إسرائيل»، فسوف تخسر الأخيرة شريكاً تجارياً ممتازاً ومهماً كان لإسرائيل طوال سنوات مضت، وأشار لين إلى أن وقف العلاقات التجارية يمكن أن يقود إلى إقالات في المصانع التي تصدِّر إلى تركيا.

ولكن يقال في إسرائيل إنه رغم أن القرار التركي لم يزعزع الصناعات العسكرية الإسرائيلية – على الرغم من أن تركيا كانت قبل عقد من الزمان الزبون الأكبر لهذه الصناعات – فإن الصيانة الإسرائيلية للمعدات التركية ستتواصل؛ إذ سيصعب على الجيش التركي صيانة أجهزة اشتراها من الصناعات العسكرية الإسرائيلية مثل «رفائيل» و «البيت» والصناعات الجوية.

بينما رأت مصادر مقربة من الجيش الصهيوني، أن الأضرار اللاحقة بإسرائيل جراء الأزمة مع تركيا تخلق سلسلة ضربات للجيش وللصناعات الإسرائيلية العسكرية، وهي:

١ – فقدان حليف إستراتيجي إقليمي: حيث إن الجيشين التركي والإسرائيلي يقيمان علاقات تعاون عميقة جداً تنطوي على تنسيقٍ دائم في التطورات الإقليمية. ومثل هذا التنسيق مهم ولا تنازل عنه؛ خصوصاً الآن في ظل الأوضاع في سوريا والعراق والدور الإيراني.

٢ – الإساءة للعلاقات الإسرائيلية الأميركية: حيث إن الولايات المتحدة كانت قد توجهت رسمياً لإسرائيل حتى تعتذر لتركيا أو تتوصل معها إلى أية صيغة تنهي الأزمة بينهما. والرفض الإسرائيلي أغضب واشنطن جداً.

٣ – التضرر على مستوى مكافحة العنف: فإسرائيل لا تستطيع الاستغناء عن الدور التركي في هذا المجال، ومن اليوم فصاعداً سيكون عليها أن تعتمد على قواها الذاتية مع مكافحة نشاطات العنف الإقليمية.

٤ – تراجع الصناعات العسكرية الإسرائيلية: فإسرائيل تبيع أسلحة كثيرة لتركيا تصل قيمتها إلى مئات كثيرة من ملايين الدولارات كلَّ سنة. وفقدان السوق التركية قد يُحدِث أزمة لهذه الصناعات إذا لم توجد أسواق أخرى.

أمريكا تدعو للحشمة

أ.د. عبد الله بن هادي القحطاني(*)

تبنَّى البنتاغون سياسة الفصل بين الجنسين حلاً لكثير من المشكلات التي تواجه المجندين والمجندات، وخاصه في ما يتعلق بالاغتصاب والتحرش الجنسي. ولكن كما هي العادة دون الإشارة إلى ذلك التشريع الإسلامي النبيل الذي يحفظ للمجتمع كرامته وعفته ويصون أمنه وسلامته! وعلى أية حال فقد أشاد الأمير تشارلز في خطابه بجامعه أكسفورد بمبادئ الإسلام وأخلاقه العظيمة ودورها في تقديم الحلول الأخلاقية للغرب لتخطي معضلاته الأخلاقية ومشكلاته الاجتماعيه.

وفي هذا السياق كشف وزير الدفاع الأمريكي السابق وليام كوهن اللثام عن المرحلة الأولى من خطة شاملة للحفاظ على مستوى معقول من الفضيلة بين المجندين والمجندات. وقد أكدت الخطة على أهمية تشييد عوازل ثابتة لفصل سكن المجندين الذكور عن الإناث في المبادئ الحالية المختلطة وهذا يعتبر إجراء مرحلياً حتى يتم تشييد مبانٍ جديدة منفصلة. كما أن البحرية الأمريكية قد أصدرت عدداً من التعاليم المشددة التي تمنع وجود الضباط الذكور مع الإناث خلف أبواب مغلقة (منع الخلوة)، وقد فرضت هذه التعاليم على جميع المجندين والمجندات؛ خاصة على متن السفن الحربية. وقد أكد وزير الدفاع أن الهدف من هذه الإجراءات هو توفير مستوى معقول من الخصوصية والشعور بالأمن لأفراد قِطاعات وزارة الدفاع المختلفة. هذا بالإضافة لإجراءات أخرى توجب غلق الأبواب بإحكام خلال فترات النوم، ولبس ملابس ساترة، كما منعت التعليمات مشاهدة الأفلام الإباحية في حضرة إناث المجندات، كما حوت تلك التعاليم تفاصيل حول طبيعة الملابس التي يجب على المجندين والمجندات الالتزام بها[1].

بعد هذا التمهيد فإن السؤال الذي نطرحه هنا: لماذا تُفرَض كل هذه التعليمات التي تبدو (راديكالية وغير حضارية) من قِبَل

(*) جامعة الملك خالد – أبها.

(١) The Family, June 1998, Is4sue No. 59,p.3.

وزير في أكبر بلد (متحضر) في العالم؟ والإجابة سهلة جداً: لقد بلغت معدلات الاغتصاب والتحرش الجنسي مستويات لا تصدَّق، حتى غدت تمثل خطراً على الأمن القومي الأمريكي؛ حيث إن آلاف الشكاوى من قِبَل الموظفات تحولت إلى صيحات نذير، وربما احتاج صانعوا القرار الأمريكيون أن يفرضوا مثل هذه القوانين داخل أروقة البيت الأبيض نفسه؛ وخاصة في أعقاب فضيحة كلينتون ومونيكا.

ومواصلة للإجابة عن السؤال أعلاه؛ فان هيئة الفرص الوظيفية المتساوية (Equal Employment Opportunity Commission) أعلنت أنه قد بلغ عدد شكاوى التحرش الجنسي من النساء العاملات ١٠,٥٧٨ خلال عام ١٩٩٢م، وقد زاد عدد تلك الشكاوى إلى ١٢,٥٣٧ شكوى في عام ١٩٩٣م[1]. وهذا في بلد تعدَّت فيه الحرية الشخصية كلَّ الحدود وسُهِّلت فيه العلاقات الجنسية إلى ما لم يعد معقولاً؛ فأين الكبت الجنسي؟ ومع ذلك فإن المشكلة لم تعد محصورة بالولايات المتحدة وحدها، بل أصبحت مشكلةً عالمية مرتبطة بكل مَواطن الاختلاط بين الجنسين؛ فقد أوردت منظمة العمل العالمية (International Labor Organization) في مذكرة بعنوان (محاربة التحرش الجنسي) في مكان العمل لشهر نوفمبر ١٩٩٢م أن آلافاً من النساء قد أصبحن ضحايا للتحرش الجنسي في مكان العمل في الدول الصناعية كل عام. وكان ما نسبة ٣٠ ٪ من النساء العاملات المشاركات في استبيانات المنظمة قد تعرضن للتحرش الجنسي المتكرر والصارخ. وكانت نسبة النساء اللاتي تعرضن للتحرش الجنسي في الولايات المتحدة ٤٢٪. وقد تطرق التقرير لنسبة التحرش الجنسي في دول مثل أستراليا، والنمسا، والدنمرك، وفرنسا، وألمانيا، واليابان، والمملكة المتحدة التي ذكرت أن نسبة ٧٥٪ من النساء العاملات قد تعرضن لنوع ما من التحرش الجنسي في مكان العمل، وقد شمل الاستبيان بعض دول العالم الأخرى؛ حيث يوجد الاختلاط بين الجنسين في مكان العمل. وكان نصيب ماليزيا أقل نسبة بـ ٨ ٪ من العاملات اللاتي يذكرن تعرضهن لتحرش الجنسي[2].

هذه بعض الإحصاءات حول التحرش الجنسي فقط، ولكن هناك جرائم أخرى تُرتَكَب ضد النساء في المجتمعات المختلِطة؛ فقد ذكرت بينت ولاثيون (عام ١٩٩٣م) أن حوالي ٤ ملايين امرأة قد تعرضن للاعتداء البدني في عام واحد فقط، ناهيك عن أولئك اللاتي لم يبلِّغن وتجرعن الغصص دون صراخ، بينما عدد حوادث السيارات في ذلك العام لم يزد عن ربع مليون حادث[3].

يأتي ذلك القرار من وزير الدفاع الأمريكي السابق في وقت بلغت فيه نسبة الولادات غير الشرعية لأمهات مراهقات غير متزوجات ٧٦٪ من مجموع الولادات عام ١٩٩٠م فقط، على أن حالات الإجهاض غير مضمَّنة في النسبة. وبينما ينخرط الذكور قبل سن ١٨ في ممارسات جنسية، فإن ٥٦٪ من البنات يكن قد فقدن عذرتهن قبل ذلك السن[4].

إن الإسلام فقط هو القادر على تقديم حلول ناجحة لكل المشكلات الأخلاقية التي أدت إلى الانحطاط الخُلُقي والتمزق الأسري. فبالإسلام يقوم منهاج حياة متكاملة يضمن السعادة والكرامة لكل المجتمع؛ وذلك بأخذ حاجات الإنسان الفطرية في الاعتبار وتوفير السبل الطاهرة والنبيلة لسدها والتفاعل معها، وهذا النظام الرباني لا يخضع لاحتكار الإنسان ورغباته في تحويره وتطويعه لتحقيق مصالح آنية لأطراف على حساب أخرى. ولهذا فالإسلام يقدم منظومة واضحة من القيم والحقوق لكل أطراف المجتمع بغض النظر عن أعراقهم وجنسهم؛ وذلك وَفْق نظام عادل وحقوق متبادلة، وعلى الرغم من كل هذا فإن الإسلام قد وُضِع في قفص الاتهام من قِبَل أطراف معينة ولأسباب، منها:

السبب الأول: من مصلحة بعض وسائل الإعلام التي تتحكم بها الصهيونية تصوير الإسلام على أنه دين وحشي لا يصلح حتى للقرون الوسطى التي عاش فيها اليهود عهدهم الذهبي في كنف الإسلام، وما فيلم (الجهاد في أمريكا) Jihad in America و (الحصار) (The Siege) إلا مثالان بسيطان لما تقوم به صناعة السينما الأمريكية لتشويه صورة الإسلام في أذهان ملايين الناس حول العالم، وهم – في غالبهم – يجهلون حقيقة الإسلام. وأما خبراء الدراسات الشرق أوسطية من أمثال المستشرق (برنارد لويس)، و (جود بث ميلر) فقد لعبوا دوراً غير مسؤول في تأجيج الاتجاهات الخاطئة في عقول كثير من الأمريكيين عن رسالة الإسلام النقية ولو أن هذا الحقد والإخلال بالموضوعية العلمية لم يمنع الراغبين في التعرف على حقيقة الإسلام رغم الدعوات والمفاهيم الخاطئة من أمثال جفري لانغ (أستاذ الرياضيات بجامعة كانساس) ومراد

(1) The Macmillan Visual Almanac, 1996 p.37.
(2) The Macmillan Visual Almanac, 1996 p.3.
(3) Shatha Zerekly, Muslim Womwn and Contemporary Challenges. Majdalawi Press, Amman, 1997, p.97.
(4) Abstract of the United States 1998, 118th edition. Issue October 1998, p.86

هوفمان (سفير ألماني سابق).

السبب الثاني لسوء فهم الإسلام: هي أقلية في المسلمين لا تمثل جوهر الإسلام ولكنها بممارساتها الخاطئة تعزز المفاهيم المغلوطة عن الإسلام بعون من تعميم وتضخيم الإعلام المنحاز ضد الإسلام لتلك الممارسات المحدودة.

وكذلك محدودية قدرة المسلمين المهتمين على إظهار الإسلام بطريقة جذابة للعالم جراء تلك المفاهيم الخاطئة التي علقت في أذهان الناس عن الإسلام.

وتؤكد ماكرير (عام ١٩٩٣م) على حقيقة أن التعليم غير المختلط يصب في مصلحة الطالبات اللاتي يواجهن أذى لا يطاق على أيدي زملائهم الطلاب. كما أشارت إلى أن ثمان من تسع عالمات ممن حصلن على جائزة نوبل، كن قد تخرجن من مدارس ثانوية خاصة للبنات فقط وقد أثار الدهشة لدى كثير من الأمريكيين تقرير نشرته النيويورك تايمز بتاريخ مايو (١٩٩٣م) بعنوان (عدم الاختلاط أفضل) Separation is Better على يد كبيرة مراسليها سوزان أسترتش Susan Ostrich وقد كانت إحدى خريجات كليات البنات في الولايات المتحدة؛ حيث أشار التقرير إلى أن البنات اللاتي يتخرجن من كليات البنات يحققن أداءً أفضل من زميلاتهن في الكليات المختلطة، وقد أبدت أسترتش رأيها بمجموعة من الإحصاءات:

أن ٨٠ ٪ من الطالبات في الكليات غير المختلطة يدرسن العلوم والرياضيات لمدة أربعة سنوات مقارنة بسنتين في الكليات المختلطة.

وتحقق الفتيات الملتحقات بالمدارس الثانوية غير المختلطة نسباً تراكمية أعلى من الطالبات في المدارس المختلطة.

أوردت مجلة فورتشن (Fortune Magazine) أن ثلث النساء العضوات في مجالس إدارة أكبر ألف شركة أمريكية كن قد تخرجن من كليات غير مختلطة. ولكي نعرف مدى ضخامة وأهمية هذا الرقم فإن نسبة الطالبات اللاتي يتخرجن من الكليات غير المختلطة مقارنة بالمختلطة في الولايات المتحدة لا تتعدى ٤ ٪ سنوياً.

وتمثل خريجات المدارس غير المختلطة من البنات ٤٣٪ من الحاصلات على درجة الدكتوراه في الرياضيات، و ٥٠٪ من الحاصلات على الدرجة نفسها في الهندسة.

وخلال السنوات الماضية قام مجموعة من الباحثين في جامعة ستيتسون (Stetson University) في فلوريدا عام ٢٠٠٨م بالولايات المتحدة الأمريكية بدراسة استمرت ثلاث سنوات هدفها مقارنة المدارس المختلطة وغير المختلطة. وقد كشفت الدراسة عن تفوق المدارس غير المختلطة على المختلطة؛ وذلك من خلال حصول طلاب وطالبات المدارس غير المختلطة على نتائج متميزة في اختبار القدرات الشامل بولاية فلوريدا (Florida Comprehensive Assessment Test)، وذلك كما يلي:

المدارس المختلطة ذكور ٣٧ ٪.

المدارس المختلطة إناث ٥٩ ٪.

المدارس غير المختلطة إناث ٧٥ ٪.

المدارس غير المختلطة ذكور ٨٦ ٪.

وقد أشاد برنامج نايتلي نيوز (Nightly News) في قناة NBC بهذه الدراسة.

وفي دراسة مشابهة قام بها باحثون في جامعة كامبردج استمرت أربع سنوات وأعلنت نتائجها عام ٢٠٠٥م بشأن التعليم المختلط وغير المختلط، أشار فيها الباحثون إلى نتائج مذهلة، وهي: أن الطلاب في الفصول الدراسية غير المختلطة قد تحسن أداؤهم عن زملائهم في المدارس المختلطة في مجال اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بينما تفوقت الطالبات على زميلاتهن في المدارس المختلطة في مجالات الرياضيات والعلوم.

ولم تقتصر الدراسات على الولايات المتحدة فقط؛ فقد أجرت الهيئة البريطانية للبحوث التربوية (The National Foundation for Research) دراسة على ٢٩٥٤ مدرسة ثانوية، أعلنت نتائجها في ٨ يوليو ٢٠٠٢م، بيَّنت فيها أن الطالبات في المدارس غير المختلطة قد تفوَّقن على زميلاتهن في المدارس المختلطة وكذلك الطلاب، وذلك بدلالات إحصائية عالية. كما أظهرت الدراسة أن أهمية وجود تعليم غير مختلط ليست فقط في المرحلة الثانوية بل حتى على مستوى طبلة التمهيدي والابتدائي.

وقد أبانت دراسة أجريت على ٢٧٠ ألف طالب وطالبة في أستراليا عام ٢٠٠٠م لفترة امتدت ست سنوات، قام بها المجلس الأسترالي للبحوث التربوية The Australian Council for Educational Research أن الطلاب والطالبات في المدارس غير المختلطة كانوا أكثر التزاماً بالقيم والأخلاق وأكثر استمتاعاً بالدراسة وأكثر جدية من زملائهم بالمدارس المختلطة.

وفي سياتل في شمال غرب الولايات المتحدة الأمريكية،

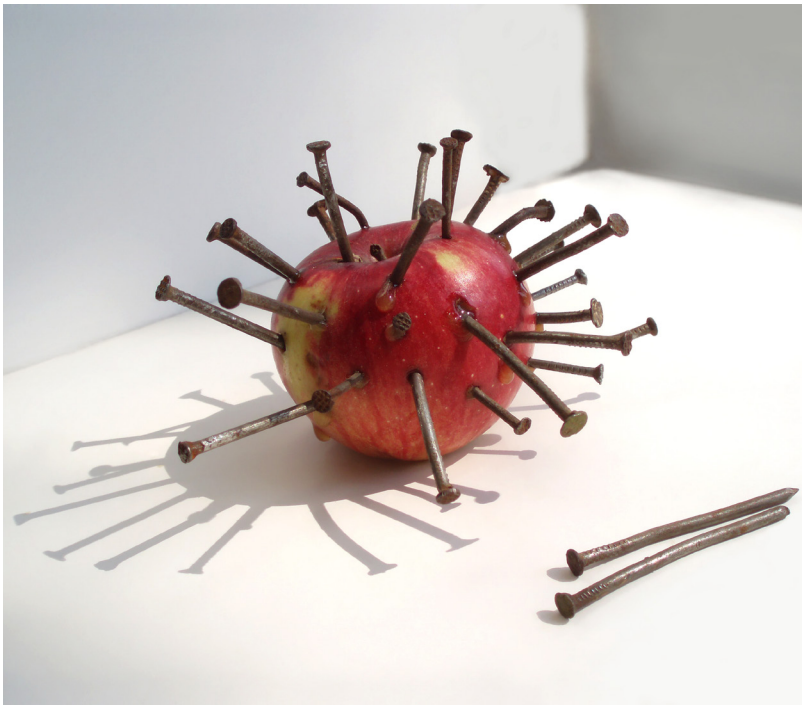

خَطَت مدرسة ثورقود مارشال خطوة جريئة بالتحول من مدرسة مختلطة إلى غير مختلطة وقد كانت النتائج مذهلة؛ فقد ذكر مدير المدرسة بنجامين رايت أن معدل ٣٠ طالباً وطالبة كانوا يرسَلون للمدير يومياً بسبب سوء سلوكهم، أكثر من ٨٠ ٪ منهم من الطلاب الذكور. ولكن بعد تحول المدرسة إلى النظام غير المختلط لم يتعد عدد الطلاب المحالين لمكتب المدير١ - ٢ في اليوم. وهذه نتائج مذهلة في مجتمعٍ الاختلاط سمته العامة.

وقد أوصت الدراسات التي أشرت إليها أعلاه بالرجوع إلى موقع المنظمة الوطنية الأمريكية للتعليم العام غير المختلط (NASSPE) الرسمي على شبكة الإنترنت. كما حوى الموقع[١] عشرات الدراسات في دول العالم المختلفة التي تظهر أثار الاختلاط السلبية على المستوى الأكاديمي والأخلاقي في كافة مراحل التعليم بدءاً من التمهيدي مروراً بالابتدائي والثانوي، وأشادت بالنتائج المذهلة التي حققتها المدارس غير المختلطة.

وهذا دليل آخر من العالم الغربي نفسه ينادي صارخاً بأفضلية وفعالية تطبيق تعاليم الإسلام نظاماً عالمياً يكفل للإنسان سعادته وللمرأة حقوقها. وفي هذا السياق يقول السياسي والكاتب الهندي كوفهي لالجابا (Kofhi Laljapa): (لا يوجد دين في الوجود قادر على حل مشكلات العصر الحديث غير الإسلام؛ فالإسلام يملك قدرة فريدة على ذلك)[٢].

وبغض النظر عن تلك الهجمات الشرسة التي تشنها بعض وسائل الإعلام الغربية والتي تحدوها أهداف سياسية وفكرية ضد الإسلام ومكانة المرأة فيه؛ فإن عدد الداخلين في الإسلام في الدول الغربية نفسها يزيد بنسبة كبيرة وسط النساء. وقد أوردت الصحيفة اللندنية واسعة الانتشار الديلي ميل (Daily Mail) في عددها بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٩٣م: أن أكثر من ٢٠,٠٠٠ امرأة بريطانية قد اعتنقن الإسلام واخترنه طريق حياتهن من ذلك التاريخ، وكانت غالبيتهن العظمى من الطبقة الوسطى المثقفة. والسؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان الإسلام ديناً يضطهد المرأة كما تزعم الدعاوى الإعلامية الجائرة؛ فلِمَ يعتنق هذا العدد الكبير من نساء الدول المتحضرة والمتحررة الإسلام؟ لقد كفتنا هذه الصحيفة واسعة الانتشار ذلك العناء فقد أجابت إحداهن عن هذا السؤال بقولها: (لقد غير الإسلام حياتي جذرياً وجلب لي السعادة والشعور بالأمن؛ فلا أرى اعتناقي الإسلام رجعية بل هو التحرر الحقيقي).

بينما أجابت أخرى - وقد كانت كاتبة وكريمة لمدير أحد المفاعلات النووية حول قضية الحجاب والفصل بين الرجال والنساء - قائلةً: (إن تعاليم الإسلام الواضحة تختلف عن مفاهيم الثقافة الغربية التي تشجع المرأة على الظهور في قمة جاذبيتها وإظهار أنوثتها، ولكنها تلومها على إغراء الرجال لاغتصابها... لقد أعطى الحجاب الإسلامي رسالة واضحة أن النساء لم يخلقن من أجل التبرج وإظهار مفاتنهن[٣]).

ونختم هذه المقالة بقصة إسلام شابة أمريكية كانت تدرس في جامعة أركنساس بالولايات المتحدة عندما سنحت لها الفرصة لتتعرف على الإسلام عن قرب، ولقد سمَّت نفسها أميرة بعد إسلامها. فَلْنستمع لأميرة وهي تروي قصتها:

لقد ولدتُ لأبوين نصرانيين أمريكيين في ولاية أركنساس حيث ترعرعت وكبرت. وكانت المرة الأولى التي شاهدت فيها مسلمات عندما ذهبت للدراسة

(١) http://www.singlesexschools.org/research-singlesexvscoed.htm

(٢) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، المستقبل الإسلامي، ٢٧، مايو ١٩٩٤م، ص ١٢.

(٣) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، المستقبل الإسلامي، ٢٧، مايو ١٩٩٤م، ص ١٢.

الجامعيـــة في جامعة أركنســـاس. عليَّ أن أعتـــرف في البدء أنه قد انتابني شـــعور غريب عندما رأيت المسلمات بالحجاب الإسلامي لأول وهلة، ولم أستطع تصديق أنهن يغطين شعورهن وبما أنني فتاة لديها حب الاســـتطلاع فقـــد تعرفت على فتاة مســـلمة كانت تدرس معي في أول فرصة سنحت لي. وقد كان اللقـــاء الذي غير مجرى كلها. لا يمكن أن أنســـاها ما حييت. كان اسمها ياسمين، وكانت من فلسطين. لقد كنت أستمع كثيراً لحديثها عن بلدها وثقافتها وأســـرتها التي أحبتها كثيراً، ولكن حبها كان أعظم لدينها الإسلام. لقد كان لياسمين شعور بالأمن والطمأنينـــة لم أره في حياتي. لقد أخبرتني عن الرســـول ﷺ وعن الله، وعند ذلك شـــعرت أنه إله واحد للناس أجمع؛ وليس خاصاً بالعـــرب وحدَهم. لقد كان كل أمر ذكرتْه لي قادني بعد مغادرتها الولايات المتحدة للإســـلام، ولكن الغصة التي ما زلتُ أتجرعها أن ياســـمين قد قُتلَت على يـــد الجنود الصهاينة بعد عودتها لفلسطين.

وكما ذكرنا سابقاً أن معظم حركات تحرير المرأة المشبوهة قد جنـــت عليها وعلى المجتمـــع بأكمله؛ إنهـــم فريق مغرض من الرجال يســـعون لخـــداع المرأة بإخراجها مـــن بينها وقطع أواصرها الاجتماعية والأســـرية لكي تقـــوم بالمهام ذات الأمور المتدنية التـــي لا يريد كثير من الرجال القيـــام بها. وهذا نوع من التمييز ضد النساء يشـــهده العالم (شرقه وغربه). وبهذا كان على المرأة تحمُّل أعباء جديدة إضافة إلى مهامها الفطرية من الحمل والولادة ورعاية الأطفال والاعتناء بالأســـرة لتُقحَم في ســـوق العمل الرخيص وتجبَر على إعالة نفسها وأسرتها. وهذه شـــاهدة من أهلها قد أفصحت عـــن تلك الحقيقة المرة التي عاشـــتها امرأة غربية ثم ســـعدت في كنف الإسلام بعد ذلـــك زوجة ثانية تحولت من مارغـــرت ماركوس Margaret Marcus إلى المفكرة الإســـلامية مريم جميلة؛ حيث قالت: إن دعـــاوى تحرير المرأة تؤكد على أن أعمـــال المنزل ما زالت هي مهمة المرأة الرئيسية، وبمعنى آخر يجب على المرأة العصرية أن تتحمل مسؤولية مزدوجة؛ فبالإضافة إلى حصولها على كسبها المعيشـــي في أعمال تستغرق جُلَّ وقتها خارج المنزل، فإن عليها في الوقت نفسه أن تقوم بأعبائها كاملة تجاه زوجها وأبنائها... هل هذا من العدل[1]؟

وكان لخروج المـــرأة وعدم قدرتها علـــى التوفيق بين هذه الأعباء المضنية: نتائج سلبية لا بد منها؛ أدت إلى تحطم النظام الأسري بل كل النظام الاجتماعي؛ إذ تزايدت مشكلات الأطفال والمراهقين، وانتشـــار الجريمة وارتفاع مستوى العنف، وتفشي العلاقات الجنســـية المحرمة والأمراض النفسية والاجتماعية والصحيـــة التي تتبعهـــا، وبذلك اختل أمـــن المجتمع وتقطعت أواصره. وإن تاريخ الحضارات السابقة يقدم دليلاً قاطعاً بأنه لا يمكن أن يعيش مجتمع مَّا في سعادة ووئام مع انتشار الرذيلة والعلاقات المحرمة التي يجر إليها الاختلاط وتحميل المرأة فوق طاقتها بدعوى تحريرها المزعوم.

وبهذا فإن الإســـلام يقدم نظاماً متكاملاً للبشـــرية يهدف لســـعادتها فـــي الدنيا والآخـــرة، نظاماً لم تخطه يد إنســـان يســـعى لتحقيق مصلحة آنية أو حلٍّ لمشكلة مرحلية قاصرة عن استشراف المستقبل لمحدودية قدرتها على ذلك، بل نظاماً قويماً اختاره الله الخالق العالم بمـــا يقصر علمُنا عنه ليكون طريقاً ثابتاً وسطاً لتنظيم حياة الإنسان ما دام على وجه هذه الأرض؛ وذلك لعمرانها وسلامها وأمنها وطمأنينة أفرادها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُـــوا إِيمَانَهُم بِظُلْـــمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُـــم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. وهذه أمثلة قليلة من مئات الأمثلة لنســـاء عشـــن الحياة (العصريـــة) الغربية واكتوين بنار دعاوى التحرير وحقوق المرأة غير الشـــرعية حتى أطمأنت قلوبهن بالإسلام، فشعرن بالأمن والسعادة. والإسلام هو الدين الأوحد والنظام المتفرد في إعطاء الخلق حقوقهم التي شـــرعها المولى - سبحانه - بما في ذلك الإنســـان (ذكراً كان أم أنثى). فهو نظام عالمي متكامل يفرض للمـــرآة حقوقها الشـــرعية والدعوة لحفـــظ كرامتها وعفافها واحتـــرام مكانتهـــا دون أن ينتظر أحداً لأن ينتـــزع لها حقها. فالإســـلام نظام حياة يكفل للضعيف حقـــه دون تكتل وتحزب لانتزاعه. ويكفي قول الرسول الكريم ﷺ: «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم»، وللتفريق بين صفاء الإسلام ونقاء وكمال تشريعاته وممارســـات بعض المســـلمين البعيدة كل البعد عن أخلاق الإســـلام وتعاليمه؛ فالواجب عـــرض تلك المنظومة من القيم وحقوق الإنســـان الشـــرعية - ذكراً كان أو أنثى - بلغة يعرفها العالم وبروح الثقة لا الانهزامية والاســـتغراب لتتوضح الفكرة في أذهان أبناء الإســـلام المستغربين أو الساهين تحت وطأة الغزو الفكري والقيمي والجهل بأساسات الدين.

(1) Maryam Jameelah, Islam in Theory and Practice. H. Farooq Associates Ltd.: Lahore, 1983, p.99.

نماء

منهج بناء الشخصية الإسلامية
من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة

للمربين..
..للأسرة..
..للدعاة

بمشاركة فريق من الباحثين المختصين

أولادي والتقنية

بناء قيادات اجتماعية فاعلة

كيف نبني داعية مؤثراً؟

أريد بناء الخلق الحسن لدى ابنتي

ابني المراهق وعلاقته بالله

كيف أجعل طفلي منظما.

إعداد مؤسسة
المربي
ALMURABBI

إخراج و تصميم
BN
www.BNet.ws

إيجابيات وسلبيات تعدد الأحزاب الإسلامية

مجـــــــــــــــدي داود
Mdaoud_88@hotmail.com

بعد نجاح ثورة مصر العظيمة أتيحت لكافة التيارات السياسية أن تعبِّر عن نفسها وتقوم بإنشاء أحزاب سياسية تعبِّر عنها وتمارس من خلالها العمل السياسي، وكان في القلب من ذلك التيارات الإسلامية التي كان محظور عليها ممارسة العمل السياسي من قَبْل في ظل الأنظمة المستبدة التي كانت متسلطة على رقاب الناس.

إنه مما لا شك فيه وجود اختلاف وتنوُّع بين التيارات الإسلامية؛ فهناك الإخوان المسلمون أصحاب أعرق تجربة سياسية إسلامية، وهناك تيارات سلفية لا توجد لديها خبرةٌ سابقةٌ في العمل السياسي وهناك التيارات الجهادية السابقة كالجماعة الإسلامية وبعض الأعضاء السابقين بجماعة الجهاد. هذا الاختلاف والتنوُّع أفضى إلى تنوُّع وتعدُّد في الأحزاب الإسلامية؛ فبرز حتى الآن عدة أحزاب من أهمها حزب الحرية والعدالة التابع لجماعة الإخوان المسلمين، وحزب النور التابع للتيار السلفي، وحزب الوسط، وحزب الفضيلة، وحزب الإصلاح، وحزب النهضة المصري، وحزب التوحيد، وأحزاب أخرى كثيرة ستشهد الأيام القادمة ظهورها على الساحة السياسية.

إن الحديث عن وجود أحزاب إسلامية كان في السابق ضرباً من الخيال، وكان هناك رفض تام من غالبية التيار السلفي لفكرة الأحزاب أساساً، لكن الثورة غيرت كثيراً من المواقف التي اتضح أنها لم تكن مواقف عقائدية بل كانت مواقف شرعية مرتبطة بالمصالح والمفاسد، وتبقى إشكالية التعدد قائمة؛ فهل التيار

الإســـلامي يتقبل اليوم وجود أكثر من تيار سياسي كلهم يدَّعي أنه ذو مرجعية إسلامية، وإذا تجاوزنا مسألة التعدد فماذا عن الســـلبيات التي ترافق هذا التعدد؛ والتي من أبرزها التعصب للحزب واتهام الآخرين والطعن في نواياهم وأهدافهم.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: لا يوجد مانع شرعي من وجود أكثر من حزب سياســـي داخل الدولة الإسلامية؛ إذ المنع الشـــرعي يحتاج إلى نص ولا نص، بل إن هذا التعدد قد يكون ضرورة في هذا العصر؛ لأنه يمثل صمام أمان مِنَ استبداد فرد أو فئة معيَّنة بالحكم، وتسلطها على سائر الناس، وتحكُّمها في رقاب الآخرين، وفقدان أي قوة تستطيع أن تقول لها: لا. أو: لِمَ؟ كما دلَّ على ذلك قراءة التاريخ، واستقراء الواقع.

كل ما يشـترط لتكتسـب هذه الأحزاب شـرعية وجودها أمران أساسيان:

١ أن تعترف بالإسلام عقيدة وشريعة ولا تعاديه أو تتنكر له، وإن كان لهـــا اجتهاد خاص في فهمـــه، في ضوء الأصول العلمية المقررة.

٢ ألا تعمل لحساب جهة معادية للاسلام ولأمته، أيّاً كان اسمها وموقعها.

ويرى الشـــيخ القرضـــاوي أن التعدد المشـــروع هو تعدد الأفكار والمناهج والسياسات؛ يطرحها كل فريق مؤيدةً بالحجج والأســـانيد، فيناصرها مَن يؤمن بها، ولا يرى الإصلاح إلا من خلالها، وأن تعدد الأحزاب في مجال السياســـة أشـــبه شيء بتعدد المذاهب في مجال الفقه.

ثم ينبِّه الشيخ القرضاوي إلى نقطة هامة، وهي: أن التعدد لا يعني بالضـــرورة التفرق، وأن يكون هـــذا التعدد تعدد تنوُّع وتخصـــص لا تعدُّد تعارض وتناقـــض، كما أن بعض الاختلاف ليـــس ممقوتاً، مثل الاختلاف في الـــرأي نتيجة الاختلاف في الاجتهاد؛ ولهذا اختلف الصحابة في مسائل فروعية كثيرة، ولم يضرهم ذلك شـــيئاً. بل اختلفوا في عصر النبي ﷺ في بعض القضايـــا مثل اختلافهم في صلاة العصر في طريقهم إلى بني قريظة. وهي قضية مشهورة، ولم يوجه الرسول الكريم لوماً إلى أيٍّ من الفريقين المختلفَين، ويســـتنكر التقليدَ الغبي والعصبيةَ العمياء، وإضفاءَ القداســـة على بعض الزعامات كأنهم أنبياء، مؤكداً أن هذا هو منبع الوبال والخبال.

أمـــا فتحي عبد الســـتار (المفكر والمستشـــار الاجتماعي، والباحث الإســـلامي) فيؤكد أن التاريخ الإســـلامي على مداره الطويـــل تميز بتعـــدد المناهج والرؤى والأفـــكار داخل المجتمع الواحد؛ بدأ الأمـــر بالاختلاف والتنوع في المـــدارس الفقهية وانتهى بالاختلاف والتنوع في الأفكار السياســـية، وكان الأمر متقبَلاً على كلا المستويين عند كل العلماء والعقلاء، ولم يعرف المسلمون طيلة تاريخهم مدرسة الرأي الواحد إلا في ما تجتمع عليه شورى المســـلمين بآلياتها المختلفة من عصر لعصر، وهذا في مـــا يخص الأمور العظمـــى للأمة، وبين اختـــلاف التنوع واختلاف التضاد شعرة

فلا مانع أبداً من الاختلاف بين التيارات الإسلامية حول طرق وآليات الإصلاح وخدمة الديـــن والوطن، ولكن في ما يجوز حوله الخلاف ويتسع المقام فيه لتعدد الآراء والاتجاهات طالما أن هناك اتفاقاً على المبـــادئ والأصول والثوابت، علـــى أن يحاول الجميع التعـــاون في ما اتفقـــوا عليه والتناصح والإعـــذار في ما اختلفوا فيه، ولا يكون تعدُّد الأحزاب سبباً للشقاق بين أبناء الأمة الواحدة

والدين الواحد، بل يكون سـبباً لتنوع طـرق خدمة الوطن وتوزيع المهام والتخصصات.

ويرى أن من أهم السلبيات التي قد ترافق هذا التعدد، هي: تشتت الجهود وتفريق العاملين، ثم يأتي الخلاف لمجرد الخلاف والتميز ثم (الشخصنة) وعدم الموضوعية، ويرى أنه يمكن تفادي ذلك بالتنسـيق والتفاهم المستمرَّين، واسـتحضار عِظَم المهمة وجلالها، واستشـعار المسـؤولية أمام الله - عز وجل - أولاً ثم أمام الناس.

وأما الشيخ محمد شاكر الشريف (الباحث الشرعي بمجلة البيان) فيؤكد أن الأصل هو أن المؤمنين جماعة واحدة والافتراق مذموم؛ لكن في واقعنا الجديد فلا يرى بأساً من تعدد الأحزاب في المرحلـة الأُولَى على أن تندمج الأحـزاب في حزب واحد بعد اسـتقرار الأوضاع. وهذا التعدد قد يصحبه التنافس بين الإسلاميين وهذا من السلبيات التي لا ينبغي أن تكون موجودة، وعلى الإسلاميين في الأحزاب المتعددة أن ينسِّقوا في ما بينهم ويتعاونوا؛ حتى يغالبوا الاتجاهـات العلمانية فتظهر الأحزاب الإسلامية وكأنها حزب واحد له عدة أفرع؛ وبذلك نقضي على سلبية التعدد.

وأما الأسـتاذ عصام زيدان الكاتـب والباحث فيرى تعدد الأحزاب الإسـلامية من قبيل الأمـور الإيجابية وتعكس وعياً كبيراً لدى هذه الحركات بأهمية الانخراط في العمل السياسي وعدم ترك المسـاحات شـاغرة أمام القوى الأخرى التي يقف بعضها متربصاً بالشريعة والإسلام، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تعدد الأحزاب الإسـلامية يفسـح المجال أمام تنوع الأطروحـات؛ وهو ما يعني أن المهتم سـيجد بغيته وما يعكس اهتماماته فـي أيٍّ من الأحزاب المطروحة، ومـن ثَمَّ نقلل من تسـرُّب النخب إلى الأحـزاب الأخـرى ذات المرجعيات غير الإسلامية.

أما بخصوص السلبيات، التي يمكن أن تكتنف هذه الظاهرة فهي متعددة نذكر منها: محاولة كل حزب تشويه الحزب الآخر ورميَه بالاتهامات الباطلـة، والدخول في مهاترات تضيع معها القضايا الكبرى التي يجب أن توليها هذه الأحزاب الجزء الأكبر من اهتماماتها، كما يخشى من الحزبية الضيقة؛ بحيث يلتف كل حزب بعباءة حزبية، ومن ثَمَّ تكون هذه الأحزاب مجرد انعكاس لما هو حادث بين الحركات والجماعات الإسلامية من خلافات حول بعض الأمور الفقهية التي وَسِعَت مَن قَبْلنا وضاقت علينا.

ويرى أنه يمكن التخلص من هذه السلبيات بوجود منسقية عامة تجمع هذه الأحزاب تكون مهمتها فض الإشكاليات مبكراً ومنع تفاقمها، والتنسيق بين الحملات الدعائية والترشح إذا ما قررت هذه الأحزاب خوض الانتخابات.

أما الدكتور طارق عبدالحليم (المفكر الإسـلامي المعروف) فيرى أنه يجب أن يُنظر في سـبب التعـدد، إن كان عقدياً أو برامجياً؛ فـإن كان عقدياً فالتعدد مذموم مبنيٌّ على أسـاس فِرَقـي، وإن كان برامجيّاً فإنه مطلوبٌ مرغوب؛ لأنه يقدم رؤيا اقتصادية وسياسية مختلفة في حدود ما يسمح به الإسلام

وبالنسبة للتعدد العقدي، فيرى أنه يجب أن يتوحد المسلمون في طرحهم السياسـي الحزبي على حدٍّ أدنى من الثوابت لأن الفروق ستظل موجودة قائمة ما قامت السموات والأرض، لكن الحد الأدنى مطلوبٌ. أما البرامجي فهو جيد، ويجب أن يتناقش المختلفون فيه وأن يختاروا الأفضل؛ وإلا فالتعدد فيه مباح.

وأما الصحفي والمحلل السياسـي المصري الأستاذ محمد جمال عرفـة فيرى أن تعدد القوى والأحزاب الإسـلامية هو ظاهـرة طبيعية بعدما تم رفع العزل السياسـي والقمع عنهم وهـو ما يدفـع كلَّ فريق لتشـكيل حزب، ولكن مع اسـتقرار الأوضاع ودخولِ كلِّ حزب معترَك الحياة السياسـية والتعرُّفِ على الصعوبات فيها يبدأ بعضهم في الانزواء لصالح الكبار أو التحالف مع الأحزاب المشابهة وهو ما حدث بالفعل في تحالف ثلاثة أحزاب سـلفية ذات خلفية جهاديـة؛ ولهذا فهي ظاهرة صحية في نهاية الأمر وليست شـاذة وتنطبق على كل الأحزاب في الدول التي تخرج لتوها من فترات القمع والديكتاتورية.

ويرى أن المهم هنا - ويظن أن هذا هو ما يميز الإسلاميين عـن غيرهم - أن ينظر الجميع في هذه الأحزاب الإسـلامية للهدف منها؛ وهو خدمة الدين، ومـن ثَمَّ يتعاونون مع بعضهم بعضـاً ويبتعدون عن التنافس الشـخصي الذي هو مرض في الأحـزاب الأخرى والذي لا ينبغي للإسـلاميين أن يقعوا فيه؛ بحيث تتحالف الأحزاب المتشـابهة وتقـوي بعضها بعضاً؛ فما يقوي هذا التيار ولا يضعفه أو يشتت أنصار الفكرة الإسلامية في الانتخابات؛ فهذا واجب شرعي لا مجرد واجب سياسي، وهو ما يميز أصحاب العقيدة وحاملي لواء السياسة من أجل خدمة الدين عن حاملي لواء السياسية لأغراض وأهداف دنيوية.

مجلة البيان

جديد مجلة البيان

أهمية الوثيقة:

١- تحديد حاجات المربين وفق منهجية عالية.

٢- الاسهام في تطوير أداء المربين وتأهيلهم.

٣- الاسهام في تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو التدريب.

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

الطفولة العقلية...

قراءة في الأزمة الفكرية

السنوسي محمد السنوسي(*)

لعلَّ من أخطر مظاهر الأزمة الفكرية التي يعاني منها المسلمون في العصر الحديث، وتضع على عقولهم وقلوبهم أقفالاً وحُجُباً، وتصدُّهم عن استئناف الريادة والشهود الحضاري، هو ما يمكن أن نسميه بـ (الطفولة العقلية).

ونعني بالطفولة العقلية: تلك الغشاوة التي تصيب البصائر وتحجب العقول، فتجعلها غير قادرة على إدراك واقع الناس بخرائطه المتشابكة، وتلمُّس احتياجاتهم، ومقاسمتهم همومَهم؛ وغير مؤهلين لإيجاد حلول نافعة ومعالجات مبتكرة للمشكلات والأزمات؛ وغير مُبْصرين لشروط النهضة، ومقاصد الشريعة، وفقه الأولويات، وسُنن التغيير والإصلاح.

(*) باحث وصحفي

فيبدو مَـنْ تصيبهم تلك الطفولة – التي ليست مرتبطة بمرحلة عمرية معينة – وهم يتحدثون عن مجتمعهم ويحاولون تشخيص عِلَله وأدوائه، كمَنْ يتحدث عن مجتمع غير الذي يعيش فيه، أو يقصد عالماً من كوكب آخر! وهو ما يجعلهم طوال الوقت يُعنَون بمشكلات ليس لها وجود، أو ليست على مستوى من الأهمية، بينما يتجاهلون كوارث قائمة، تأكل الأخضر واليابس؛ لا تبقي ولا تذر، ويتعامَون عن أخطار تهدد الأمة في وجودها، ومناعتها، وثوابتها.

ولا تزال تلك الطفولة تنمو وتتفشَّى في المجتمع، وتنخر في عافيته، وتخصم من قوَّته، وتُضْعِفُ قدرته على التحدي والصمود والنهوض؛ حتى تصيبَ صفوتَه ومثقفيه، ومن يُناط بهم – بحكم مناصبهم على الأقل – توجيه الرأي العام وغرس القيم. فيغْدُون مُطلِّين على الواقع البئيس من برجٍ عاجي، ومنعزلين عن هموم الناس واهتماماتهم، دون أي إحساس بآلامهم وآمالهم، أو ملامسة مواطن الداء والدواء.

إننا نستطيع أن نتلمس آثار الطفولة العقلية في جملة من المظاهر والأعراض، وهي من الوضوح ومن الأهمية بحيث لا تخطئها عين المراقب، ولا يجوز أن تغيب عن مُريد الإصلاح والتغيير.

وتتمثل أهم هذه المظاهر والأعراض في انعزال النُّخَب المثقَّفة عن واقع المجتمع، الذي من المفترض أنهم جزء منه، ويعبِّرون عنه، ويجسِّدون أحلامه وأشواقه، ويرسمون له طريق النهضة والحضارة. فبدل أن تكون هذه النُّخب (هُدَاةَ طريق) و (أدلاَّءَ خير) و (طليعةَ بعثٍ حضاري)؛ نراهم ينشغلون بقضايا فلسفية محضة، لا تَمُتُّ للواقع بِصِلَة، ولا تمسُّ هموم الأمة من أي زاوية، بل تحلِّق في عالم الخيال والأوهام، وتَسْبح في بحر الأماني والافتراضات!

وتستمر تلك النُّخَب المثقَّفة في انعزالها عن المجتمع شيئاً فشيئاً، حتى تتسع الهُوَّة بينهما، ومن ثَمَّ يفقد المجتمع (عقلَه المدبِّر والموجِّه)، ويكون حينئذٍ جسداً ضخماً بلا رأس، أو كَمَن يسير في طريق وعرة على غير هُدى وبيِّنة؛ فأنَّى له أن يصل إلى غايته؟

وتتجلى هذه المظاهر أيضاً في ضعف الخطاب الديني لغةً ومضموناً، وعدم قدرة هذا الخطاب على مجاراة تطور الحياة والقضايا المستجدة مع المحافظة على الأصول والثوابت، وعدم تقديم رؤية إصلاحية نهضوية تستطيع إصلاح الدنيا بالدين، وتسهم في البناء الحضاري، و (صناعة الحياة)، وغرس قيم الإيجابية والإتقان والإعمار.

كما تتبدى لنا آثار الطفولة العقلية في غياب القدرة على الإبداع والتجديد، وضآلة الإنتاج الفكري خاصة على مستوى العلوم العملية والتطبيقية؛ حتى صارت الأمة تعتمد في غذائها ودوائها وكسائها وسلاحها على الدول الغربية، ولا تستطيع أن تستقلَّ بأية صناعة في المجالات الحيوية؛ الأمر الذي جعل أحد العلماء يذكر متهكماً أنه لو قيل لكل شيء في البلاد الإسلامية: عُدَّ من حيث جئت، لسار الناس حفاة عراة لا يجدون – من صنع أيديهم – ما يكتسون، ولا ما ينتعلون، ولا ما يضيء لهم البيوت!

من المؤكد أن ثمة عوامل متشابكة ومترابطة (داخلياً وخارجياً) قد أسهمت في تفشي الطفولة العقلية في واقعنا المعاصر، وإحداث هذه الفجوة الهائلة بين ماضٍ مشرق استطاع المسلمون فيه أن يشيِّدوا حضارات زاهرة ما زالت لها شواهد ناطقة كما في الأندلس، وبين واقعٍ متدهورٍ، يَئِنُّ تحت وطأة مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية لا حصر لها.

إن رحلة العلاج – كما هو ثابت في العلوم الطبية – تبدأ من دقَّة تشخيص المرض ووصفه، وأيُّ جهدٍ يُبذَل دون الانطلاق من هذه الدقة هو جهد ضائع لا فائدة منه، بل هو جهد يباعد بيننا وبين إدراك الهدف المنشود. فما لم نُحسنْ قراءة الأسباب التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه، ونضعْ أيدينا على جذور المشكلات، ونتدبرْ في أعماق الظواهر والأعراض؛ لنفهم ونحلِّل ونفقه سنن الله المعنوية والمادية معاً؛ فسنظل ندور في حلقة مُفْرغة من الشكوى من مرارة الواقع وبُؤسه، دون الاهتداء إلى الدواء الناجع، والبلسم الشافي.

وإذا اتفقنا على ضرورة المصارحة والمكاشفة، ومواجهة النفس – على مستوى الفرد والمجتمع – بعيوبها وسوءاتها؛ وأنه لا محيص عن ذلك للخروج من منعطفنا الحضاري، فيجب أن نعترف أنه في مقدمة أسباب تلك الطفولة العقلية: الاستبداد السياسي، الذي يتصوَّر الناسَ دائماً أطفالاً لم يبلغوا

سنَّ الرشد، ولا يستطيعون إدارة شؤونهم بأنفسهم؛ فيفرض عليهم وصايته، ويمارس عليهم هيمنته، ويحدد لهم طريقاً واحداً في التفكير والحياة، دون أن يعمل على توفير البدائل، وإيجاد فرص متنوعة وخلاَّقة، ودون أن يغرس في الناس أهمية المشاركة في العمل العام، وضرورة تحمُّل المسؤولية تجاه وطنهم وأمتهم؛ الأمر الذي يؤثِّر في الناس بالسلب، ويجعلهم بعد فترة من الزمن ينسون أن لهم عقولاً، وأنهم قادرون على الاختيار، وتحمِّل المسؤولية، وتقرير مصيرهم بأيديهم.

ولعل هذا المعنى هو ما قصده ابن خلدون حين قال مقولته المشهورة: (الظلمُ مُؤْذِن بخرابِ العُمران).

فالاستبداد تظهر وطأته على الإنسان والأشياء، وتنطبع بصماته على العقول والأفكار؛ فيضمر الإبداع، ويُحْجِمُ المصلحون والمفكرون عن الإدلاء بآرائهم خشية أن تصيبهم سطوته، ولا تجد الناشئة والبراعم حينئذٍ مَنْ يأخذ بيدها، وينير لها طريق العلم والحرية. هذا عدا ما يصيب البلاد والعباد من القحط والفقر، وتكدُّس الأموال في يد ذوي النفوذ والسلطان، وما يترتب على ذلك من زيادة الفجوة بين شرائح المجتمع، بما يفقده توازنه، وتماسكه، وتراحمه، وإنسانيته.

ويوم أن افترق السلطان عن القرآن، وصار الحكم مَغْنماً، وتفككت دولة الخلافة، وانتشرت الدسائس خاصة بين السياسيين... تحولت الأمة الإسلامية ذات (الجسد الواحد) إلى دويلات مُمزَّقة مفكَّكة، وصارت شِيَعاً وأحزاباً، يأكل بعضها بعضاً. وما ذلك إلا أثر من آثار الاستبداد، الذي يهلك الحرث والنسل، ويُفسد العمران مثلما يُفسد الضمائر والأخلاق والعقول.

كما أن تراجع الدور الحضاري للإسلام، قد أسهم بدرجة كبيرة في تفشي الطفولة العقلية، وتأخُّر سنِّ الرُّشد الفكري؛ فاختزال الإسلام في الجانب التعبدي مع الغفلة عن المعنى الشامل لمفهوم العبادة، والاحتفاء بالغيبيات التي لا سَنَدَ لها من الكتاب والسنة، والجنوح إلى الخرافات والأوهام تحت مُسمَّى (الكرامات)، والاقتصار على دراسة المتون والحواشي دون تطوير أساليب الدرس والتأليف، وعدم مواكبة المستجدات والواقع المتغير، والعجز عن إدراك الكُلِّيات والمقاصد العامة للشريعة، ودعوى إغلاق باب الاجتهاد، وعدم إدراك الصلة الوثيقة (بل التطابق الكامل) بين كتاب الله المقروء (القرآن) وكتاب الله المنظور (الكون)، والذهول عن سنن الله الثابتة في الأنفس والآفاق... كل ذلك وغيره كان من سمات العقل الإسلامي في عصور التراجع الحضاري؛ التي أوجدت فجوة هائلة بين دين الله ودنيا الناس، وطبَعت العقول على التقليد والمحاكاة، وطمَست فيها القدرة على التجديد والإبداع.

ولم يستطع عقل المسلم المعاصر بَعدُ أن يتخلص كلياً من آثار عصور التراجع الفكري والحضاري، رغم ما بُذِل من محاولات مضيئة لإيقاظه من رقدته وغفلته، والرجوع به إلى صورته الناصعة في القرون الأُولَى. وما زال أمامه عقبات كثيرة يتعيَّن عليه أن يتخطاها، ويبني على ما تحقق فيها من إنجاز.

ثم يأتي من قَبْل ذلك ومن بَعْده الغزو الفكري؛ الذي مثَّل إحدى أذرع الاحتلال العسكري ووسائله في السيطرة والنفوذ، وأدواته في تغيير العقول والأفكار؛ لفَرْضِ نموذجه الفكري، ونمطه الاجتماعي، حتى يستطيع الاحتلال ترسيخ أقدامه، وإضعاف قدرة الشعوب المحتلة على الصمود والمقاومة. وقد استطاع المستشرقون أن يجنِّدوا في بلاد المسلمين تلاميذ مخلصين لهم؛ يتبنون أفكارهم، ويروِّجون لها، ويُلْبسونها ثوبَ العقلانية والحرية والإبداع. وكان بعضهم أشد خطراً على الإسلام من المستشرقين أنفسهم.

وقد استخدم المستشرقون لتحقيق أهدافهم، وتزييف وعي الأمة، وتشويه عقيدتها وتراثها أساليب شتى، من بينها: إثارة الشبهات حول الإسلام (عقيدةً وشريعةً)، وحول اللغة العربية (أدباً وفكراً)، وكان القصد من هذه الشبهات زعزعة الإيمان بالإسلام ولغته، وبقدرتهما على التواصل مع الحاضر، والإسهام في الحضارة الإنسانية مرة أخرى.

كما أثاروا شبهاتهم أيضاً حول التاريخ الإسلامي؛ فصوَّروه على أنه تاريخ نزاعات وصراعات، وتكالُب على الحكم، واضطهاد للأقليات المذهبية والعرقية. وكانت الدراسات الاستشراقية تتخذ عن عمد من بعض الصراعات في تاريخ المسلمين دليلاً وحجةً على فشل النموذج الإسلامي في الحكم وإدارة المجتمع، دون أن تلتفت تلك الدراسات إلى الفرق الشاسع بين الإسلام ديناً سماوياً له العصمة والخلود على مدار الزمان والمكان والحال، وبين فَهْم المسلمين للإسلام، وتطبيقهم له أو ابتعادهم عنه.

ولذلك لا يصح في المنهج العلمي المُنزَّه عن الهوى أن تُحسَب

أخطاء المسلمين (مهما بلغت) على الإسلام (الفكرة والمنهج)؛ بل تبقى تلك الأخطاء شاهد صدق على الطبيعة البشرية القاصرة، التي وإنْ أحرزت درجات عليا في الرقي والسمو فلن تبلغ الكمالَ المُطلق؛ لأنه لا يجوز إلا لله سبحانه.

وقد نجحت خطط الغزو الفكري في تحقيق أهدافها إلى حدٍّ بعيد؛ حتى أصبح الالتزام بالإسلام إرهاباً، والدعوة إلى اللغة العربية تخلُّفاً ورجعية! وصار بعض المسلمين يخجلون من إعلان انتسابهم للإسلام وولائهم له، في الوقت الذي يحرصون على الرطن باللغات الأجنبية، ويتباهون بذلك!

لقد كان لإبعاد المسلمين عن الإسلام في نقائه وصفائه، وعن اللغة العربية وآدابها في اتساعها وتنوعها، أثارٌ وخيمةٌ في (جمود الفكر) و (فقر الإبداع)؛ ذلك لأن الإسلام لا يمثل للمسلمين عقيدةً فحسب، بل هو نظام شامل يمدُّهم بتصورات واضحة المعالم والقَسَمات حول الكون، والحياة، والوجود الإنساني وغايته، ويقوم في تقرير ذلك على الحقائق الثابتة لا الظنون والأوهام؛ وهو نظام يُعلي من قيمة العقل، ويحضُّ على التفكير، وينعى على التقليد والجمود، ويدفع الإنسان إلى الحقائق المُطْلقة بالدليل والبرهان. كما أن اللغة العربية هي وعاء هذا الدستور الخالد (القرآن الكريم)، وحاضنة مفاهيمه وقِيَمه، والسبيل إلى فهمه وإدراكه والتفاعل معه بمستوى يليق بعمق تصوراته واتساع حقائقه، ولا غرو؛ فالقرآن هو كتاب العربية الأعظم، واللغة العربية هي بيانُ القرآنِ المشرقُ المُعْجزُ الخالدُ.

إن من أعظم آثار الغزو الفكري التي ما زلنا نعاني منها حتى وقتنا الحاضر:

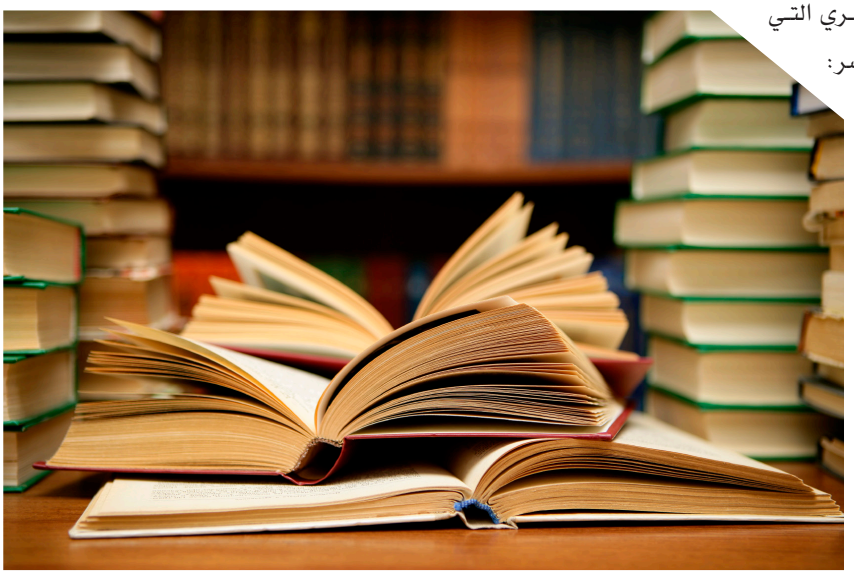

أنّ عاش المسلمون مرحلة من (التِّيه الحضاري)، و (الازدواج الفكري)، و (التشتت النفسي)؛ فلم يستطيعوا الاندماج في الحضارات الأخرى، ونقلها بخيرها وشرها، وتعلُّم لغاتها والإبداع بها، مع أن ذلك غير ممكن عقلاً وشرعاً؛ لأن التجارب الحضارية لا تُستنسخ، ولا تُنقل بالكلية؛ إنما تتلاقح وتتفاعل، ويجوز فقط أن يقتبس بعضها من بعض بصورة ما؛ فلكل بيئة حضارية خصائصُها المميِّزة، وإشكالياتُها الذاتية، وأيضاً حلولُها التي تظل وَقْفاً وحِكْراً عليها؛ بحيث إنه ليس بالضرورة لهذه الحلول أن تؤدي عملها بالفاعلية ذاتها إذا ما نُقلت إلى بيئة حضارية أخرى ذات إشكاليات مغايرة كلياً أو جزئياً.

كما أن المسلمين – نتيجة لهجمة الغزو الفكري والثقافات الوافدة – لم يستطيعوا أن يحافظوا على تراثهم بنقائه وصفائه، ويستفيدوا مما فيه من إبداعات متميزة، وإسهامات فكرية رائدة في جميع المجالات (الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والنفسية، بل وفي علوم الكون والطب والرياضيات أيضاً). وهو التراث الذي ما أيسر أن يتواصلوا معه من جديد، ويبدعوا بلغته الخلاَّقة المتفرِّدة، ويستأنفوا مسيرته الحضارية، ذات الخصائص الربَّانية والإنسانية والأخلاقية.

ولذلك نقول: إنه لا يمكن للمسلمين أن يعودوا مرةً ثانية إلى الرُّشد الفكري، والنُّضج الحضاري، وسابق مجدِهم وتفوُّقِهم العلمي، ولا يمكن للعقل المسلم أن يُزاوج بين المثال والواقع، والحقيقة والخيال، ويستأنف مسيرة الإبداع والتجديد؛ إلا في ظلال الإسلام، وما يصوغه من تصورات ونُظُم ومناهج، وفي رحاب ما تركه علماؤنا السابقون من نهضة فكرية أثْرَت تاريخَ البشرية، وأقامت حضارة متوازنة ومتكاملة؛ لأن الإسلام دين الله الخاتم، وشِرْعَته الباقية، وفِطْرته النقيَّة: ﴿**أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ [**الملك**: ١٤].

تفعيل دور الزكاة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية

محمد صالح هود فضل الله
Almagdy3@gawab.com

استراتيجية التفعيل:

الرؤية:

إنشاء وزارة منفصلة للزكاة في كل بلد إسلامي، تتبعها فروع إقليمية بالولايات، على أن يكون هنالك بيت المال المركزي (بمثابة بيت مال المسلمين)، والذي يكون مقره في بلد إسلامي يُختار بالاقتراع؛ والذي تنبع أُصوله من مساهمات الدول الأعضاء، وفوائض مصارف الزكاة وسهمَيْ (في سبيل الله) و (المؤلفة قلوبهم)، بالإضافة لريع الوقف العينية والوقتية، ودخول المنظمات الخيرية من التبرعات والهبات والنذور والتَركات.

يضم بيت المال المركزي مجلس أُمناء الخزينة، وهيئة كبار علماء المسلمين، والمصرف الإسلامي المركزي والذي ينتهج دساتير وسياسات لأسلمة البنوك التقليدية بالبلاد الإسلامية، ويمثِّل المرجع الأساس للمصارف الإسلامية الحالية، وينفذ خططاً استثمارية لا ربوية طموحة من شأنها النهوض بميزانية بيت المال المركزي.

(*) كاتب وباحث في الدراسات العربية والإسلامية.

يلتقي أمنـــاء خزينة بيت المـــال المركزي وأمين عـــام المصرف الإســـلامي المركزي وثِقـــات عُلماء المســـلمين بوزراء الزكاة وأمناء المصارف الإسلامية في مؤتمر عالمي جامع يُعقد ســـنوياً بمكة المُكرّمة أثناء موســـم الحج للتفكُّر والتشاور، والتناصُح والتدريب، ومناقشـــة الميزانية العامة لبيت المال المركزي، ومقابلة حاجيات الدول الإسلامية الفقيـــرة والمســـتضعَفة والمنكوبـــة، ومحو أميـــة أُمة اقـــرأ، وتعزيز التضامـــن الإســـلامي الجاد، وذلك بعقـــد صفقات التكامل الاقتصادي والتجارة البينية والنقل البـــري لتنفيذها فور رجوعهم؛ توطئةً لعمل ســـوق جماعيـــة وعُملـــة مُوحَّدة تحت مظلة (كومنولث أو اتحاد فدرالي) إســـلامي؛ وذلك لجمع شـــمل أهل القبلة على كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة اعتصاماً بحبل الله وترسيخاً لقوله - تعالى -: ﴿ وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَـنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١ .

الهدف:

من أجل تنمية اقتصادية واجتماعية تعم بلاد المسلمين يجب إنفاذ فريضة الزكاة بجعلها جزءاً أصيلاً لا يتجزأ من النظام المالي الاجتماعي للدولة. فالأصل أن تتولى الدولة جبايتها وتوزيعها في مصارفها عبر هيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية تضم هيكلاً إدارياً وماليـاً متخصِّصاً، وشرطة للجباية. ومع نبذ الربا، تنطلق الزكاة عبر خِطابٍ فاعلٍ ووعاءٍ شاملٍ للبناء الذاتي والتكافل الإيماني بدءاً بتزكية الفرد والأسرة والمجتمع، وتشجيع وإتقان الأعمال الحِرَفية والصناعات الصغيرة محلياً لدرء الفقر ومحاربة البطالة، وعالمياً لإعمار الأرض حتى ننعم بنصر الله تأصيلاً لقوله - تعالى -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] .

الـزكاة جوهـر عَقَـدي ومـوروث حضـاري وأداة للتمكين:

قال - عزَّ وجلّ - في مُحكم كتابه الكريم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣] .

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤ - ٢٥]

﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] .

وقال رسول الله ﷺ:

- «أُمرت أن أُقاتِل الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله، وَأنَّ مُحمّداً رسول الله، ويقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا منـي دماءهـم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» متفقٌ عليه.

- «ولـم يَمنَعـوا زكاة أموالهـم إلا مُنِعوا القَطْر من السَّماء، ولولا البهائم لم يُمطروا» رواه الحاكم وصحَّحه الذهبي والألباني.

- «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرعَ، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثُمَّ يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثُمَّ يقول: أنا مالك، أنا كنزك» ثُمَّ تلا النبي ﷺ الآية: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] رواه البخاري.

- «ما نقص مالٌ من صدقة» رواه مُسلم.

لقد فرض الله الـزكاة وأحلَّ البيع، وحرَّم الربا من أجل الطُهـر والبركة والنماء، وجعل إخراج زكاة أموالنا تمام إسلامنا.

فالزكاة في ظاهرها النقصان وفي باطنها الزيادة المباركة، والعكس في الربا الذي ظاهره الزيادة وباطنه النقصان والخسران.

فمِما لا شـك فيـه أنَّ الـزكاة هي ثالث دعامة من دعائم الإسـلام الخمـس، وتُمثِّل الركـن المالي والاجتماعي، وبها - مع التوحيد

وإقامة الصَّلاة – يدخل المرء في جماعة المسلمين، ويستحق أُخوَّتهم والانتماء إليهم، كما قال – تعالى –: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١ . فقد ورد في القرآن الكريم لفظ الصَّدقة بمعنى الزكاة؛ واللفظان متطابقان. فالقاعدة الأصولية هي أنَّه إذا ورد لفظ الصَّدقة وحده فيعني الزكاة لا غير، مثلما يُذكر لفظ الإسلام وحده ليعني الإيمان، وكما قال الإمام الماوردي (في الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص ١٤٥): «الصَّدقة زكاة، والزكاة صدقة، يفترق الاسم ويتَّفق المسمَّى». فالعُرف حَوَّل معنى الصدقة للتصدُّق بما تجود به النفس على المتسوِّلين، وعندها ارتبط مفهوم الصدقة أو الزكاة لدى كثير من الناس بالتطوُّع والعمل الخيري لا بالإلزام والوجوب. فالصَّدقة شقيقة الصِّدق، وتعني تمام التصديق بلزوم مساواة الفعل البدني (كالصَّلاة والصوم) بالفعل المالي الاجتماعي (الزكاة) بالقول والاعتقاد، ولذلك لا يكفي التوحيد وحده، بل اجتماع الفعل والقول والاعتقاد كلُحمة للعقيدة السليمة. فالزكاة هي حق (لا إله إلا الله)، وتُمثِّل جسر التواصل وواسطة العِقد لتأكيد هذا الارتباط من خضوعٍ بالعبودية لله، إلى اعترافٍ بفضل الله على عباده بما منحهم إيَّاه من أموال، والإحسان للآخرين بإيتاء الزكاة وجوباً وليس تفضُّلاً عليهم، كدليل للإيمان الصادق كما روى مسلم: «والصَّدقة برهان».

من جانب آخر تسعى الزكاة لربط الدين بالدولة عبر تحقيق التوازن الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي، والعكس ينتج عنه ضَنَك العيش والتضخُّم الاقتصادي الذي يعيشه المسلمون اليوم لعدم تمكينهم لشرع الله. فكما هو معلوم أنَّ الزكاة شُرعت في المدينة المنوَّرة بعد الشهادتين والصَّلاة والصيام قبل الحج والجهاد، بَيْد أنَّها فُرضت على الأنبياء والمرسلين وأُممهم قبل البعثة المُحمدية ومنهم: سيدنا إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب وإسماعيل وعيسى – عليهم السلام – الَّذين دعوا للإسلام العام؛ إذ قال – تعالى – على لسان المسيح عيسى ابن مريم – عليهما السلام – في المهد: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١ . فجاء رسولنا الخاتم ﷺ الذي بُعث للعالمين كافةً بشيراً ونذيراً فقال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أنّ لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً» متفق عليه.

فنجد في القرآن الكريم – الذي هو دستور الأمة المسلمة حقاً – اقترانَ الأمر بإيتاء الزكاة بإقامة الصلاة في ثمانية وعشرين موضعاً. فالزكاة، ورغم أنَّها قرينة الصَّلاة، لكنَّها ليست عبادة كسائر الأُمور التعبُّدية التي لا تقبل القياس والاجتهاد من صَّلاة وصيام وحج؛ فهي عبادة مالية، وحقٌّ معلومٌ، وضريبة مقرَّرة، وجزء من النظام المالي والاجتماعي والاقتصادي للدولة. مع ذلك لا نجد الزكاة تنال الاهتمام المطلوب لا من قِبَل العلماء والباحثين، ولا من أصحاب القرار والرسميين من قِبَل الحكومات. فدوِّر الزكاة مُهمَّش ومنغلق في مصالح وبيوت هزيلة للزكاة أو منظمات خيرية أو صناديق لمعالجة الفقر، تفتقر لمقوِّمات الإدارة والبحث الاجتماعي والرقابة الدقيقة.

فالأصل أن تتولى الدولة تحصيل الزكاة وتوزيعها في مصارفها الشرعية حتى نحظى بنصر الله كما استنبط العلماء من قوله – تعالى –: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١ . وجاء تأكيد الرسول الكريم ﷺ قولاً وفعلاً لدور ولي الأمر لإنفاذ الزكاة بكل تجرُّد ومسؤولية وبأرقى السُّبل، وجعلها جزءاً أصيلاً لا يتجزأ من النظام المالي الاجتماعي للدولة؛ والدليل على ذلك حديث ابن عباس – رضي الله عنه – في الصَّحيحين: أن النبي ﷺ بعث معاذ بن جبل – رضي الله عنه – إلى اليمن فقال له: «... فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُردُّ على فقرائهم... الحديث» متفق عليه.

إذن فإن إقامة فريضة الزكاة غاية من غايات التمكين في الأرض؛ لأنّ الزكاة تعود بالنفع الشامل على المجتمع والفرد؛ مع الأخذ في الحُسبان أنّ الغِلظة والحزم تجاه كل مكلَّفٍ مُماطل أو مُتحايل تُعادِل بالمثل مدى صدق شفقتنا على الفقير المعوَز والمسكين المحروم، وكامل حرصنا على إطفاء نار الحقد والحسد تجاه الأغنياء، وبها نستحق رحمة الله كما قال – عزَّ من قائل –: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ .

فالآن نجد ديوان الزكاة بالسُّودان، وبيت الزكاة بالكويت، ومصلحة الزكاة والدخل بالسعودية؛ لكننا نفتقد وزارة للزكاة تقف سامقة وسط وزارات العمل والعدل والحج وغيرها. وهدفنا السامي يرمي إلى قيام وزارة الزكاة لإرساء إحدى قواعد الدولة المسلمة المتراحمة فيما بينها بمشاركة المجتمع نفسه، وذلك للنهوض بأمتنا المتميّزة أمة مُحمَّد ﷺ من ويلات التخلُّف الاقتصادي والكساد الربوي في عهد وقع فيه الشباب فريسة سهلة للقروض البنكية المستشرية وبطاقات الائتمان وعهد ساده التقوقُع والبطالة والانحلال.

فالزكاة تُمثل التنظيم المالي الوحيد الذي عرفه البشر على مر العصور والذي يهدف لتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي القائم على مبدأ الأخوة الإيمانية وصدق الاعتقاد. فهي من أهم مصادر التمويل الثابتة والدائمة لبيت مال المسلمين في أي دولة تسعى لتحقيق الرفاهية والعدل والمساواة. ففي قيام وزارة منفصلة للزكاة إضفاءٌ للصبغة الرسمية والكفاءة الإدارية لإحقاق الحقِّ مع مراعاة الحزم والعدل، وتقدير الحاجات بتقديم الأهم على المهم، لأداء هذه الشعيرة القُدسية على أكمل وجه بدءاً بالتحصيل الدقيق المتميِّز، وانتهاءً بالتوزيع المُنصف الشامل، بعيداً عن أجواء المحسوبية والمحاباة، وذلك عبر التمليك المباشر والفوري للمستحقين من جهة، واكتشاف مقدرات الفئات الفقيرة المنتجة وتنميتها من جهة أخرى منعاً للتواكل.

فيجب ألا تتبع الزكاة لوزارة المالية أو الشؤون الاجتماعية كما هو الحال في بعض البلدان الإسلامية شأنها كشأن سائر المصالح كالضرائب والجمارك والضمان الاجتماعي؛ فالزكاة أمرٌ رباني وليس أمراً مدنياً بحتاً كي تصب حصيلته في خزينة الدولة. كما سيضفي قيام الوزارة مزيداً من النفوذ والشرعية لآلية تحصيل الزكاة؛ لأنَّ الوزير مُكلَّف من قِبَل ولي الأمر لجباية الزكاة عبر قنوات متخصِّصة من صميم هيكل وزارته، ومفوَّض في استعمال القوة القسرية والعقوبات التعزيرية وخصوصاً لو امتنع الشخص/ الجهة عن دفع ما عليه/ عليها من مستحقَّات وبخاصة على نطاق الشركات الكبرى والمؤسسات والبنوك.

الأمر الآخر هو تثبُّت المكلَّفين بأنَّ أموالهم في أيدٍ أمينة؛ لأن الوزارة بعكس المنظمات الخيرية تكون محل ثقة وهيبة وهي بنفسها تحصي المكلَّفين

وتصل إليهم في أماكنهم لتأخذ الزكاة إلزاماً وليس طوعاً، وتشرف على توزيعها على مستحقيها عبر جهاز قوي أمين، حفيظ عليم من العاملين عليها. هذا مع الأخذ في الحُسبان أن كل ما كان من جانب الإحسان أو التطوُّع أو شتى القربات، مثل التبرُّعات أو الأوقاف أو الهبات أو النذور أو الكفارات، والذي يأتي بعد دفع الزكاة المفروضة أولاً، يندرج تحت مصرف منفصل ليُصرف على غير مصارف الزكاة المشروعة كبناء المدارس وتشييد المستشفيات والمساجد وحفر الآبار والتشجير وتمويل مشاريع الدعوة الإسلامية بضروبها المختلفة، وذلك في بلدها الأصلي أو تُنقل للدول الإسلامية الفقيرة عبر التنسيق مع بيت المال المركزي كما سيرد لاحقاً. أيضاً تأتي جاهزية وزارة الزكاة لإشاعة الفرحة والإخاء ومنع التسوُّل في أيام العيدين؛ وذلك بدءاً بجمع زكاة الفطر عن الأشخاص في شهر رمضان الكريم والتعهُّد لهم بتوفير الحبوب والثمار وتوزيعها بارتياح لمستحقيها قبل حلول عيد الفطر؛ وذلك عبر فروعها المنتشرة في الولايات بالتنسيق مع لجان الزكاة المحلية، وبالعمل مع بيت المال المركزي ووزارة الحج في توزيع لحوم الهدي والأضاحي لفقراء الحرمين الشريفين وما فاض عنها لفقراء الأقصى وباقي دول العالم؛ وذلك أثناء موسم الحج وعيد الأضحى المبارك.

موارد الزكاة العصرية وهيكل الوزارة المُقترح:

وعاء الزكاة يشمل ثروات ودخولاً حديثة غير الأنعام والنقود والزروع والثمار: فهنالك المُستغَلات من العمارات الشاهقة والفنادق الفخمة التي تُشيَّد للإيجار والاستغلال، والمصانع الكبيرة والآلات والأجهزة المتنوِّعة، وشتى رؤوس الأموال الثابتة أو المنقولة التي تدر على أصحابها أموالاً غزيرة من إنتاجها أو إكرائها للناس كالسفن والسيارات والطائرات والمطابع وغيرها. وهنالك أنواع من الشركات

التجارية والصناعيـــة، وهنالك المال المســـتفاد من ذوي المهن الحرة كالطبيـــب والمهندس والمحامي وغيرهـــم من أصحاب الأجور والمكافآت من موظفين وعُمَّال. فإذاً تجب الزكاة في كل مالٍ نامٍ ظاهرٍ أو مِلك حُر بغرض التجارة والاســـتثمار. فمثلاً دول الخليج العربي غنية بثرواتها البترولية والمعدنية والبحرية، وماليزيا المتحضِّرة غنية بثرواتها الغابية والصناعية، والسودان غني بثرواته الزراعية والحيوانية.

وخصوصيـــة الـــزكاة تتبع من أنَّها لا تســـقط لعدم وجود الحـــاجـــة إليها، ولا تُســـتبدل بموارد أُخـــرى لنيل منفعة مباشـــرة كالرسوم والضرائب وغيرها، وأنَّ مصارفها الشرعية محدودة ومعروفة. فقد اعتنَت ســـورة التوبة القرآن المدني في العـناية بأمـــر الزكـاة بتصـدُّرها للوعيـــد لمانعي زكاة النقود بقولـــه – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيـرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُـونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَـبِيلِ اللَّـهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْـوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ – ٣٥] . وفي الآية الكريمـــة منع صريح للاكتناز والقبض واحتكار الســـلع، وحث على الاســـتثمار والتداول بإخراجهم للزكاة حتى لا تأكل الزكاة أموالهم. كما أوصى المصطفى ﷺ بإخراج الزكاة حتى من مال اليتيم كما روى الشـافعي: «ابتـغوا في مـال اليتـيم – أو أمـوال اليتامـــى – لا تذهبها – أو لا تســـتهلكها – الصَّدقة» صحَّحه البيهقي والنووي. فلو حُصِّلت زكاة جميع الشركات والمؤسسات والبنـــوك وكل ما حـــال أو تحقَّق عليه الحـــوْل، وبلغ النصاب من ذهب، فضة، مـــاس، بلاتين، لؤلـــؤ، رِكاز، معادن، أراضٍ، مُستغَلات، صناعات، سوائم، عروض تجارة، زروع، ثمار، رواتب لما بقي فقيرٌ في عالمنا الإسلامي.

أمر الزكاة على الرغم من أنه ســـهل لكنه لا يعني بأي حالٍ من الأحوال التساهل في أخذ الزكاة أو تركها للأفراد لتأديتها على غير وجهها. فالزكاة تحتاج لهيكل تنظيمي أو جهاز إداري ومالي متخصِّص حتـــى يواكب تطور عجلة الحياة ويقابل تنوُّع الأنشـــطة الاقتصادية والثروات. فموظَّف الزكاة يجب أن يكون مســـلماً ما لم يكن حارســـاً أو ســـائقاً؛ وأن يكون مُكلَّفاً؛ وأن يتّصف بالنزاهة التامة والدّقة الفائقة؛ لأنَّ من يأكل مال الزكاة مـــن غير وجه حق مصدَّق له به فكأنّمـــا يأكل الجمر (بمعنى الحديث)؛ ولا يجوز له أخذ الهدية مهما كان؛ فهي رشـــوة كما ورد في حديث ابن اللُّتَبية المشهور.

موظَّفـــو الزكاة يجـــب أن يُدرَّبوا على أمر الـــزكاة فقهاً وأداءً، ويعملوا في وزارة الزكاة بالمشـــاهرة لحـــين إثبات جدارتهم، على أن يتقاضوا رواتـــب مُجزية تُؤخذ من مصرف (بنـــد) العاملين عليها، وينبغي ألا تتعدَّى ثُمن حصيلة الزكاة كحد أقصى كما يرى الشافعية.

الجباية:

الجباية رســـالة صعبة، وليس بمقدور السُّـــعاة (مندوبي الجبايـــة) وحدهم إقناع كل من يلـــزم التحصيل منهم. فَلا بُدَّ أن يضم فريق الجباية عناصر مؤهَّلة وحاذقة ومتخصِّصة في علمي المحاسبة والتكاليف ومُلمة بفقه المعاملات والبيوع. أيضاً من الضروري أن يصحبهم محاسبون قانونيون وهيئة محقِّقين محلَّفين بمرافقة شرطة الجباية التابعة لوزارة الزكاة. فشعيرة الزكاة في المقام الأول رسالة لين ولطف وتنوير وهداية لمن يعيها مع الشـــدّة والقهر إذا اســـتدعى الأمر ذلك. فإدارة العلاقات العامـــة والإعلام إدارة منفصلة وأداة فعَّالة تخدم آلية الجباية، وتعمـــل معها جنباً إلى جنب لبلورة خطـــاب الزكاة نحو تكافل وتآزُر المجتمع المسلم على كافة الأصعدة إرساءً للعدل والمساواة، ولئـــلا يكون المال دُولةً بين الأغنياء أو حِكراً لحِفنة من الأثرياء حتى ينفقوا بسخاء من مال الله الذي جعلهم مستخلَفين فيه.

بعدها يأتـــي دور المراجعة والتفتيـــش للتدقيق والمطابقة انتهاءً بالتحقُّق بأداء اليمين (القَسَم) من قِبَل أصحاب الأعمال والشُّركاء والمســـاهمين في الأنشطة زراعية كانت أم رعوية أم تجارية أم صناعية أم خدمية أمام هيئة المحلَّفين المعتمدة لدى الـــوزارة، وذلك بعد مراجعة الســـجل التجاري والمصادقة على صحَّـــة الإحصاءات وصحَّة رؤوس الأمـــوال والأرباح والديون، ورصد ذلك عن طريق أنظمة شـــبكات الحاسب الآلي الخاصة بضبط ومراقبة حركة أرصدة حســـابات الأفراد والشـــركات إلكترونياً والتابعة لإدارة الفحص والربط الآلي.

على وزارة الزكاة بكل بلد وفروعها بكل ولاية أن تكفل لشرطة الجبايـــة كامل الصلاحيات لاتخاذ كافـــة الإجراءات القانونية الحاسمة والفورية حسب اللائحة الشرعية التي تضعها الإدارة القانونية من قِبَل مستشـــاريها. مرجع هذه القوانين هو الكتاب والسُـــنَّة بالإضافـــة للقياس والإجماع والاجتهـــاد والتي تُجاز بواسطة هيئة كبار علماء المسلمين التابعة لبيت المال المركزي أو من ينـــوب عنها من لجنة الفُتيـــا والتظلُّمات التابعة للإدارة القانونية بكل وزارة؛ ومجملها هو أنَّ الإســـراع بإخراج الـــزكاة أمر رباني لا يقبل المفاوضة. فقد أجمع المســـلمون في

جميع العصور على وجوبها، واتّفق الصحابة - رضي الله عنهم - على قتال مانعيها، فروى البخاري بإسناده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «لمّا توفي النبي ﷺ وكان أبو بكر - رضي الله عنه - وكفر من كفر من العرب، فقال عمر - رضي الله عنه -: «كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله؛ فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»؟ فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: «أليست الزكاة من حق لا إله إلا الله؟ والله لأُقاتلن مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة؛ لأنّ الزكاة حق المال؛ والله لو منعوني عقالاً - وفي لفظ عناقاً - كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»، فقال عمر - رضي الله عنه -: «رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر - رضي الله عنه - للقتال فعرفت أنّه الحق».

فأما من يتهاون أو يتأخر في دفع الزكاة تؤخذ منه الزكاة قهراً مع مصادرة نصف ماله/ مالها تعزيراً وتأديباً لمن كتم حق الله في ماله كما روى أحمد والنسائي وأبو داود، وكما روى البيهقي في سننه عن النبي ﷺ أنّه قال: «من أعطاها مؤتجراً فله أجره، ومَن منعها فإنّا آخذوها وشطرَ ماله، عزمةً من عزمات ربنا، لا يحل لآل مُحمَّد منها شيء».

مصارف الزكاة:

على الجانب الآخر فأمرُ المصارف، والذي يختص بالتوزيع العادل للمُستحقّين، ينضوي تحت لواء إدارة المصارف؛ حيث تقوم هذه الإدارة بعقد لجان دورية بمبنى الوزارة أو فرعها الولائي للنظر في الطلبات المقدَّمة، وبحث أولويّات الصرف حسب الميزانية المتاحة لكل بند من بنود الزكاة على حِدة، ومن ثم التصديق لمقدمي الطلبات المستحقين وَفقاً لاستيفاء شروط الأحقيّة؛ وذلك بناءً على المستندات المطلوبة. فمصارف الزكاة الثمانية طبعاً هي: الفقراء، والمساكين، والعاملون عليها، وفي الرقاب، والمؤلفة قلوبهم، والغارمون، وفي سبيل الله، وابن السبيل، كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠ .

يقوم الباحثون الاجتماعيون بإجراء التحري للمتقدِّمين مع عمل زيارات ميدانية لتفقُّد أحوال المسلمين أفراداً وجماعات، ودراسة وتقييم ذوي الحاجات المُلحَّة كالدِيّة، الدَيْن، المرض، الوفاة، والآخرين ممَّن لا يسألون الناس إلحافاً؛ وذلك عبر التنسيق المتبادل مع فروع الوزارة ومُمثليها من لجان الزكاة الأهلية التي تُعقد دورياً بمساجد الأحياء، تمشياً مع قول الرسول ﷺ: «مَثَل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمى» رواه مسلم. لكن هدفنا هو ليس مجرد صرف مبالغ للمستحقين فحسب؛ فنحن نود ألا يظل الفقير فقيراً ولا المسكين مسكيناً؛ فالله - سبحانه وتعالى - سخَّر لنا الكون بأكمله؛ وما علينا إلا أن نسعى قليلاً لنعمل ونتعب لننتج حتى نتذوَّق حلاوة التعب والكسب الحلال؛ كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥ وكما قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠ .

أيضاً روى البخاري عن رسولنا الكريم ﷺ أنّه قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله على ظهره فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها، فيكفَّ الله بها وجهه، خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه». فقد أجاز بعض الفقهاء المعاصرين الاستثمار بشروط معينة في جزء من أموال الزكاة في مشاريع اقتصادية وتنموية لحل مشكلة البطالة، وللتوسُّع الأفقي والرأسي في أموال الزكاة وهو الشيء الذي يسمح بمقابلة حاجيات مصارف الزكاة المتزايدة وبالذات مصرف الفقراء والمساكين.

من أول الشروط: هو عمل دراسة جدوى شاملة لأي مشروع قبل اعتماده والبدء فيه من قِبَل إدارة المشاريع والاستثمار؛ وذلك لمنع إهدار أموال الزكاة.

وثاني الضوابط: هو أن تكون المشاريع الناجحة قصيرة الأجل، ويعود ريعها لخزينة الزكاة، وبعضها تنتهي بالتمليك تحفيزاً للمجموعات المُنتِجة والمُتقِنة من المستحقين الذين انخرطوا فيها.

فمثلاً شريحة مَن يُجيدون حرفةً أو تجارةً لكن تنقصهم الآلة أو رأس المال كي يشرعوا في اكتساب قوتهم بأيديهم، أو يساهموا في ذلك على الأقل لو مُنحوا هذه المصادر كإنشاء ورش حِرفية أو مشاريع زراعية/ رعوية/ صناعية صغيرة، أو بإعطائهم رأس المال الكافي للتجارة عن طريق قروض حسنة دون فوائد، وبذلك تساهم الزكاة مساهمة عملية في محاربة الربا.

ترمي المشاريع التنموية أيضاً إلى تشجيع الشباب العاطلين لاحترام العمل الحِرفي، والذي يمثل البوابة لنهضة المسلمين، والتي هي من أشرف المهن اقتداءً بالأنبياء – عليهم السلام – والصحابة، عليهم رضوان الله أجمعين. وكما نعلم حديثاً أنَّ أسماء بعض الأُسر الكبيرة والعائلات العريقة يُنسب فخراً لهذه الحِرَف: كعائلة الصانع، الخيَّاط، اللحَّام، النجَّار، الحدَّاد، السقَّاف، الجزَّار، وغيرها.

المشاريع تشمل: المشاريع الزراعية والبساتين، الرعي، صيد الأسماك، تربية الدواجن، الطواحين، المشاغل النسائية، المشاريع الحِرفية كالنِجارة، الخِراطة، الحِدادة، البِرادة، اللحام، السمكرة، الطلاء الكهربائي، الميكانيكا، الكهرباء، التبريد، السباكة، البناء، الترميم، الدهان، السقف، النقش، التصميم، الخَط، الرَسم، الطباعة، الفندقة، الحلاقة، الفِلاحة، الجزارة، الخبازة، والعطارة وغيرها. فيجب على وزارة الزكاة تمويل مشاريع إعاشة ضخمة والتي تتبع لها معاهد تدريب مهني للأيتام، اللُقطاء، الأرامل، المطلَّقات، والراغبين والراغبات من البُسطاء والعاطلين القادرين على الكسب، بالإضافة لإقامة ورش عمل موسمية للطُلاب والطالبات أثناء إجازتهم الصيفية.

أيضاً يأتي دور الزكاة الاجتماعي في تشجيع وتنمية الأُسر المنتجة من خلال تمويل وزارة الزكاة أو فروعها المنتشرة بالولايات لفصول محو الأُميَّة بالإضافة لمشاريع تدريب المرأة في مجالات التدبير والاقتصاد المنزلي، التغذية، الطهي، الحياكة، التطريز، الصباغة، الحِجامة، تزيين العرائس، الصناعات المنزلية الصغيرة كصناعة الأجبان، المربيات، الحلويات، وغيرها؛ بالإضافة للصناعات اليدوية ولُعب الأطفال، وخدمات الكمبيوتر من برمجة وطباعة وغيرها والتي من الممكن تعلُّمها ذاتياً؛ وذلك لقتل الفراغ ولخلق بيئة إبداع ومنافسة في جو عائلي لا يتعارض مع رسالة تربية الأبناء بل يوثِّق الرِباط الأُسري ويُنمّي صِلة الرحم.

من مزايا وزارة الزكاة أيضاً تزكية المجتمع بتمويل وتشجيع مهرجانات الزواج الجماعي والتي تهدف لدرء شر العزوبية بتأهيل المساكين المُستَعفِفين من شباب الأُمة. أيضاً دور الزكاة في توفير السِلم الاجتماعي ونبذ الشحناء المنتنة والبغضاء الحالقة بين الأفراد أو الجماعات المتناحرة أيَّاً كان نوعها: قَبَلية جاهلية أو عصبية عِرقية أو جهويَّة طائفية حتى نكون عباد الله إخواناً؛ وذلك عبر فضّ نزاعات المتقاتلين بعد ردها لديوان المظالم لتصفية الفِتَن بالمُناصحة والمواساة، وإبداء العفو بين المتخاصمين من جهة، ودفع دياتهم محلياً من بند الغارمين لإصلاح ذات البين.

من أولويَّات مصارف الزكاة أيضاً مد يد العون لإعانة إخواننا المرضى محدودي الدخل؛ والذين بمقدورهم دفع جزء من ثمن العلاج لكنَّهم يحتاجون لعلاج يستمر لشهور أو سنوات مثل التنقية الدموية لمرضى الفشل الكلوي، أو مرضى في حاجة ماسّة لإجراء عملية جراحية عاجلة. فتأمين العلاج لهم إما عن طريق شراء أجهزة متكاملة دفعة واحدة للمستشفيات مع تشييد غرف عمليات مجهّزة وصالات تنويم بها سُرر كافية، أو توفير نظام ضمان صحي يكفل الحالات المرضية الحَرِجة وذلك عبر عقود مُبرمة مع وزارة الصحّة شريطة أن تمنح العناية الطبية المطلوبة للمرضى المستحقين فقط. أيضاً يجب بناء مستوصفات خيرية تستغل وقف الوقت المهني لتقديم الرعاية الصحية الأولية للفُقراء المُعدَمين والمعوَّقين عن طريق فريق طبي وباحثين اجتماعيين يتم تعيينهم من قِبَل الوزارة.

كما يمكن لوزارة الزكاة في كل بلد إسلامي الاستفادة من بند (ابن السبيل) في بناء فنادق نموذجية بمعايير إسلامية كي تحل محل الفنادق العالمية وبيوت الشباب والأندية والمقاهي الماسونية نفياً للتقليد الأعمى لغير المسلمين؛ وذلك لتُقدِّم خدماتها للجميع بأسعار زهيدة يعود ريعها للمصرف ذاته، تقوم على طراز إسلامي وتحكمه نُظم إسلامية بحتة؛ فيه دار ضيافة مجاني للمسافرين المنقطعين وعابري السبيل. أيضاً سيخدم مصرف ابن السبيل مشروع تبني الطلاب الموهوبين، وتشجيع المخترعين من المسلمين؛ وذلك بدعم مشاريع البحث العلمي الجارية، وعلى سبيل المثال لا الحصر: استخدام الطاقة الشمسية في توليد الكهرباء وكبديل لوقود السيارات في الشرق الأوسط لما يتمتّع به من حرارة شمس متدفِّقة طوال العام.

بيت المال المركزي والمصرف الإسلامي المركزي:

الشيء الآخر هو دمج وتأطير عمل المنظمات الخيرية والتي لا يخفى علينا دورها الريادي في كفالة الأيتام والأرامل وأسر الشهداء وأسر الأسرى والسُجناء في سبيل الله وبناء المساجد ودور العلم والمستشفيات محلياً وإقليمياً - لتصب في ما يُسمى ببيت المال المركزي (كنواة لبيت مال المسلمين)، والذي يكون مقرُّه بدولة إسلامية تُختار بالتصويت.

يمثل بيت المال المركزي المرجعية لهذه المنظمات الخيرية بسنِّه للقوانين والضوابط الشرعية من حيث أولويَّات الصرف ومنع ازدواجية الدفع وبخاصةً البنود التي لا تشملها مصارف الزكاة، وتثبيت عنصري الشفافية والمصداقية في التصدي لتمويل أي أعمال إرهابية أو تخريبية من شأنها إراقة دماء معصومة من المدنيين الأبرياء أو الأسرى. فالحق المشروع أصلاً هو رد الظلم والعدوان عن المسلمين، وأقلُّها مقاومة المحتل دفاعاً عن الدين والعرض والوطن وحماية المقدَّسات الإسلامية، التي هي من أعظم القُرُبات. من أولويَّات بيت المال المركزي والتي ينبغي أن تساهم فيها وزارات الزكاة من الأقطار الإسلامية مجتمعة سهما (في سبيل الله) و (المؤلفة قلوبهم)، وما فاض من باقي المصارف الأخرى من التبرعات والهِبات والكفَّارات والنُذور إضافةً لريع الوقف الإسلامي والتركات والضوائع؛ وذلك لمساندة المجاهدين المستضعفين والمشرَّدين والمنكوبين من المسلمين وبخاصة في الثغور؛ كما يشير حديث النبي ﷺ لسعد ابن أبي وقَّاص - رضي الله عنه - حين قال له فيما رواه البخاري: «وهل تُنصَرون وتُرزَقون إلا بضعفائكم»؟

هذا بالإضافة لتمويل البرامج الدعوية في المناطق الفقيرة وحديثة العهد بالإسلام بطريقة منظَّمة ومدروسة؛ وذلك بالدعم المادي للمسلمين الجُدد، وأن تمتد أيادينا البيضاء لإخوان الإنسانية ممن يُرجى إسلامهم، وذلك بحفر آبار مياه الشرب والتشجير وتمويل قوافل الغذاء والكساء والدواء ولو سنوياً في فصل الشتاء؛ هذا بالإضافة لإنشاء المدارس القرآنية والمراكز الصحية وأيضاً الدعم المعنوي بابتعاث دعاة من بني جلدتهم للدول الإسلامية لتقوية إيمانهم وعلمهم الشرعي حتى يسهموا بالفعل في نصرة إخوانهم الباقين، والدعوة في بلدهم الأصل بعد رجوعهم.

أيضاً ثبت عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - أنه كان يقول بصرف الزكاة في تأليف أصحاب النفوذ من الحكام والرؤساء غير المسلمين لدرء شرورهم، وحتى يسهموا في تحسين أوضاع الجاليات والأقليَّات المسلمة ومساندة قضاياهم؛ كما ورد عن الحبيب ﷺ أنَّه كان يعطي رؤساء القبائل من الزكاة حتى يخفِّفوا من التضييق عمَّن أسلموا من أفراد تلك القبيلة. والمثال الشاخص في يومنا هذا هم الأقليات المضطهدة في قارة أوروبا من إخواننا الأكراد والشيشان والألبان والبوسنيين؛ بالإضافة للأقليات المسلمة في إريتريا وكشمير وكوسوفا. أيضاً يأتي دور تأليف أصحاب الفكر لكسب تأييدهم ومناصرتهم لقضايا المسلمين.

ينبغي أن يضم بيت المال المركزي مجلس أُمناء الخزينة وهيئة كبار علماء المسلمين والمصرف الإسلامي المركزي الذي ينتهج الأخير دساتير إسلامية خالصة وسياسات ربحية رشيدة لأسلمة البنوك التقليدية بالبلاد الإسلامية، ويمثِّل المرجع الأساس للمصارف الإسلامية الحالية كما في السُّودان وباكستان وإيران. على المصرف الإسلامي المركزي، كما كان قصب السبق للبنك الإسلامي للتنمية، أن يُنفِّذ خططاً استثمارية طموحة من شأنها النهوض بميزانية بيت المال المركزي، وخاصةً بعد إنشاء الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة مؤخراً؛ وذلك للدخول في مشاريع تنمويَّة ضخمة من خلال سوق جماعية تحت إمرة «كومنولث» إسلامي، ليتَّخذ من الدينار - مثلاً - عُملة موحَّدة للنهوض اقتصادياً وعسكرياً بأمة شرَّفها الله - تعالى - بسورة الحديد، وتمتلك في أراضيها جُل الحديد، وما زالت تستورد من الخارج من الإبرة حتى الصاروخ! لتدر عائداً وافراً لتغطية حاجيات الدول الإسلامية الفقيرة والمُستضعفة والأُخرى التي تتعرَّض لنكبات وكوارث.

من أولويات بيت المال المركزي أيضاً تنمية موارد العالم الإسلامي بترشيد استخدام المياه، واستصلاح الصحارى التي تقع في خط الفقر لزراعة الغلال والحبوب الزيتية والصمغ العربي وغيرها، والاستفادة من رمالها في صناعة الزجاج، ومن النباتات والزهور البرية في صناعة الأدوية والعطور، هذا بالإضافة لإعادة التدوير للتوالف والمخلَّفات.

ومن ثَمَّ يأتي دور الاستثمار في الصناعات الخفيفة المُتقَنة، والتي هي بمثابة العمود الفقري للنهضة الصناعية والتي تشمل: تحلية مياه البحر، صناعة الملح، صناعة الزيوت، صناعة السُكر، تعليب الخُضر والفاكهة واللحوم، الغزل والنسيج وصناعة الملابس، دباغة الجلود وصناعة الأحذية، وذلك لتحقيق الأمن الغذائي والصناعي وتصدير الفائض ومنع الاعتماد على الإعانات والقروض من غير المسلمين.

هيئة كبار عُلماء المسلمين التابعة لبيت المال المركزي:

إنّ في قيام هيئة كبار عُلماء المسلمين التابعة لبيت المال المركزي، والتي تضم كوكبة من كبار العُلماء الراسخين والثِقات، بالغَ الأثر في التشاور والحِسبة وإصدار الفتاوى والضوابط الشرعية بناءً على قرآننا المجيد وهدي نبينا الكريم ﷺ، هذا بالإضافة لإعمال القياس والاجتهاد آنياً وظرفياً مع مراعاة أدب الاختلاف بين المذاهب وفقه الأولويَّات، مع الموازنة بين درء المفاسد وجلب المصالح من دون إفراط أو تفريط. فقد جاء عن عمر - رضي الله عنه - أنَّه أدخل القياس في باب الزكاة، وذلك حين أمر بأخذ الزكاة من الخَيل لما تبيَّن له أنَّ فيها ما يبلغ قيمة الفرس الواحدة منه ثَمَن مائة ناقة، فقال: نأخذ من أربعين شاة، ولا نأخذ من الخيل شيئاً؟ فمن الأحرى أن تُجبى زكاة الخيل في عصرنا هذا الذي انتشر استخدامها في التجارة والرهانات والسباقات بدلاً عن الرِباط والجهاد. ومنها جاء قياس العمارات المؤجَّرة للسَّكن ونحوها على الأرض الزراعية، والرواتب والأجور على الأُعطيات التي كان يأخذها ابن مسعود ومعاوية وعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنهم - عند صرفها.

كما نقيس أيضاً القَزّ والمنتجات الحيوانية كالألبان ونحوها على العسل الذي وردت الآثار بأخذ العُشر منه. ولذا ففي قيام هيئة كبار عُلماء المسلمين بأمر الاجتهاد الجماعي والقياس الصَّحيح مما يقود إلى استنباط فتاوى وتشريعات تخدم مسيرة الأمة مثل التكييف الزكوي للأموال والثروات والأنصبة، واعتماد مبدأ الخلطة في زكاة الشركات كما هو متعارف عليه في زكاة الأنعام.

ومن أولويات الهيئة أيضاً مساندة المصرف الإسلامي المركزي في سن القوانين والتشريعات التي من شأنها الإبقاء على المصارف الإسلامية؛ مع أسلمة باقي البنوك التقليدية، التي تتعامل بالربا كُلياً أو جزئياً، وتشجيعها لنيل عضوية المصرف المركزي مقابل حوافز وتسهيلات مغرية على ضوء الكتاب والسنة، مع منع كل المعاملات الربوية الناتجة عن تداول الصكوك والسندات وغيرها في البنوك وسوق الأوراق المالية (البورصة). فعمليات تداول مثل هذه الأسهم لا تخدم الاقتصاد؛ لأنَّها مجرد حركة للأموال بين الأيدي المتقاعسة من دون تحقُّق استثمار فعلي، ومنع فائض الأموال من الاتجاه للاستثمار الحقيقي، والمستفيد الوحيد هم المضاربون الخاسرون. وثاني مفسدة هي أنَّ الشركات المضاربة لا تستفيد من بيع أسهمها أو تبادلها أو ارتفاع قيمة أسهمها؛ لأنَّه لن يحقق لها أموالاً بل على العكس يجرها للاقتراض والإفلاس. ومثل هذا التعاطي المحرَّم لا يعفي صاحبه من دفع زكاة المال، والتي تقتضي القيمة الاسمية للصك أو السند. وما تحقَّق من ربح خبيث فعليه التخلُّص منه بعيداً في أوجه الخير؛ لأنَّ الله - تعالى - طيبٌ لا يقبل إلا طيباً. فيجب اعتماد نظام المرابحات والمضاربات الإسلامية من قِبَل المصرف الإسلامي المركزي لتعميمه على المصارف الأعضاء، لتحل محل الاستثمارات غير المشروعة أو المشبوهة، تحرياً للحلال ونفياً لمحق البركة الناتج من اختلاط الصالح بالطالح.

أيضاً من مزايا الهيئة الأخذ بالقياسات والاجتهادات الفردية المعتبرة كما اجتهد فضيلة الشيخ القرضاوي - أثابه الله، والذي يُعد من كبار علماء العصر المتخصِّصين - عندما رجع لرواية عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - وبعض التابعين الآخذين بجواز صرف الزكاة على أهل الذِمة من غير المسلمين، ورأى أن تُؤخذ من أغنياء غير المسلمين ضريبة كزكاة عن أموالهم، باسم ضريبة التكافل الاجتماعي أو البِر - مع الاتفاق مع الزكاة في الوعاء والشروط والمقادير - لتصب في مصرف منفصل لِتُرد على فُقرائهم قياماً بواجب التكافل والتراحُم الذي يشمل المسلم وغير المسلم ما دام يعيش في كنف دولة الإسلام وتحقيقاً لقوله - تعالى - في أهل الكتاب عامةً: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وحتى لا يكيدوا حسداً لصرفنا عن الإيمان وبالذات الصَّلاة والزكاة كما قال - تعالى -: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فهنا تتّسع دائرة الزكاة إلى آفاق أرحب ومفاهيم أسمى للتعايُش والتغلغُل ترغيباً لغير المسلمين في ديننا القويم. وعند اندماج شعوبنا وترسيخ هويتنا تجتمع القلوب، وننسى الحدود، وننعم بالنصر الموعود.

هذا؛ والله أعلَم وأحكَم؛ وصلى الله على سيدنا مُحمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

خصائص الأمة الإسلامية
عند المجدد محمد رشيد رضا

د. محمود سعد

يفرض التأسيس السابق لمفهوم الأمة الإسلامية عند الشيخ رشيد رضا أن نلمس الخصائص المميزة لها، وهي التي يُخلَص إليها من خلال ذلك المفهوم وأبعاده في علاقته بعقيدتها وقيمها، ولعلها من التعدد بما يناسب تطور تجربة الأمة التاريخية المؤسَّسة على هذه العقيدة وتلك القيم؛ غير أن هذه الخصائص من الكثرة بمكان؛ بحيث يستطيع القارئ أن يستشف بعضها من السطور السابقة في مفهوم الأمة؛ فهي – مثلاً – أمة التوحيد الخالص، وأمة العلم، والأمة الحافظة لتراث النبوات (الإسلام)، وأمة الحوار، أو يرى بعضها في ثنايا تفسير المنار؛ فمن خصائص الأمة القبلة، والتعبُّد بها إنما يكون بطاعة الله بها لا بسر في ذاتها أو مكانها، وأن حكمتها اجتماع الأمة عليها الذي هو من أسباب اتحادهم وجمع كلمتهم[1].

(١) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢/ ٩.

الوسطية من خصائص الأمة الإسلامية:

وتجدر الإشارة بداية أن هذه الخصيصة التي تميز بها الإسلام منهجاً، قد تميزت بها أمة الإسلام عن أمم الشرائع السابقة التي حُرِّف بعضها إلى الغلو المادي، وحُرِّف بعضها الآخر إلى الغلو الروحاني. فإذا ما عدنا إلى رشيد رضا فإننا نجده يلتقي مع شيخه محمد عبده في مفهوم الوسطية الإسلامية؛ فهي القائمة على أساس الاستقلال العقلي في فهم حقيقة الدين وجوهره، وكونه وسطاً بين أطراف مذمومة؛ كالتوحيد بين الشرك والتعطيل، واتباع الوحي بين الابتداع والتقليد، والسخاء بين البخل والتقتير، وهي الوسطية المحققة لمعنى الإنسانية بالجمع بين مصالح الروح والجسد[2].

وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها الحقين: حق الروح وحق الجسد؛ فهي روحانية جسمانية، وإن شئت قلت: إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية؛ فإن الإنسان جسم وروح، حيوان ومَلَك، فكأنه قال: جعلناكم أمة وسطاً، تعرفون الحقَّين وتبلغون الكمالَين[3]، وهي عند محمد عمارة (الوسطية الجامعة) التي تمثل بالنسبة للإصلاح الإسلامي طوق النجاة من تمزق وانشطارية وثنائية المتقابلات المتناقضة؛ على النحو الذي حدث في حضارات أخرى، وفي الحضارة الغربية على وجه التحديد. وهي الشمول الذي تبلغه تأثيراتها عندما تُراعى وتوضَع في الممارسة والتطبيق[4]. إلا أن رشيد رضا يضيف بعداً آخر لمعنى الوسطية فيرى أنها (مبنية على أساس الاستقلال

(٢) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٦/ ٣٤٧.
(٣) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: ٢/ ٣١٠. دراسة وتحقيق د.محمد عمارة.
(٤) انظر وسطية الأمة الإسلامية لمحمد عمارة مجلة حراء العدد ٢ الصادر في يناير ٢٠٠٦م.

البشـــري اللائق بسنِّ الرشـــد وطور ارتقاء العقل؛ ولذلك كانت الأحـــكام الدنيوية في كتابها قليلة، وفـــرض فيها الاجتهاد؛ لأن الراشـــد يفوَّض إليه أمر نفسه؛ فلا يقيد إلا بما يمكن أن يعقله مـــن الأصول القطعية، ومن مقومـــات أمته الملِّية التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان)[1].

وتتفق نظرة رشـــيد رضا مع الدريني الذي يرى أن الإسلام احتكـــم إلى العقل في أعظم قضاياه: من الإيمان بعقائده وقيمه العليا، وحقيقتها، فلأن يحتكـــم إليها في التصرف في مقررات التشـــريع، اجتهاداً، واســـتنباطاً، وتطبيقاً، بما يحقق مفاهيمها وغاياتها في المجتمع الإنساني من باب أَوْلَى[2].

وفي إطار مفهوم الأمة وخصائصها عند رشـــيد رضا نلمح مجموعـــة من المؤثرات التي تعتبر من مقومات الرفعة أو الضعة في تكوين الأمة، وعندما يذكرها رشـــيد رضا في هذا الســـياق فإنما يقصد بها رســـم طريق الإصـــلاح ومعالجة أمراض الأمة والمفاهيم المادية التي سيطرت عليها فأضعفتها:

١ - علاقة النفس البشرية بالمنهج:

من طبائـــع الاجتماع - والكلام فـــي الأمم كلام في طبائع الاجتماع[3]- عند رشـــيد رضا أن النفس البشـــرية إذا صلحت أصلحت كل شـــيء تأخذ به، وتتولى أمره؛ فالإنســـان سيد هذه الأرض، وصلاحها وفســـادها منوط بصلاحه وفساده، وليست الثروة ولا وســـائلها (مـــن صناعة وزراعة وتجـــارة) هي المعيار لصلاح البشـــر، ولا الملك ووســـائله (من القوة والسياسة)؛ فإن البشـــر قد أوجدوا كل وســـائل الملك والحضارة من علوم وفنون وأعمـــال بعد أن لم تكن فهـــي إذاً نابعة من مَعِين الاســـتعداد الإنســـاني، تابعة له دون العكس، ودليل ذلك في العكس كدليله في الطرد، فإننا نحن المســـلمين وكثيراً من الشعوب التي ورثت الملك والحضارة عن سلف أوجدهما من العدم: ممن أضاعوهما بعد وجودهما بفساد أنفسهم[4].

٢ - خصائص الأفراد:

يرى رشيد رضا أن صلاح الأمم يُرَد إلى صلاح أفرادها في إطار منهـــج الهداية؛ إلا أنه يعتبر أن صلاح الفرد مقيس بولائه لأمته ومدى ارتباطه بها وإفادتـــه لها؛ لأن خصائص الأمة تنبع من خصائص الأفراد (ولا يكتفي من المؤمن أن يكتسب بالحلال، ويتمتع بالحلال، وينفع نفسه ولا يضر غيره، وأن يصلي ويصوم؛ لأن كل هذا يعمله لنفسه خاصة، بل يجب أن يكون وجوده أوسع وعمله أشمل وأنفع، فيساعد على نفع الناس ودرء الضرر عنهم بحفظ الشـــريعة، وتعزيز الأمة بالمال والأعمـــال، والدعوة إلى الخير ومقاومة الشر؛ ولو أفضى ذلك إلى بذل روحه. فإن قصر فـــي واجب يتعلق بحفظ الملَّة وعزة الأمة من غير عذر شـــرعي فقد آثر نفســـه على مرضاة الله تعالى، وخـــرج من زمرة كَمَلة المؤمنين الذين باعوا أنفســـهم لله تعالى، وكان أكبر إجراماً ممن يقصر في واجب لا يضر تقصيره فيه إلا بنفسه؛ ذلك أن الحكمة فـــي تربية النفس بالأعمال الحســـنة والأخلاق الفاضلة هي أن ترتقي ويتســـع وجودها في الدنيا، فيعظم خيرها وينتفع الناس بهـــا، وتكون في الآخرة أهلاً لجوار اللـــه - تعالى - مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم، وجعلـــوا أكثر أعمالهم خدمة للناس وســـعياً فـــي خيرهم؛ فإن الله - تعالى - لم يشـــتر أنفس المؤمنين من الحظوظ والشهوات الشخصية الخسيسة لأجل نفعه - سبحانه - أو دفع الضر عنه جل شـــأنه، فهو غني عن العالمين؛ وإنما شرع هذا ليكون المؤمن باتساع وجوده وعموم نفعه سيد الناس، فَلْيَعرض مدَّعو الإيمان أنفســـهم على الآيـــة وأمثالها؛ فمن ادَّعى أنه مـــن الذين باعوا أنفســـهم لله وآثروا مرضاته على ما ســـواه، فَلْيَعرِضْه غيره من المنصفين عليها؛ ولا سيما إذا ادَّعى أنه واسع الوجود خادم للأمة والملة. لا جرم أن كثيراً منهم لا يصدق عليهم شيء من ذلك)[5].

ثم يضرب رشـــيد رضا مثلاً في حاجة الأمـــة للمال لدفع الفســـاد والإنفاق في المصالح العامة يقول: (ومن الواجب على أغنياء المســـلمين إذا وقع الفســـاد في الأمة وتوقفت إزالته على المال أن يبذلوه لدفع المفاســـد الفاشية والغوائل الغاشية، وحفظ المصالح العامة)[6].

(ومن أراد كمـــال البيان في ذلك فَلْيَعتبر بما يراه في الأمم العزيزة التي ينفق أفرادها ما ينفقون في إعلاء شـــأنها بنشـــر العلـــوم وتأليف الجمعيـــات الدينية والخيريـــة وغير ذلك من الأعمال التي تقوم بها المصالح العامة؛ إذ يرى كل فرد من أفراد أدنى طبقاتها عزيزاً بها محترماً باحترامها مكفولاً بعنايتها؛ كأن أمتـــه ودولته متمثلتان في شـــخصه، وليقابل بين هؤلاء الأفراد وبين كبراء الأمم التي ضعفت وذلَّت بإهمال الإنفاق في المصالح العامة وإعلاء شـــأن الملـــة؛ كيف يراهم أحقر فـــي الوجود من صعاليك غيرهم، ثم ليرجع إلى نفســـه وليتأمل كيف أن نفقة كل

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٦/٣٤٧.
(٢) انظر خصائص التشريع الإسلامي لفتحي الدريني، ص٢٥.
(٣) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٣/١٩٧.
(٤) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ١/٧.
(٥) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢/٢٠٣.
(٦) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٣/١٤.

فرد من الأفراد في المصالح العامة يصح أن تعتبر هي المسعدة للأمة كلها؛ من حيث إن مجموع النفقات التي بها تقوم المصالح تتكون مما يبذله الأفراد؛ فلولا الجزئيات لم توجد الكليات، ومن حيث إن الناس يقتدي بعضهم ببعض بمقتضى الجبلة والفطرة؛ فكل من بذل شيئاً في سبيل الله كان إماماً وقدوة لمن يبذل بعده وإن لم يقصدوا الاقتداء به؛ لأن الناس يتأثر بعضهم بفعل بعض من حيث لا يشعرون. والفضل الأكبر في هذه الأمة لمن يبدأ بالإنفاق في عمل نافع لم يُسبَق إليه. أولئك واضعو سنن الخير والفائزون بأكبر المضاعفة؛ لأن لهم أجورَهم ومثل أجور من اقتدى بسنتهم؛ فقد أخرج مسلم في صحيحه والترمذي أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا[1]» الحديث)[2].

٣ - وحدة الأمة:

وإذا كان الدين يحكم الحياة بقيمه ومقاصده وقواعده العامة وأحكامه القطعية[3]، فإن رشيد رضا يعد ذلك كافياً لوحدة المنهج؛ ولذلك أعطيت الأمة كلَّ أصل ديني بدليله وحكمته، وكلفت العدل والاعتدال في الأمر كلِّه، هذه الوحدة في المنهج تُعَد باعثاً على وحدة الأمة وبياناً لمكانتها[4]. كما يرى رشيد رضا أن للاختلاف في الدين الدور الأكبر في إهلاك الأمم وإفساده للدين نفسه، ولم يذكر كتاب الله هذا المرض الاجتماعي إلا وقد بيَّن علاجَه للمسلمين، وهو تحكيم الله - تعالى في ما اختلفوا فيه، وردُّ ما كان من المصالح الدنيوية والأمور السياسية إلى أولي الأمر الذين هم عنده أهل الحل والعقد، كما ورد في سورة النساء: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣].

وكأن هذه الآية في نظر رشيد رضا تحدد مرجعية الأمة عند الاختلاف في سبيل الحفاظ على وحدتها؛ لذا نجده يفصِّل في مفهومها في السطور التالية:

أما في الأمور الاعتقادية والتعبدية فبإرجاعهم إلى ما كان عليه السلف الصالح بلا زيادة ولا نقص، واعتبار ما أجمع عليه المسلمون في العصر الأول هو الدين الذي يدعى إليه، ويُحمَل كل مسلم عليه[5].

وفي الأمور الحربية والقضائية والإدارية والسياسية فبإقامتها على القواعد الشرعية في حفظ المصالح ودرء المفاسد بحسب حال الزمان والمكان[6]؛ لأنها تركيبات من صنع الإنسان. ومهمة الدين أن يوجه واضعي النظم وجهة الخير وأن يثبِّت القيم الخلقية الهادية في وضع تلك النظم وتطبيقها[7]، ولأنها من الأحكام الاجتهادية التي لم تثبت بالنص القطعي الصريح رواية ودلالة لا تجعل تشريعاً عاماً إلزامياً؛ بل تفوض إلى اجتهاد أولي الأمر من الحكام وأهل الحل والعقد في الأمور السياسية والقضائية والإدارية، وما عدا ذلك من المسائل الاجتهادية مما يعمل فيه صاحب الدليل بما يظهر له أنه الحق من غير أن يعادي أو يماري فيه من لم يظهر له دليله من إخوانه المسلمين الموافقين له في مسائل الإجماع[8].

وأما العامي الذي لا قدرة له على الاستدلال فلا يذكَر له شيء من أمر الخلاف، فإن عرض له أمر استفتى فيه من يثق بورعه وعلمه من علماء عصره، وذلك العالم يبيِّن له حكم الله فيه بأن يذكر له ما عنده فيه من آية كريمة أو سنة قويمة، ويبيِّن له المعنى بالاختصار. هكذا كان علماء الصحابة والسلف وعامتهم، وأنى للمسلمين اليوم أن يستقيموا على طريقتهم وهم فاقدو أولي الأمر الذين تفوِّض الأمة إليهم أمورها العامة وتجعلهم مسيطرين على حكامها وأحكامها[9]؟

وبناء على هذه القاعدة لم يقبل الإمام مالك - رحمه الله تعالى - من المنصور أولاً، ولا من هارون الرشيد ثانياً أن يحملَ المسلمين على العمل بكتبه ولا بالموطأ الذي هو أصح ما رواه من الأخبار المرفوعة وآثار الصحابة، وواطأه عليه جمهور من علماء عصره[10].

وبهذا يتضح لنا أن ترسيخ وحدة الأمة عند رشيد رضا يعتمد على غرس قيم الولاء لله ورسوله وجماعة المؤمنين، وتعميق الوعي الإيماني بأصول العقيدة الإسلامية[11].

---

(١) رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الملك البجلي، باب الحث على الصدقة، حديث رقم ١٦٩١.
(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٣/ ٥١ - ٥٢.
(٣) انظر مركزية القضية التربوية في فهم واقع الأمة وأسباب تخلفها، مقال للدكتور سعيد إسماعيل علي، مجلة إسلامية المعرفة الصادرة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي العدد ٢٩.
(٤) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢/ ٧.
(٥) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٣/ ١١.
(٦) المصدر السابق.
(٧) انظر مركزية القضية التربوية في فهم واقع الأمة وأسباب تخلفها، مقال للدكتور سعيد إسماعيل علي، مجلة إسلامية المعرفة الصادرة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي العدد ٢٩.
(٨) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٣/ ١١.
(٩) المصدر السابق.
(١٠) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ١/ ٩٩.
(١١) انظر خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبيِّنها سورة: المائدة لإبراهيم زيد الكيلاني، ص٢٥، ط الأولى، طبعة جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

اللغة العربية من مقومات وحدة الأمة:

الأمة واللغة أمران متلازمان، والذين يتكلمون اللغة الواحدة تربطهم قوانين الطبيعة بروابط كثيرة تجعل منهم وحدة غير قابلة للانفصام، تقوم - أساساً - على دعائم أساسية أهمها: وحدة الفكر والعقيدة التي تصنعها وحدة اللغة العربية، بجانب وحدة الضمير والوجدان التي تصنعها وحدة التاريخ.

ويؤكد المشروع الإصلاحي لرشيد رضا على هذه العلاقة الوثيقة التي تربط اللغة بواقع مجتمعها؛ إذ إنها تحيا بحياة الأمة، وحياة الأمة إنما تكون بعلومها وصناعاتها عبر اللغة أداةً للتواصل، والاشتغال بلغة الأمة وآدابها فضيلة في نفسه ومادة من مواد حياتها، ولا حياة لأمة ماتت لغتها[1]؛ ولذا كان جميع من دخل في الإسلام يشعر بأنه صار أخاً لجميع المسلمين، وأن أمته هي الأمة الإسلامية، لا العربية ولا الفارسية ولا القبطية ولا التركية... كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ويكشف رشيد رضا عن مخططات المتفرنجين ودعاتهم الذين يريدون أن يفرقوا بين الأمة على أساس اللغة والجنس ويؤكد أن الوحدة الإسلامية الدينية الأدبية التي ينشدها المصلحون تتوقف على تعميم لغة الإسلام بين جميع الشعوب الإسلامية؛ إذ لا تآلف بغير تعارف، ولا تعارف بغير تفاهم، ولا يسهل التفاهم بين المسلمين إلا بلغة دينهم المشتركة بينهم، وهي العربية التي لم تعد خاصة بالعنصر العربي بالنَسَب، كما أن الإسلام ليس خاصاً به[2].

ويشير رشيد رضا إلى أن معرفة العربية من ضروريات دين الإسلام؛ لأن الله أمرنا أن نتدبر القرآن الذي لا تقوم معجزته وحجته إلا بفهمه ولا يمكن فهمه إلا بفهم العربية الفصحى، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[3].

(١) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ١/ ٢٤.
(٢) انظر مجلة المنار: ١٣/ ١٢/ ٩٠٥.
(٣) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ١/ ٢٥ - ٢٦.

وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وعمالهم ومَن بعهدَهم من الفاتحين الأمويين والعباسيين يدل على ذلك؛ فإنهم نشروا لغة الدين في جميع البلاد التي فتحوها مع بُعدِهم عن العصبية الجنسية، وعدم التفاتهم إليها في معاملاتهم الاجتماعية والدولية، وجميع المجتهدين والقائلين بوجوب الاجتهاد في الدين، يجزمون بوجوب معرفة اللغة العربية؛ لأن الاجتهاد يتوقف على ذلك، كما هو مصرح به في كتب الأصول[4].

ومن البديهي أن وحدة الأمة لا تتم إلا بوحدة اللغة، ولا لغة تجمع المسلمين وتربطهم إلا لغة الدين الذي جعلهم بنعمة الله إخواناً، وهي العربية التي لم تعد خاصة بالجنس العربي إذا نظرنا إلى الأجناس - المعبر عنهم في اصطلاح المنطق بالأصناف - من جهة أنسابهم وأوطانهم. ولهذا كان يجتهد مسلمو العجم في خدمة هذه اللغة كما يجتهد مسلمو العرب بلا فرق، ويعدونها لغتهم؛ لأنها لغة القرآن التي تقوم بها حجته: وهم من أمة القرآن كالعرب بلا فرق.

ثم حدثت في الإسلام عصبية الجنسية الجاهلية التي حرمها الإسلام وشدد في منعها، بعد أن ضعف العلم والدين في المسلمين بضعف اللغة العربية فيهم، حتى قام بعض الأعاجم في هذه السنين الأخيرة يدعون قومهم إلى ترجمة القرآن بلغتهم والاستغناء عن القرآن العربي؛ زاعمين أن الإسلام دين ليس له لغة. وغلا بعض هؤلاء في بغض العربية فدعا مسلمي قومه إلى الأذان والصلاة والخطبة بلغتهم، وقد أجمع المسلمون بالعمل على إقامة هذه الشعائر الإسلامية بلغة الإسلام العربية إلى اليوم، وكان من عاقبة هذا الضعف في العلم والدين أن بعض المسلمين في بلاد الأعاجم - كجاوة، التي يَقِل فيها العلماء العارفون بالدين ولغته، القادرون على دفع الشُّبَه عن القرآن - صاروا يرتدون عن الإسلام لإيضاع دعاة النصرانية خلالهم، وسؤالهم الفتنة بالتشكيك في القرآن والطعن فيه. وأين من يفهمه ويدافع عنه هناك؟ ومنهم من صار يفخر بسلفه من الوثنيين والمجوس حتى بفرعون الذي لعنه الله في جميع كتبه[5].

(٤) انظر مجلة المنار، فتاوى المنار محمد رشيد رضا: ١٢/ ١٢/ ٩٠٠.
(٥) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ١/ ٢٥.

الطائفية

مخطط صهيوني صليبي

د. أميـــــــن الدمـــــيري
amindemery51@hotmail.com

لقد سعى أعداء الإسلام إلى إسقاط الخلافة العثمانية، ثم سعوا بعد ذلك وقبله كي لا تقوم للإسلام قائمة ولا دولة، ووضعوا التدابير اللازمة لذلك، ومنها ما يلي:

١ إنشاء الجامعة العربية بديلاً عن الجامعة الإسلامية: وبهذا تم انفصال العرب عن غير العرب وتقسيم العالم الإسلامي إلى قسمين: ناطق بالعربية وغير ناطق بها.

٢ تفتيت الدول العربية: عن طريق ميثاق جامعة الدول العربية من ناحية، وإيجاد مشـــاكل وخلافات حدودية بين الدول المتجاورة لإثارتها في الوقت المناســـب حســـب مخططاتهم من ناحية أخرى.

٣ إثارة النزعـــات القومية والعرقيـــة: كالطورانية في تركيا، والقومية العربية، والفارســـية وغيرهـــا في مقابل الأمة الواحدة، ولإضعاف الجسد الواحد وتقطيع أوصاله.

٤ تقطيع الدولة الواحدة إلى دويلات ثم إلى أحزاب[1]: ومع ذلك الجمعيات النســـوية والنوادي (الروتـــاري والليونز... إلخ)، ثم أخيـــراً المواطنة: فالكل ســـواء (البهائي، والشـــيعي، والسني، واليهودي، والمسيحي، والبوذي...) وهذه آخر الكوارث؛ فلأيٍّ من هؤلاء الحق في أن يكون رئيساً عليهم؟

٥ إعـــداد وتجهيز فريق من دعـــاة التغريب: على غرار فكـــرة (الفيل العميـــل) أو (المفكـــر العضوي) أو (المستشـــرق الشـــرقي) أمثال: طه حســـين، وعلي عبد الرازق، وقاسم أمين، وجورجي زيدان، وحســـن حنفي، وجابر عصفور... وغيرهم من فراخ المستشرقين وخِراف الثقافة الغربية وعملاء الاستعمار.

٦ إعداد وتجهيز قادة عســـكريين وتجنيدهم! للقيام بما ســـمي (ثورات التحرير)، وكان الهدف الاســـتعماري الأساس هو عدم الســـماح لأي جماعة أو أي اتجاه له طابع إســـلامي أن يرى النور (والأفضل أن يكون مكانه الطبيعي هو السجون)، فضلاً عن خصوصية التعامل كالتشـــويه والاتهامات المتنوعة وتلفيق القضايا وسياســـة الإجهاض المبكر والإزعـــاج المتكرر ثم سياســـة (كانوا يفكرون). وبالطبع كان على هؤلاء المجندين تنفيذ هذه السياسات، ولا مانع من رفع شعار الديمقراطية ظاهرياً أو تكتيكياً؛ إذ إن أنيابها جاهزة (كما حدث مع جبهـــة الإنقاذ وحماس)، ولا مانع أيضاً من ركوب موجة الثورات الشعبية ورياح التغيير، والثناء عليها لتوجيهها

(١) تابع معي سياسة حرية إطلاق تكوين الأحزاب والتعددية الحزبية التي نسمع عنها في هذه الأيام؛ لكن بشرط ألا تكون على أساس ديني (إسلامي).

أو لتفريغها أو لإجهاضها؛ فالعقل الجمعي للشعوب يمكن السيطرة عليه وتكوينه وترويضه بسهولة؛ فالإعلام (السحري) لا زال قائماً بفكره وأجهزته وقاعدته.

وبعد الإشارة إلى هذه التدابير نشير إلى ما أسموه بمسألة الأقليات، وما يتعلق بحقوق الأقليات وحماية الأقليات، والكيل بمكيالين في هذه المسألة؛ إذ المقصود أي أقليات كانت ما عدا المسلمة؛ فالقلة المسلمة في الصين أو الهند أو روسيا أو حتى في أوروبا فهي خارجة عن حسابات حُماة الأقليات ودعاة حقوق الإنسان! ففي العالم العربي - مثلاً - إسرائيل هي المحرك الرئيسي والمدافع الأساسي عن الأقليات بالتنسيق مع المنظمات والحكومات الغربية؛ ولعل أقرب حدث وأوضح دليل هو ما تم في جنوب السودان؛ فالدولة الوليدة قد أُعلِن أن لغتها الرسمية الإنجليزية وديانتها المسيحية وكان الحضور الإسرائيلي والابتهاج الأمريكي ملء السمع والبصر. وجدير بالذكر أن التنسيق بين زعامات تلك الأقليات وبين إسرائيل قد تبلور على أرض الواقع في الآونة الأخيرة في بعض البلاد العربية حينما استنجدت تلك الزعامات بإسرائيل وطلبت منها التدخل لحمايتها؟

إن مسألة الأقليات هي الذريعة والآلية التي سيتم بها التدخل الأجنبي وفرض مخططات التقسيم. وهناك آلية جديدة وهي في غاية الخطورة ويجب الانتباه لها؛ وهي إشكالية الثورات الشعبية ضد الأنظمة التي كانت تدور في الفَلَك (الأمريكي، الإسرائيلي، الغربي)، والمعادلة عندهم هي: مَنْ الأَوْلى بالمساندة؛ هل الأنظمة أم الثوار؟ فالمسألة عندهم مصالح ومفاسد (براغماتية) ثم تأتي إشكالية أخرى: هل يمكن تجنيد الثوار أو فصيل منهم، ثم إن منهم إسلاميين وعلمانيين وليبراليين و (أقليات)، ثم إن الإسلاميين منهم الأصوليون ومنهم المعتدلون ومنهم دون ذلك حسب تصنيفاتهم، وفي خضم هذا الزخم وذاك التنوع تعمل الأيادي الخفية من وراء الكواليس أو في الاتصالات السرية؛ حيث تتم الصفقات وتُرسَم السيناريوهات؛ وما يؤسِف أننا نكتفي بالمتابعة لما ستؤول إليه الأمور؛ فنحن - للأسف أيضاً - منقادون ولسنا قائدين، متأثرون ولسنا مؤثرين؛ وتُنصب للبعض الفخاخ فيدخلونها دون حساب للعواقب. ولست ناقداً ولا متجنياً؛ إذ لـمَّا أعطي الضوء الأخضر للأخوة السلفيين في مصر لتكوين الأحزاب فكم من الأحزاب أقاموا؟ وهل بالأحزاب سيقام الدين؟ أم أن ذلك تدعيم للنظم الوضعية وترسيخ لخدعة الديمقراطية صاحبة الأنياب الخفية؟

لاخوف من

الإلقاء

بعد اليوم

الدورات معتمدة

كن خطيب زمانك

قالوا عن الدورة ...

تم تنفيذ ٣٠٠ دورة

وتدريب ٢٠,٠٠٠ متدرب ومتدربة

وتقديم ١٥ دورات دولية

وتقديم ١٠٠ برنامجاً لكبار الشخصيات والشركات والجهات الحكومية.

دورة مهارات الإلقاء تحقق:

- تهيئة خريجي الجامعات للتطبيق والتدريس.
- كيفية إعداد الكلمات والمحاضرات المقنعة والمؤثرة.
- كسر حاجز الهيبة من التحدث أمام الآخرين.
- التعرف على أسرار التاثير.
- تنمية مهارات الإصغاء.
- التعامل مع الأسئلة المفاجئة.

مدربون سعوديون
خبرة ١٢ سنة

الخطيب الصغير:

دورة إلقاء للأبناء :

آداب اجتماعية

+ علوم رجال

+ لبس المشلح

من إصداراتنا :

كتاب: لماذا نخشى الإلقاء؟

البوم قرص مدمج: فن الإلقاء

إصداراتنا متوفرة لدى مكتبات: جرير و العبيكان

يحصل المتدرب على: إصدارات المركز + تصوير أداؤه على سي دي + شهادة معتمدة

مركز الإلقاء

أول مركز متخصص في الإلقاء و المواجهة

www.alelqa.com

الرياض هاتف : ٠١/٤٧٧٩٩٩٢

جوال: ٠٥٠٤٢٥٤٧٩٤/٠٥٣٣٣٩٥٩٣٣

تحت إشراف المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني ترخيص رقم ٤٨٩٥/٢١٤

Badr: 0508948947